DENGÊ KURDISTAN
صوت كردستان
مجلة سياسية فكرية ثقافية
العدد ٧٣ تموز ٢٠١٤

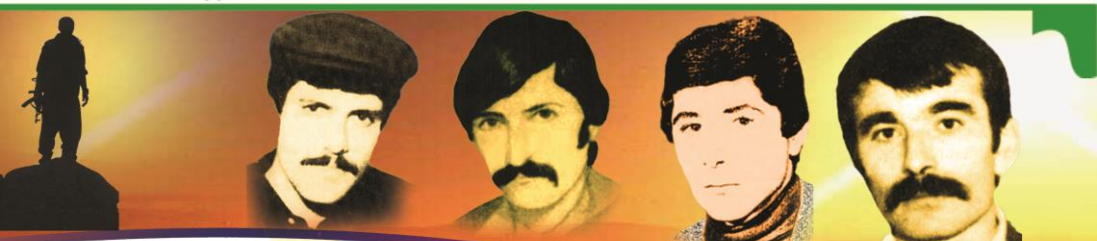

مقاومة ١٤ تموز هي روح PKK التحررية

- KCK وأبعاد التحول إلى أمة ديمقراطية
- ثورة غرب كردستان هي ثورة المرأة
- نحو حل نموذجي في الشرق الأوسط

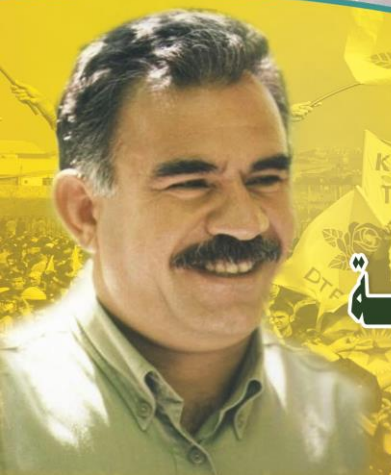

شروح من الفلسفة الأوجلانية

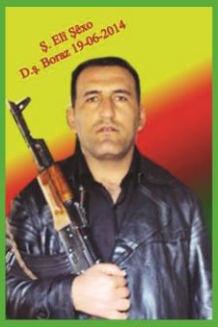

الشهيد علي

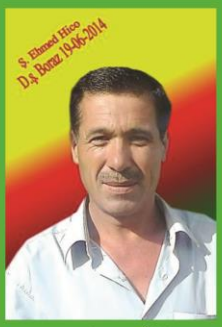

الشهيد احمد

الشهيد محمود

الشهيد دلسوز

الشهيد شورش

الشهيد حنيف

الشهيد فرهاد

الشهيد أردال

الشهيدة جيهان

الشهيدة جين

الشهيدة هيفي

الشهيد هوكر

الشهيد محمد

الشهيد دليار

الشهيد محمود

الشهيد ماهر

DENGÊ KURDISTAN
صوت كردستان
مجلة سياسية فكرية ثقافية

العدد ٧٣ تموز ٢٠١٤

المحتويات

الافتتاحية	٢
KCK وأبعاد التحول إلى أمة ديمقراطية:	٣
ستنتصر الحياة الحرة و الديمقراطية بحملة الأول من حزيران	١٤
مقاومة ١٤ تموز هي روح PKK التحررية	١٨
نحو حل نموذجي في الشرق الأوسط	٢٤
قضية الاستغلال الطبقي والحل الاقتصادي للأمة الديمقراطية	٢٩
شروح من الفلسفة الأوجلانية	٣٤
العقد الاجتماعي الجديد في العهد الديمقراطي الجديد	٤٠
تاريخ خركة حرية كردستان بطليعة حزب العمال الكردستانية	٤٤
البنية الحقوقية للأمة الديمقراطية	٥٤
المرأة والحضارة الديمقراطية	٥٩
من هو المرتد؟ وما حكمه؟	٦٣
الكرد يبحثون عن العدالة	٦٩
اللغة والثقافة	٧٤
الثائر لأجل الحرية	٧٧

dengekurdistan72@gmail.com

الافتتاحية.....

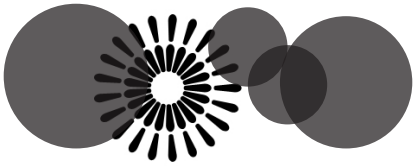

لا خيار آخر

بعد أن تحولت منطقتنا إلى ساحة حرب وصراع لا غالب فيها بين القوى الدولية والإقليمية ولم يهدأ الحراك الشعبي لإيجاد بديل للخلاص من حالة الفوضى التي تعاني منها أغلب البلدان، نظراً لسعي النظام الرأسمالي العالمي إلى رسم تقسيمات أخرى اعتماداً على الاختلافات الدينية والنعرات الطائفية والنزعات القومية، فأنها تكاد أن تقضي على الأنفاس الأخيرة للشعوب التي كانت مثالاً للتضحية من أجل إحياء قيمها الثقافية والاجتماعية والتاريخية التي حرمت منها منذ قرون عديدة تحت نير الاستغلال والهيمنة الدولتية.

إن تحول سوريا إلى ميدان لحرب عالمية ثالثة غيرت من مسار التوازنات وحتى كان له دور رئيسي في اضطرار جميع القوى إلى تغيير أجندتها يومياً وذلك للفوز بحصة الأسد. لكن على ما يبدو ان ضرب القوى الحاكمة الإقليمية منها والدولية على الوتر الحساس لشعوب المنطقة والمتمثل في معتقداته واثارة تعدداياته الدينية والمذهبية من أخطر أنواع السياسات التي ليست بالغريبة عن هذه القوى على مر تاريخها وربما جنت الكثير من وراء هذه السياسة على حساب الشعوب المضطهدة.

ولم تشاهد المنطقة اختلاط الحقيقة مع الرياء ولا قتل المسلم لأخيه المسلم باسم الدين إلى هذا الحد مثلما نشاهده اليوم في العراق وسوريا. هناك أهداف وخطط رامية إلى تصفية المكتسبات الكردية المتمثلة في الإدارة الذاتية الديمقراطية في غرب كردستان ولكن لم يتراجع الشعب الكردي عن ندائه في تحقيق سوريا ديمقراطية رغم جميع هجمات القوى المهيمنة والمجموعات الإرهابية، ويبدي استعداده الدائم في مواصلة الدفاع عن وجوده ووجود جميع المكونات الأخرى من المجتمع السوري. لذا فإن الإدارة الذاتية الديمقراطية الذي تمثل الخط الثالث تعتبر إدارة ديمقراطية بمستطاع جميع المكونات الأخرى أن تعبر عن كلمتها في هذه الإدارة وتواصل إحياء الروابط الأخوية وتمتين أواصرها لإحياء جميع القيم الثقافية والاجتماعية وذلك بتوحيد الصف من دون إقصاء أو تهميش الآخر، لأن ما يقوم به الشعب الكردي اليوم هو دفاع عن قيمه وهويته المتمثلة في ثورة التاسع عشر من تموز المستمرة ضد جميع الهجمات الإرهابية. ومثلما ذكر في ذلك قائد الشعب الكردي «عبدالله اوجلان»: إن ما نحميه ليس فقط حقنا إنما هو وجودنا، ما نحميه هو حق الحياة المشتركة والحرة لكل الشعوب والمذاهب التي تعيش في سلام مع بعضها البعض في المنطقة.»

منظومة المجتمع الكردستانية وأبعاد التحول إلى أمة ديمقراطية

عبد الله أوجلان

يُعَبِّرُ KCK عن التفسيرِ الديمقراطيِّ غيرِ الدولتيِّاني لمبدأِ حقِّ الشعوبِ في تقريرِ مصيرِها فيما يتعلقُ بالقضيةِ الكردية. وينبغي تقييمُه كتحولٍ جذريٍّ على دربِ حلِّ القضيةِ الوطنية. إذ، لَطالما عُمِلَ على حلِّ القضايا الوطنيةِ التي أفرزَتها الحداثةُ الرأسماليةُ بالعقليةِ والبراديغما الدولتيةِ القوميةِ والقوموية. وعُرِضَت الدولةُ القوميةُ بذاتِ نفسِها على أنها عاملٌ أوليٌّ على طريقِ الحلّ.

بحيث إنّ أولَ ما يخطرُ على البالِ عند ذِكرِ القضيةِ الوطنية، هو فكرةُ: «لِتَكُنْ لنا – نحن أيضاً – دولتُنا القومية». وكادَ يتمُّ التفكيرُ بدولةٍ قوميةٍ لكلِّ أثنيةٍ وملّة. ومَن ابتَدَعَ هذا الموقفَ بوجهٍ خاصٍّ هو إنكلترا، التي تلهثُ وراءَ بسطِ هيمنتِها على الصعيدِ العالميّ؛ والتي تبغي تذليلَ عراقيلِ الدولِ العظمى المنتصبةِ أمامها كالإمبراطوريات، وكذلك الدولِ الصغيرةِ التي تتعثرُ بها كدُوَلِ المدن؛ وتهدفُ إلى مزاولةِ سياسةِ «فَرِّقْ تَسُدْ» ميدانياً. حيث إنّ الدولةَ القوميةَ ترتيبٌ لسلطةِ الهيمنةِ المبنيةِ على النظامِ الرأسماليّ، وأفضلُ ترتيبٍ للدولةِ التي تُؤَمِّنُ الربحَ الأعظميَّ والصناعوية. ولكي تُدرَكَ الدولُ القوميةُ بعينٍ صائبة، يجبُ تحليلُ مكانتِها ضمن النظامِ المهيمِن، وعُراها التي تَربطُها بالرأسماليةِ والصناعوية. فالقولُ ببناءِ دولةٍ لكلِّ أثنيةٍ أو مذهبٍ أو قوم، يفيدُ بعولمةِ الرأسماليَة، ويدلُّ بالتالي على الإسهامِ في الارتقاءِ بالاستغلالِ والدمارِ الأيكولوجيِّ إلى أقصى الدرجات. وقد شدَّدنا بإلحاحٍ على أنّ عمليةَ الإسهامِ هذه هي التي آلَت بالاشتراكيةِ المشيدةِ أساساً إلى الانهيار. وحاولنا تحليلَ كونِ هذا الموقفِ هو الذي يُكمنُ ضمنياً وراء الانسدادِ الذي عاناه PKK بصددِ القضيةِ القومية، كونَه اعتمَدَ نظامَ الاشتراكيةِ المشيدةِ أساساً بدايةَ انطلاقِه. ونَوَّهنا إلى أنّ PKK قد قَدَّمَ نقدَه الذاتيَّ مُحَقِّقاً تحولَه المطلوبَ في هذا المضمار. ويتجسدُ النهجُ الأمُّ للتحولِ بشأنِ القضيةِ الوطنيةِ في التراجعِ عن الحلِّ الدولتيِّ القوميّ، والعملِ أساساً بالحلِّ الديمقراطيِّ البديل. والحلُّ الديمقراطيُّ بدورِه يعبِّرُ عن البحثِ عن دمقرطةِ المجتمعِ خارجَ إطارِ الدولةِ القومية. وعلى صعيدِ الاصطلاح، فهو يُقَيِّمُ الدولةَ القوميةَ والرأسماليةَ على أنهما مصدرُ القضايا الاجتماعيةِ المستفحلةِ والمتكاثرة، وليستا حلاً لها.

يُشَكِّلُ ربطُ حلِّ القضايا الوطنيةِ والاجتماعيةِ بالدولةِ القوميةِ الجانبَ الأكثر جُوراً وتعسفاً في الحداثة. فعقدُ الحلِّ على الأداةِ التي تُشَكِّلُ مصدرَ القضايا بالتحديد، إنما يؤدي إلى استفحالِ وتعاظمِ القضايا كالتيهور، وإلى تفشي الفوضى الاجتماعية. ذلك أنّ الرأسماليةَ بذاتِ نفسِها هي الطورُ الأكثر تأزماً من بين أطوارِ نظَامِ المدنية. والدولةُ القوميةُ التي تدخلُ جدولَ الأعمالِ في هذا الطورِ المتأزم، هي أرقى أشكالِ تنظيمِ العنفِ المُبتَكَرِ على مدى تاريخِ المجتمعات. إنها تعني تطويقَ عنفِ السلطةِ للمجتمعِ برمتِه. وهي أداةُ توحيدِ المجتمعِ والبيئةِ إكراهاً، بعدَما عَرَّضَتهما الرأسماليةُ إلى الانحلالِ والتقوضِ من خلالِ الربحِ الأعظميِّ والصناعوية. أما شحنُها بمقدارٍ مفرطٍ وفاحشٍ من العنف، فيتأتى من نزوعِ النظامِ الرأسماليِّ إلى الربحِ الأعظميِّ والمُراكَمةِ

بالدساتير. ومثلما أنه ليس واقعياً المطالبةُ بالحُكم المطلق للدولة، أو بالسيادةِ المطلقةِ للديمقراطية؛ فهو أمرٌ مخالفٌ لروحِ الحلِّ أيضاً.

الحلُّ الديمقراطيُّ في صُلبِه يُدَلِّلُ على كينونةِ الأمةِ الديمقراطية، وعلى ظاهرةِ إنشاءِ المجتمعِ لذاتِه كمجتمعٍ وطنيٍّ ديمقراطيّ. أي إنه لا يعني التحولَ إلى أمةٍ أو الخروجَ منها على يدِ الدولة. بل يعني انتفاعَ المجتمعِ بذاتِ نفسِه من حقِّه في إنشاءِ نفسِه كأمةٍ ديمقراطية.

الحلُّ الديمقراطيُّ في صُلبِه يُدَلِّلُ على كينونةِ الأمةِ الديمقراطية، وعلى ظاهرةِ إنشاءِ المجتمعِ لذاتِه كمجتمعٍ وطنيٍّ ديمقراطيّ

والحالُ هذه، يتعينُ إعادةُ تعريفِ الأمة. يتوجبُ أولاً الإشارةُ إلى عدمِ وجودِ تعريفٍ واحدٍ فقط للأمة. فلدى إنشائِها بيَدِ الدولةِ القَومية، فإنّ أعمَّ تعريفٍ للأمةِ هو أنها أمةُ الدولة. وإذا كان الاقتصادُ هو العاملُ المُوَحِّدُ لصفوفِها، فبالمقدورِ تسميتُها بأمةِ السوق. في حين إنّ الأمةَ التي يَسُودُ فيها القانون هي أمةُ القانون. كما وبالمستطاعِ إطلاقُ تسمياتِ الأمةِ السياسيةِ والأمةِ الثقافيةِ أيضاً. أما المجتمعُ الذي يُوحِّدُه الدين، فيُسمى بالأساسِ مِلّة. والأمةُ هي مجموعُ المِلَلِ المنضويةُ تحت شمسيةِ الدينِ عينِه الذي يُوَحِّدُها. أما الأمةُ الديمقراطية، فهي المجتمعُ المشتركُ الذي يُكَوِّنُه الأفرادُ الأحرارُ والمجموعاتُ الحرةُ بإرادتِهم الذاتية. والقوةُ اللاحمةُ والمُوَحِّدةُ في الأمةِ الديمقراطية، هي الإرادةُ الحرةُ لأفرادِ ومجموعاتِ المجتمعِ الذي قرَّرَ الانتماءَ إلى نفسِ الأمة. بينما المفهومُ الذي يربطُ بين الأمةِ والاشتراكِ في اللغةِ والثقافةِ والسوقِ والتاريخ، فهو يُعَرِّفُ أمةَ الدولة، والتي لا يُمكنُ تعميمُها، أي طرحُها كمفهومٍ وحيدٍ ومطلقٍ للأمة. ومفهومُ الأمةِ هذا، والذي يتبنى الاشتراكيةَ المشيدة؛ هو مضادٌّ للأمةِ الديمقراطية. ونخصُّ بالذِكرِ أنّ هذا التعريفَ الذي صاغَه ستالين بشأنِ روسيا السوفييتية، هو أحدُ أهمِّ الأسبابِ الكامنةِ وراء انهيارِ الاتحادِ السوفييتيّ. وإذ ما لَم يتحققْ تخطي تعريفِ الأمةِ هذا الذي صبغَته الحداثةُ الرأسماليةُ بالطابعِ المطلق، فإنّ حلَّ القضايا الوطنيةِ سيستمرُّ في المعاناةِ من حالَةِ تأزمٍ لا مخرجَ منها بكلِّ معنى الكلمة. وكونُ القضايا الوطنيةِ لا تنفَكُّ مستمرةً حتى الآن وبكلِّ وطأتِها طيلةَ سياقٍ يمتدُّ لأكثر من ثلاثةِ قرونٍ بأكملِها، إنما هو على علاقةٍ كثيبةٍ بهذا التعريفِ الناقصِ والمطلق.

وهذا النمطُ من المجتمعاتِ الوطنيةِ التي قُدِّرَ لها الخضوعُ لحدودِ الدولةِ القوميةِ الصارمة، والتي تغلغلَت السلطةُ حتى أدقِّ خلاياها؛ كادت تصبحُ ساذجةً ومغفلةً بقصفِها بالأيديولوجياتِ القوميةِ والدينويةِ والجنسويةِ والوضعية. أي إنّ موديلَ الدولةِ القوميةِ بالنسبةِ إلى المجتمعات، هو مصيدةٌ أو شبكةُ قمعٍ واستغلالٍ بكلِّ معنى الكلمة. في حين إنّ مصطلحَ الأمةِ الديمقراطيةِ يَقلبُ هذ التعريفَ رأساً على عقب. فتعريفُ الأمةِ الديمقراطيةِ غيرِ المرسومةِ بحدودٍ سياسيةٍ قاطعة، وغيرِ المنحصرةِ بمنظورٍ واحدٍ فقط للُّغةِ أو الثقافةِ أو الدينِ أو التاريخ؛ إنما يعَبِّرُ عن شراكةِ الحياةِ التي يَسُودُها التعاضدُ والتعاونُ فيما بين المواطنين والمجموعاتِ على خلفيةِ التعدديةِ والحريةِ والمساواة. هذا ويستحيلُ تحقيقُ المجتمعِ الديمقراطيّ، إلا من خلالِ هكذا نموذجٍ للأمة. في حين إنّ مجتمعَ الدولةِ القوميةِ منغلقٌ على الديمقراطيةِ بحُكمِ طبيعتِه. حيث إنّ الدولةَ القوميةَ لا تُعبِّرُ عن واقعٍ مناطقيٍّ ولا كونيّ. بل على النقيض، فهي تعني إنكارَ كلِّ ماً هو كونيٌّ أو مناطقيٌّ محليّ. ذلك أنّ مواطَنةَ المجتمعِ النمطيِّ دليلٌ على موتِ الإنسان. ومقابل ذلك، فالأمةُ الديمقراطيةُ تُمَكِّنُ من إعادةِ إنشاءِ المناطقيِّ والكونيّ، وتُؤَمِّنُ للواقعِ الاجتماعيِّ فرصةَ التعبيرِ عن نفسِه. أما تعاريفُ الأممِ الأخرى، فجميعُها تحتلُّ أماكنَها بين هذَين النموذجَين الرئيسيَّين.

بالرغم من التعاريفِ مترامية الآفاقِ بصددِ نماذجِ إنشاءِ الأمة، إلا أنه بالمستطاعِ صياغةُ تعريفٍ عامٍّ يشملُها جميعاً. ألا وهو التعريفُ القائلُ بكَونِ الأمةِ معنيةً بالذهنيةِ والوعيَ والعقيدة. والأمةُ في هذه الحالةِ هي مجموعُ الأناسِ الذين يتشاطرون عالَماً ذهنياً مشتركاً. وعليه، فحدودُ الدينِ واللغةِ والثقافةِ والسوقِ والتاريخِ والسياسةِ ليست مُعَيِّنةً في تعريفِ الأمةِ هذا، بل تؤدي دوراً مُجَسِّماً لا أكثر. وتعريفُ الأمةِ في الأساسِ بناءً على حالةٍ ذهنيةٍ ما، يتسمُ بطابعٍ ديناميكيّ. وبينما تتركُ القوميةُ بصماتِها على الذهنيةِ المشتركةِ لدى أمةِ الدولة، فإنّ ما يضفي صبغتَه على الأمةِ الديمقراطيةِ هو وعيُ الحريةِ والتعاضد. لكنّ تعريفَ الأممِ بالحالاتِ الذهنيةِ فحسب، يُبقي ذاك التعريفَ معلولاً ناقصاً. فكيفما أنه لا وجود للذهنياتِ من دونِ جسد، فالأممُ أيضاً غيرُ ممكنةٍ إلا بوجودِ الجسد. وجسدُ الأممِ ذاتِ الذهنيةِ القومية، هو مؤسسةُ الدولة. وبالأصل، تسمى مثل تلك الأممِ بالدولةِ القوميةِ انطلاقاً من بدنِها ذاك. وعندما تطغى المؤسساتُ القانونيةُ أو الاقتصادية، فبالمقدورِ تمييزُ مثل تلك الأممِ بنعتِها بأمةِ السوقِ أو أمةِ القانون. أما بدنُ الأممِ المتمحورةِ حول الحريةِ والتعاضد، فهو شبهُ الاستقلالِ الديمقراطيّ. أي إنّ شبهَ الاستقلالِ الديمقراطيّ يعني أساساً قيامَ الأفرادِ والمجموعاتِ التي تتشاطرُ ذهنياتٍ متقاربةٍ بإدارةِ نفسِها بإرادتِها الحرة. هذا وبالإمكانِ تسميةُ ذلك بالإدارةِ الديمقراطية أو الاقتدارِ الديمقراطيّ. وهو تعريفٌ منفتحٌ على الكونية.

المتواصلة. حيث يستحيلُ تفعيلُ قوانين التكديس الرأسماليّ، أو تأمينُ سيرورةِ الصناعوية؛ في حالِ غيابِ تنظيمٍ عنفيٍّ من قبيلِ نمطِ الدولةِ القومية. وعليه، يواجهُ المجتمعُ والبيئةُ حالةَ تناثرٍ وتبعثرٍ تامٍّ في عصرِ الرأسماليةِ الماليةِ العالمية، التي تُعَدُّ آخِرَ مرحلةٍ تمَّ بلوغُها. فالأزماتُ التي كانت دوريةً في بدايتِها، اكتسبَت طابعاً دائمياً وبنيوياً. وفي هذه الحال، فقد تحولَت الدولةُ القوميةُ بعينِها أيضاً إلى عائقٍ يُغلِقُ النظامَ القائمَ ويَسُدُّه كلياً. وهكذا فحتى الرأسمالية، التي تُعتَبَرُ بنفسِها بنيةً متأزمة، قد أدرجَت موضوعَ الخلاصِ من عائقِ الدولةِ القوميةِ على رأسِ أجندتِها. إنّ حاكميةَ الدولةِ القوميةِ ليست فقط مصدراً للقضايا الاجتماعية، بل وهي في الوقتِ عينِه حجرُ عثرةٍ أساسيٌّ على دربِ حلِّها. وقيامُ الطبقةِ الرأسماليةِ الحاكمةِ بتَصَوُّرِ نظامٍ كهذا على أنه أداةُ الحلِّ بالنسبةِ إلى المجتمعِ والشعوبِ والكادحين، هو أمرٌ يخالفُ طبيعةَ المجتمع، بل ويعني إنكارَها. بناءً عليه، يتعينُ اتخاذُ النموذجِ الديمقراطيِّ أساساً في حلِّ القضايا الوطنيةِ التي هي أهمُّ جزءٍ من القضايا الاجتماعية؛ وذلك انطلاقاً من طبيعةِ المجتمعِ والشعوبِ والكادحين من جهة، وبسببِ عائقِ الدولةِ القوميةِ للنظامِ المهيمنِ من الجهةِ الثانية.

إنّ نموذجَ الحلِّ الديمقراطيِّ ليس مجردَ خيارِ حلٍّ فقط، بل وهو أسلوبُ الحلِّ الأول. ولَئِنْ كانت الحركاتُ الاشتراكيةُ والتحرريةُ الوطنيةُ تروم إلى إحرازِ النجاح، فعليها بعدمِ البحثِ عن الحلِّ خارجَ نطاقِ الديمقراطية. بينما كافةُ الميولِ الديكتاتورية، بيمينِها ويسارِها ومركزِها، لن تَقومَ إلا بتجذيرِ وتوطيدِ حالةِ العقم، وبتصييرِ الرأسماليةِ نَهّابةً وسَلاّبةً وافتراضيةً أكثر. هذا وينبغي عدمُ تَصَوُّرِ نموذجِ الحلِّ الديمقراطيِّ على أنه دولةٌ قوميةٌ موحَّدةٌ صائرةٌ في هيئةٍ فيدراليةٍ أو كونفدرالية. أي إنّ الحالةَ الفيدراليةَ أو الكونفدراليةَ للدولةِ القوميةِ ليست بحلٍّ ديمقراطيّ. بل إنها حلولٌ مرتكزةٌ إلى أشكالٍ مختلفةٍ من الدولة، ولن تذهبَ في دورِها أبعدَ من زيادةِ وطأةِ القضايا مرةً أخرى. قد يَكُونُ تحويلُ الدولةِ القوميةِ المركزيةِ الصارمةِ إلى أشكالٍ فيدراليةٍ أو كونفدرالية، سيُطَوِّعُ القضايا ويجلبُ حلولاً نسبيةً لها وفق مَنطقِ النظامِ الرأسماليّ؛ ولكنه محالٌ أنْ يفضيَ إلى حلولٍ جذرية. بالإمكانِ اختبارُ وتجريبُ الأشكالِ الفيدراليةِ والكونفدراليةِ كأدواتِ حلٍّ فيما بين قوى الحلِّ الديمقراطيِّ وقوى الدولتيةِ القومية. لكنّ عقدَ الأملِ على الحلولِ الجذريةِ تأسيساً على استخدامِ تلك الأدوات، لا يعني سوى خداعَ الذاتِ وتضليلَها ثانيةً. ونحن على علمٍ بأنّ شكلَ الدولةِ الذي أسمَيناه بالدولةِ التحرريةِ الوطنيةِ أو بدولةِ الاشتراكيةِ المشيدة، ما هو سوى دولةٌ قوميةٌ مُموَّهةٌ بالقناعِ اليساريّ. حيث تبدى للعيانِ جلياً أنها أنظمةٌ أكثر ديكتاتوريةً وانفتاحاً على الفاشية.

من عظيمِ الأهميةِ التبيانُ بأنّ نموذجَ الحلِّ الديمقراطيِّ ليس منفصلاً كلياً عن الدولةِ القومية. إذ بمقدورِ الديمقراطيةِ والدولةِ القوميةِ أنْ تلعبا دورَهما كسيادتَين تحت السقفِ السياسيِّ عينِه. والدستورُ الديمقراطيُّ هو الذي يرسمُ الحدودَ الفاصلةَ بين مساحتَي نفوذِهما. وإلى جانبِ خطوِ الاتحادِ الأوروبيِّ بعضَ الخطواتِ في هذا المنحى، إلا إنّ الجانبَ الطاغيَ هنا هو سيطرةُ الدولةِ القومية. لكنّ المَيلَ السائدَ في عمومِ أرجاءِ العالَم، هو في اتجاهِ تجاوُزِ الدولةِ القومية. ويستندُ أهمُّ تحولٍ سياسيٍّ يشهدُه العالَم، إلى تخطي الدولةِ القوميةِ نظرياً وعملياً. وبقدرِ ما يُصَيِّرُ الحلُّ الديمقراطيُّ نفسَه نظامياً وشبهَ مستقلّ، فسيُساهمُ بالمِثلِ حينها في إنجازِ التحولِ السياسيّ. وتحوُّلُ الدولةِ في الاتجاهِ الإيجابيّ، إنما هو متعلقٌ عن كثبٍ بتحقيقِ الدمقرطة، وشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيّ، وإنشاءِ الأمةِ الديمقراطية، وإحلالِ الديمقراطيةِ المحلية، وإرساءِ ثقافةِ الديمقراطيةِ في المجالاتِ الاجتماعيةِ قاطبة.

KCK هو التعبيرُ الملموسُ للحلِّ الديمقراطيِّ في سياقِ القضيةِ الكردية. وهو مختلفٌ عن المواقفِ التقليدية. ولا يرى الحلَّ في اقتطاعِ حصتِه من الدولة. بل وحتى إنه لا ينساقُ وراء دولةٍ للكردِ بمعناها شبهِ الاستقلاليّ. وكيفما أنه لا يتطلعُ إلى بناءِ دولةٍ فيدراليةٍ أو كونفدرالية،، فهو أيضاً لا يَعتَبِرُها حلاً خاصاً به. ومطلبُه الأوليُّ من الدولة، هو اعترافُها بحقِّ الكردِ في إدارةِ أنفسِهم بأنفسِهم وبإرادتِهم الحرة، وعدمُ زرعِها العراقيل على دربِ تحولِهم إلى مجتمعٍ وطنيٍّ ديمقراطيّ. فإذا كانت الدولُ القوميةُ الحاكمةُ ملتزمةً بالمَبدأِ الديمقراطيِّ فعلاً، لا قولاً؛ فحتى لو لَم تناصرْ المجتمعَ الديمقراطيّ، فعليها ألا تعيقَه أو تفرضَ عليه الحظر. لا تُطَوِّرُ الدولُ أو الحكوماتُ الحلَّ الديمقراطيّ. بل إنّ القوى الاجتماعيةَ بالتحديد هي المسؤولةُ عن الحلّ، حيث تبحثُ عن الوفاقِ مع الدولِ أو الحكوماتِ على هدى الدستورِ الديمقراطيّ. أي إنّ تشاطُرَ الإدارةِ والتوجيهِ بين القوى الاجتماعيةِ الديمقراطيةِ وقوى الدولةِ أو الحكومةِ المعنية، يتمُّ تحديدُه

وعلى ضوءِ هذه التعاريفِ العامةِ بشأنِ الأمة، فإنّ KCK يرفضُ المواقفَ الدولتيةَ القوميةَ في حلِّ القضيةِ الوطنيةِ الكردية، ويعملُ أساساً بمقتضى تجسيدِ النموذجِ الوطنيِّ الديمقراطيِّ وحقِّ الكردِ في التحولِ إلى أمةٍ أو إلى ظاهرةِ المجتمعِ الوطنيِّ مُجَسَّماً في هيئةِ شبهِ الاستقلالِ الديمقراطيّ. ما يَسري هنا هو تعريفُ أمةٍ بجسدٍ واحدٍ منفتحٍ على تعريفِ أمةٍ عليا تتألفُ بِمَعيّةِ الأمم الأخرى كالأمةِ التركيةِ على سبيلِ المثال. هذا وبالإمكانِ توسيعُ نطاقِ تعريفِ الأمةِ العليا، بحيث تحتضنُ العديدَ من الأمم بين طواياها. وباستطاعتِنا تَصَوُّرُ الأمةِ الإسلاميةِ نموذجاً بدئياً لهذا التعريف. وترجحُ كفةُ الاحتمالِ باتجاهِ توحيدِ الثقافاتِ الاجتماعيةِ للشرقِ الأوسطِ في بوتقةِ مِلّةٍ – أمةٍ مشتركة، أي أمةٍ مستَحدَثة، عاجلاً كان أم آجلاً.

KCK يرفضُ المواقفَ الدولتيةَ القوميةَ في حلِّ القضيةِ الوطنيةِ الكردية، ويعملُ أساساً بمقتضى تجسيدِ النموذجِ الوطنيِّ الديمقراطيِّ وحقِّ الكردِ في التحولِ إلى أمةٍ

بالمقدورِ التفكيرُ أولاً ببُعدَين اثنَين، فيما يخصُّ تحولَ الكردِ إلى أمةٍ على هدى تلك المصطلحاتِ الأساسية. أولُهما البُعدُ الذهنيّ. نتكلمُ هنا عن البُعدِ الوجوديِّ لِمَن يتشاطرون عالَماً ذهنياً (عالَم الذهنية المشتركة) عامراً بمشاعرِ التعاضدِ والتكافلِ المشترك، ويوحِّدُ حالاتِهم الواعيةَ المعنيةَ بحقولِ اللغةِ والثقافةِ والتاريخِ والاقتصادِ والتوزعِ السُّكّانيّ، دون إهمالِهم لآفاقِهم الأساسيةِ الخاصةِ بهم ضمن إطارِ تلك الحقول. والقسطاسُ الأوليُّ في هذا البُعد، هو التشاطرُ الذهنيُّ لخيالِ أو مشروعِ عالَمٍ حرٍّ ومتساوٍ مرتكزٍ إلى الاختلافِ والتباين. كما وبمقدورِنا وَصفُ عالَمِ الذهنيةِ ذاك بالعالَمِ الكومونياليِّ أو اليوتوبيا الكوموناليةِ للأفرادِ الأحرار. المهمُّ هنا هو الإحياءُ الدائمُ لذهنيةِ المساواةِ والحريةِ التي لا تدحضُ أوجُهَ التباين، وتحقيقُ انتعاشِها في الحيزِ العامّ، وفي العالَمِ الأخلاقيِّ والسياسيِّ للمجتمع. أي، العيشُ بالذهنيةِ الديمقراطيةِ على مدارِ الساعة. البُعدُ الثاني هو الجسدُ الذي سيَركُنُ إليه العالَمُ الذهنيّ. المقصودُ من البدن، هو إعادةُ ترتيبِ الوجودِ الاجتماعيِّ بموجبِ العالَمِ الذهنيّ. كيف سيُعادُ ترتيبُ المجتمعِ بموجبِ عالَمِ ذهنيةِ الأمةِ التي يشتركُ الجميعُ في تشاطُرِها؟ أيُّ معيارٍ معمارِيٍّ سيُطَبَّقُ على الوجودِ الجسديّ؟ باقتضاب، فتعريفُ البُعدِ الجسديِّ يتمثلُ في إعادةِ ترتيبِ الطبيعةِ الاجتماعيةِ (وبيئتِها) المتبقيةِ من الماضي الغابرِ والتقاليدِ القديمة، والتي رتَّبَتها – أو بَعثَرَتها ونَثَرَتها – الحداثةُ الرأسمالية، بحيث صَيَّرَتها مَريضةً ومتأزمةً وقمعيةً واستغلاليةً إلى أقصى الدرجاتِ (بما في ذلك الممارساتُ التي تبلغُ حدَّ الإبادةِ الثقافية) بما يتماشى ومآربَها المُغرِضة.

يتطلبُ البُعدُ الذهنيُّ فرزاً محدوداً، نظراً لاهتمامِه بعالَمِ الفكرِ والخيالِ ومشاعرِ التعاضدِ فيما بين مجموعِ الأفرادِ والمجموعاتِ الطامحين في التحولِ إلى أمة. وما يتصدرُ هذه الأنشطةَ العمليةَ في سبيلِ ذلك، هو إعطاءُ التدريبِ العلميِّ والفلسفيِّ والفنيِّ (والدينيّ أيضاً)، وافتتاحُ المدارسِ اللازمةِ لهذا الغرض. ذلك أنّ شحذَ الذهنِ والعاطفةِ فيما يتعلقُ التحولَ إلى أمة، هو وظيفةُ تلك المدارس. وبقدرِ الاعتناءِ بالوجودِ التاريخيِّ والاجتماعيّ، فإنّ المحورَ الأساسَ هنا هو وعيُ الحاضرِ والثقافةِ الاجتماعيةِ المعنيةِ بالعصرِ الحاليّ، وتشاطُرُ جوانبُها الصائبةُ والفاضلةُ والجميلةُ على شكلِ أفكارٍ ومشاعرَ مشتركة. باختصار؛ فالمَهَمّةُ الذهنيةُ الأوليةُ المتجسدةُ في هيئةِ KCK، هي تَصَوُّرُ الكردِ أمةً قائمةً بذاتِها، على صعيدِ عالَمِ الفكرِ والمشاعرِ الفاضلةِ والصحيحةِ والجميلةِ المُشتركةِ فيما يخصُّ نشوءَهم. وبتعبيرٍ آخر، إنها خلقُ كينونةِ الأمةِ لدى الكردِ بالثورةِ العلميةِ والفلسفيةِ والفنية، وإبداعُ عالَمِ الفكرِ والمشاعرِ الأساسيِّ لهذه الكينونة؛ والتشاطرُ الحرُّ لانفراجِ وانشراحِ الحقيقةِ العلميةِ والفلسفيةِ (الأيديولوجية) والفنيةِ للواقعِ الكرديّ. والسبيلُ إلى ذلك هو التفكيرُ الذاتيّ، وتَلَقّي التدريبِ الذاتيّ، وتشاطُرُ الفاضل، والعيشُ بجمالية. والنقطةُ الأوليةُ التي يُمكنُ مطالبةُ الدولِ القوميةِ الحاكمةِ بتلبيتِها على الصعيدِ الذهنيّ، هي الالتزامُ التامُّ بحريةِ الفكرِ والرأيِ والتعبير. ولَئِنْ كانت الدولُ القوميةُ ترغبُ في العيشِ المشتركِ مع الكردِ في ظلِّ معاييرَ مشتركة، فعليها احترامُ قيامِ الكردُ بتكوينِ عالَمِهم الفكريِّ والعاطفيِّ الخاصِّ بهم، وبالارتقاءِ بأنفسِهم إلى منزلةِ مجتمعٍ وطنيٍّ مُحَصَّنٍ بفوارقِهم وتباياناتِهم؛ وعليها تضمينُ حريةِ الفكرِ والرأيِ والتعبيرِ بدستور، كشرطٍ لا بدّ منه. ذلك إنّ الطريقَ المؤديةَ إلى تشكيلِ أمةٍ مشتركة، تمرُّ من الامتثالِ الكاملِ بحريةِ الفكرِ والرأي.

الطريقُ الثاني على دربِ التحولِ إلى أمةٍ ديمقراطية، هو إعادةُ ترتيبِ النشوءِ الجسديّ. هذا ويتسترُ شِبهُ الاستقلالِ الديمقراطيِّ في رُكنِ البُعدِ الجسديّ. وبالمقدورِ صياغةُ تعريفٍ عامٍّ وآخر ضيقٍ بصددِ شبهِ الاستقلالِ الديمقراطيّ. فهو بمعناه الواسعِ يعني الأمةَ الديمقراطيةَ التي لها أبعادُها المتوزعةُ على مساحاتٍ أوسع. إذ يُمكنُ تعريفُه بنطاقٍ عامٍّ من خلالِ أبعادِه الثقافيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والقانونيةِ والدبلوماسيةِ وغيرِها. أما بالمعنى الضيق، فشبهُ الاستقلالِ الديمقراطيِّ يفيدُ بالبُعدِ السياسيّ، أو بعبارةٍ أخرى: إنه يدلُّ على الاقتدارِ الديمقراطيِّ أو الإدارةِ الديمقراطية. هذا ويعاني بُعدُ شبهِ الاستقلالِ الديمقراطيِّ على دربِ التحولِ إلى أمةٍ ديمقراطيةٍ

من إشكالياتٍ أكثر استعصاءً مع الدولِ القوميةِ الحاكمة، التي عادةً ما تطعنُ بشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيِّ وتدحضُه، ولا تَميلُ إلى الاعترافِ به كحقٍّ مشروع، ما لَم تستدعِ الضرورة. من هنا، فالاعترافُ والقبولُ بشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيِّ بالنسبةِ إلى الكرد، يكمنُ في أساسِ الوفاقِ مع الدولِ القومية. ذلك أنه يُشَكِّلُ الحدَّ الأدنى للعيشِ المشتركِ مع الدولِ القوميةِ للأثنياتِ الحاكمةِ تحت سقفٍ سياسيٍّ جامع. وأيُّ اختيارٍ أدنى منه مرتبةً، لن يعنيَ حلَّ القضية، بل تجذُّرَ العقمِ وتصعيدَ أجواءِ الصراعِ والاشتباك. ونخصُّ بالذِّكرِ أنّ الرأسماليةَ الإنكليزيةَ قد صاغَت مؤخَّراً مشروعَ «الحقوق الفردية والثقافية» الليبراليّ، كي تتمكنَ من توجيهِ طبقتِها العاملةِ ومستعمَراتِها بسهولةٍ أكبر؛ وتعملُ على تنفيذِه داخل الجمهوريةِ التركيةِ أيضاً بيَدِ AKP. إلا إنّ هذا المشروعَ الغريبَ عن ثقافةِ الشرقِ الأوسط، لن يُجديَ نفعاً سوى في تصعيدِ أوساطِ الصِّدامِ والنزاع. أما شبهُ الاستقلالِ الديمقراطيّ، فهو أفضلُ مشاريعِ الحلِّ المُصاغةِ لصالحِ الدولةِ القومية. وأيُّ فكرةٍ أو تجربةٍ أقَلُّ مستوى منه، لن تفيدَ سوى في خدمةِ أجواءِ الحربِ والصراعِ المستفحلة.

بالوسعِ تطبيقُ حلِّ شبهِ الاستقلالِ الديمقراطيِّ عن طريقَين: يعتمدُ الطريقُ الأولُ الوفاقَ مع الدولِ القومية، ويَجِدُ تعبيرَه الملموسَ في حلِّ الدستورِ الديمقراطيّ. وهو يحترمُ ميراثَ الشعوبِ والثقافاتِ التاريخيَّ – الاجتماعيّ، ويَعتَبِرُه أحدَ الحقوقِ الدستوريةِ الأساسيةِ التي لا استغناءَ لها عنها للتعبيرِ عن نفسِها وتنظيمِ ذاتِها ونيلِ حريتِها. وشبهُ الاستقلالِ الديمقراطيّ مبدأٌ رُكنٌ لهذه الحقوق. وأولُ شرطٍ لهذا المبدأِ الثابت، هو تراجُعُ الدولةِ القوميةِ الحاكمةِ عن شتى سياساتِها في الإنكارِ والإبادة، وتخلي الأمةِ المضطهَدةِ أيضاً عن فكرةِ بناءِ دولتِيتِها القوميةِ الذاتيةِ الخاصةِ بها. بمعنى آخر، من العصيبِ للغاية أنْ يَرى مشروعُ شبهِ الاستقلالِ الديمقراطيِّ النورَ على أرضِ الواقع، ما لَم تتخلَّ كِلتا الأمتَين عن ميولِها الدولتية. والمحطةُ التي بلغَتها بلدانُ الاتحادِ الأوروبيِّ بعد خبرةٍ طويلةٍ على دربِ الدولةِ القوميةِ دامت ثلاثةَ قرونٍ بحالِها، هو قبولُها بكونِ شبهِ الاستقلالِ الديمقراطيِّ هو أفضلُ نموذجٍ لحلِّ القضايا الإقليميةِ والقوميةِ وقضايا الأقلياتِ التي تعاني منها الدولُ القومية.

وفيما يخصُّ حلَّ القضيةِ الكرديةِ أيضاً، فالسبيلُ الأساسيُّ المبدئيُّ والثمينُ والذي لا يستندُ إلى الانفصاليةِ أو العنف، إنما يمرُّ من القبولِ بشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيّ. وجميعُ الطرقِ عدا هذا السبيلِ تؤدي إلى إرجاءِ القضايا وإمهالِها، وبالتالي إلى توطيدِ الانسدادِ العقيمِ أكثر، أو تفضي إلى تصعيدِ الاشتباكاتِ وحصولِ الانفصال. وتاريخُ القضايا الوطنيةِ عامرٌ بالأمثلةِ على هذا الصعيد. ونَعيمُ بلدانِ الاتحادِ الأوروبيِّ بالرفاهِ والغنى ضمن أجواءٍ يعمُّها السلام خلال العقودِ الستةِ الأخيرة، بعدما كانت مهدَ الاشتباكاتِ والنزاعاتِ الوطنية؛ إنما أصبحَ ممكناً بقبولِها لشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيّ، وبتطويرِها المواقفَ والممارساتِ المرنةَ والخلّاقةَ لحلِّ قضاياها الإقليميةِ والوطنيةِ وقضايا الأقلياتِ لديها. أما في الجمهوريةِ التركية، فالعكسُ هو الذي سرى. فالدولةُ القوميةُ المُرادُ إكمالُها وتتويجُها بسياسةِ الإنكارِ والإبادةِ بحقِّ الكرد، قد زجّت الجمهوريةَ في معمعانِ إشكالياتٍ ضخمةٍ لا تُطاق، وأقحمَتها في أجواءٍ من الأزماتِ المتواصلة، والانقلاباتِ العسكريةِ التي يُلجَأُ لها كلَّ عشرِ سنوات، ونظامِ الحربِ الخاصةِ المُسَيَّرةِ على يدِ الغلاديو. وعليه، فلن تستَطيعَ الدولةُ القوميةُ التركيةُ بلوغَ الرفاهِ والسعادةِ والغنى، أو ترسيخَ أجواءِ السلامِ الوطيدِ كجمهوريةٍ علمانيةٍ وديمقراطيةٍ طبيعيةٍ قانونية؛ إلا تماشياً مع مدى تخليها عن كلِّ ضروبِ سياساتِها الداخليةِ والخارجيةِ تلك، وتراجُعِها عن ممارساتِ نظامِها ذاك، واعترافِها بشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيِّ لجميعِ الثقافاتِ عموماً (بما في ذلك الثقافتان التركمانيةُ والتركية)، وللوجودِ الثقافيِّ الكرديِّ على وجهِ الخصوص.

طريقُ الحلِّ الثاني لشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيّ، هو تطبيقُ مشروعِه بشكلٍ أحاديِّ الجانبِ ولا يعتمدُ على الوفاقِ مع الدولِ القومية. حيث يطبِّقُ أبعادَ شبهِ الاستقلالِ الديمقراطيِّ على أرضِ الواقعِ بمعناها العامّ، مُؤَمِّناً بذلك حقَّ الكردِ في التحولِ إلى أمةٍ ديمقراطية. لا جدالَ أنه في هذه الحالةِ ستزدادُ الاشتباكاتُ حِدّةً مع الدولِ القوميةِ الحاكمة، التي لن تعترفَ بطريقِ التحولِ أحاديِّ الجانبِ إلى أمةٍ ديمقراطية. ومقابلَ هجماتِ الدولِ القوميةِ فُرادى أو جَمعاً (إيران – سوريا – تركيا)، فإنّ الكردَ في هذه الحالِ لن يَجِدوا أمامَهم خياراً سوى «الانتقال إلى وضعِ الحربِ والنفيرِ العامِّ بهدفِ صونِ وجودِهم والعيشِ بحرية». ولن يتقاعسوا عن تسخيرِ قواهم الذاتيةِ في تحقيقِ وتطويرِ تحوُّلِهم إلى أمةٍ ديمقراطيةٍ بكلِّ أبعادِها على خلفيةِ الدفاعِ الذاتيّ؛ إلى أنْ تُفرزَ الحربُ وفاقاً ما، أو يتوطَّدَ الاستقلال.

أما الأبعادُ التفصيليةُ للأمةِ الديمقراطيةِ التي قد تُنشَأُ على أرضيةِ هذَين الطريقَين، فبالإمكانِ ترتيبُها على النحوِ التالي:

- ثقافة الأمة الديمقراطية:

البُعدُ الثقافيُّ عاملٌ هامٌّ في نشوءِ الأمم.

وبالمعنى الضيق، تُعَبِّرُ الثقافةُ عن الذهنيةِ التقليديةِ والحقيقةِ العاطفيةِ للمجتمعات. ويُشَكِّلُ الدينُ والفلسفةُ والميثولوجيا والعلمُ ومختلفُ الحقولِ الفنيةِ ثقافةَ مجتمعٍ ما بالمعنى الضيق، ويَعكسُ حالتَه الروحيةَ والعقلية. بينما يتعرضُ العالَمُ الثقافيُّ لتحريفٍ وتحطيمٍ كبيرَين، أثناء تشييدِ الدولةِ القوميةِ أو تكوينِ الأممِ بيَدِ الدولة. فالحداثةُ الرأسماليةُ لا تَقبلُ بالتقاليدِ بكلِّ ما تملكُ من حقائق كما هي عليه. بل تنتهلُها منها، بعدَما تصطفي ما ينفعُها منها، وتُطرئُ التحولَ عليها بناءً على مصالحِها هي. وهكذا، فما تَمهرُه بمُهرِ التاريخِ الثقافيِّ عارضةً إياه على المجتمعِ والفرد، إنما هو شيءٌ مختلفٌ كلَّ الاختلاف. إنه اللاتاريخُ باسمِ التاريخ، واللاثقافةُ باسمِ الثقافة. وبعبارةٍ أخرى، إنها تنتقي من بين تاريخِ وثقافةِ البَشريةِ بالكاملِ ما يلائمُ المنظورَ المنفعيَّ والغرائزَ المَصلحيةَ للرأسمالية، لتسردَه أمامنا وكأنها ترسمُ لوحةً جديدةً تماماً. وبهذا المعنى، فالحداثةُ الرأسماليةُ والدولةُ القوميةُ التي تُعَدُّ المُكَوِّنَ الأهمَّ لديها، تُشَكِّلان حركةً مُريعةً في تعتيمِ وتشويهِ التقاليدِ والثقافة. إنهما ضربةٌ قاضيةٌ تلحقُ بالتاريخِ والثقافةِ على صعيدِ الحقيقة. حيث لا يُمكنُها البتة شرعنةُ قاعدةِ الربحِ الأعظميِّ وتكديسِ رأسِ المالِ المتحققةِ بمنوالٍ آخر. أي إنّ الحداثةَ والدولةَ القوميةَ عاجزتان عن تحقيقِ كينونتِهما، من دونِ إعادةِ إنشاءِ التاريخِ والثقافةِ حسبما تشاءان. بمعنى آخر، فحقيقةُ الحداثةِ والدولةِ القوميةِ البارزةُ إلى الوسط، هي واقعٌ مغاير، بل وحقيقةٌ مختلفةٌ كلَّ الاختلافِ عن التاريخِ والثقافة.

تسعى الأمةُ الديمقراطيةُ إلى تكوينِ نفسِها، بإعادةِ المعنى الحقيقيِّ إلى التاريخِ والثقافة. أي، وكأنّ التاريخَ والثقافةَ المُعَرَّضَين للتشويهِ والإبادةِ يشهدان النهضةَ في خضمِّ التحولِ الوطنيِّ الديمقراطيّ. وبالأساس، فالنهضةُ المُعاشةُ في أوروبا أثناءَ طوي صفحةِ العصورِ الوسطى، كانت تعني عودةَ انتعاشِ أو انبعاثِ التاريخِ والثقافةِ الإغريقيَّين والرومانيَّين. ثم حذَت كافةُ البلدانِ والأقوامِ الأوروبيةِ حذوَ المثالِ الإيطاليّ، وانطلقَت لإنجازِ نهضتِها، مسجِّلةً النجاحَ في تحولِها الوطنيِّ الديمقراطيّ. لقد كان مفادُ ذلك عودةُ التقاءِ كلِّ شعبٍ بتاريخِه وثقافتِه الذاتيَّين من خلالِ تجاوزِ النزعةِ الكاثوليكيةِ العالمية،

كلُّ دولةٍ قوميةٍ هي ثورةٌ مضادة. إنها ديكتاتوريةُ وفاشيةُ الرأسماليةِ والبورجوازيةِ وشركائِهما

وعودةُ إنشاءِ نفسِه أمةً ديمقراطية. أي إنّ العناصرَ النابعةَ من التاريخِ والثقافةِ هي التي كانت سائدةً بدايةَ التحولِ الوطنيِّ في أوروبا. وتلك العناصرُ كانت أساساً تُشَكِّلُ تاريخَ الشعوبِ والأقوامِ وثقافاتِها. وعليه، كانت الميولُ الديمقراطيةُ هي الطاغيةُ ضمن الأممِ الناشئة. لكنّ تصاعدَ الميولِ الطبقيةِ لدى البورجوازيةِ فيما بعد، وبسطَها هيمنتَها في الثورةِ الفرنسيةِ خصيصاً؛ قد حوَّلَ طابعَ الأمةِ الديمقراطيةِ إلى أمةِ دولةٍ ممهورةٍ بخاتمِ السلطةِ والدولة. وفي واقعِ الأمر، فما حصلَ في جميعِ الثوراتِ الأوروبيةِ تتصدرُها الثورةُ الفرنسيةُ الكبرى – بما في ذلك الثورةُ الروسيةُ أيضاً، ولو أتت متأخراً – كان نشوبَ الثورةِ المضادةِ على يدِ الدولةِ القوميةِ في وجهِ الأمةِ الديمقراطيةِ وثورةِ الأمةِ الديمقراطية. أي إنّ الدولةَ القوميةَ كانت أكبرَ حركةِ ثورةٍ مضادةٍ مُنجَزةٍ ضد الثوراتِ الديمقراطيةِ الكبرى التي أطلقَها الكادحون والشعوبُ الأوروبية. وبتعبيرٍ آخر، فكلُّ دولةٍ قوميةٍ أو كلُّ نزعةٍ قوميةٍ مُحَقَّقةٍ بيَدِ الدولةِ في عمومِ أوروبا ثم في كافةِ أرجاءِ المعمورة، هي حركاتُ ثورةٍ مضادةٍ كبرى شنَّتها الرأسماليةُ والبورجوازيةُ ضد الاشتراكيةِ والبروليتاريا وثوراتِ الأمةِ الديمقراطيةِ التي أطلقوها، وضد تعاونِ وتعاضدِ الأممِ والشعوبِ الثوريةِ وأمياتِها.

باقتضاب، كلُّ دولةٍ قوميةٍ هي ثورةٌ مضادة. إنها ديكتاتوريةُ وفاشيةُ الرأسماليةِ والبورجوازيةِ وشركائِهما. فبالرغم من تَقمُّصِ النظامِ الرأسماليِّ والطبقةِ البورجوازيةِ المؤسِّسَةِ إياه وتموُّهِهما بالقناعِ الثوريِّ ضد النظامِ الإقطاعيِّ الأقلِّ عطاء، وضد ممثليه من إماراتٍ وممالك إقطاعية؛ إلا إنّ الشعوبَ وحركاتِ الأمةِ الديمقراطيةِ الشعبيةَ الثوريةَ هي مَن حاربَه في واقعِ الأمر. وعليه، فالنصرُ كان من حقِّها هي. لكنّ البورجوازيةَ تسلَّلت بين صفوفِ جميعِ الثوراتِ الشعبيةِ وحركاتِ الأمةِ الديمقراطيةِ تلك. حيث استخدمَت قوتَها الاقتصادية، وصَعَّدَت ثورتَها المضادةَ من جهاتٍ عدةٍ متمثلةً في القوميةِ والدولةِ القوميةِ والأمةِ الدولتيةِ في وجهِ ثوراتِ الأمةِ الديمقراطية؛ تاركةً بذلك بصماتِها على العصرِ الذي بات منضوياً تحت هيمنتِها. وهكذا، رصفَت الأرضيةَ لصعودِ هيمنةِ المدنيةِ الجديدة، أي الحداثةِ الجديدةِ للعصرِ الرأسماليِّ على صعيدِ العالم.

أفدحُ خطأٍ ارتكبَه مؤسِّسا الاشتراكيةِ العلميةِ كارل ماركس وفريدريك أنجلز، هو دعمُهما –بدلاً من مناهضتِهما– للثوراتِ المضادةِ التي شنتها الدولةُ القوميةُ التي تكللت بالنصرِ الظافرِ في ألمانيا وإيطاليا كآخرِ حلقةٍ لها في أواسطِ القرنِ التاسعِ

عشر. وهكذا، أمسى هذا الخطأُ ثاني أكبرِ ضربةٍ قاضيةٍ لحقَت بثوراتِ وحركاتِ الأمةِ الديمقراطيةِ التي أطلقَتها الشعوبُ حتى يومِنا الراهن، بعدَما سلَّطَت البورجوازيةُ الضربةُ الأولى ضدها. وقد عانت جميعُ الشرائحِ الكادحةِ والشعوبِ والأممِ من الآلامِ الأليمةِ والخسائرِ الجسيمةِ حصيلةَ ذلك.

لقَد كانت ثوراتُ الأمةِ الديمقراطيةِ المتناميةُ في بلادِ الأناضولِ وميزوبوتاميا فيما بين عامَي ١٩١٩ ــ ١٩٢٢ ثمرةً من ثمارِ الشعوبِ بالفعل. وتحالفُ الشعوبِ هو الذي كان كَلَّلَ تلك الثوراتِ بالنصرِ المؤزر. وكافةُ التصريحاتِ التي أدلى بها حينذاك قائدُ هذه الثوراتِ مصطفى كمال، إنما تُشيدُ بهذه الحقيقة. لقد كان الشعبان التركيُّ والكرديُّ يُشَكِّلان العنصرَين الأصليَّين المُكَوِّنَين للثورةِ الوطنية. وعلى الصعيدَين الأيديولوجيِّ والسياسيِّ أيضاً، كانت التياراتُ التركيةُ والكرديةُ واليهوديةُ (حركة الدونمة) والشركسيةُ الوطنيةُ من جهة، والتيارات القوميةُ الإسلاميةُ والشيوعيةُ من الجهةِ الأخرى ضمن تحالفٍ فيما بينها. بالتالي، فالنصرُ المُحرَزُ بهذا التحالف، كان عبارة عن ثورةٍ وطنيةٍ ديمقراطيةٍ ضد الإمبرياليةِ وأزلامِها المتواطئين معها.

حسناً، وما الذي فعلَته الزمرةُ التي بمقدورِنا تسميتُها بالبورجوازية؟ أي، مِمّن كانت تتشكلُ البورجوازيةُ الماسونيةُ المسماةُ بـ»تركيا الفتاة» (التي لا علاقة لغالبيتِها الساحقةِ بالتركياتية)، والتي لمَّت شملَها تحت مسمّى «جمعية الاتحاد والترقي»، وبأيةِ مؤامراتٍ طَبَعَت السلطةَ والثورةَ الوطنيةَ ببصماتِها؟

إذ إنّ جميعَ المعنيين بالعلم والمتنورين المُنصِفين وذوي الضميرِ الحيّ، يعلمونَ جيداً أنَّ جمعيةَ الاتحاد والترقي تنظيمٌ تآمريٌّ وانقلابيّ. وكلُّ المعنيين بالأمرِ يعرفون بوجهٍ حسنٍ أنها تركَت بصماتِها على ثورةِ المشروطيةِ الثانيةِ أولاً بعدَ استحواذِها على السلطة، ثم على كافةِ أجهزةِ السلطةِ مع اندلاعِ الحربِ العالميةِ الأولى. من هنا، ينبغي المعرفة على أكملِ وجهٍ كيف تسللوا إلى صفوفِ الثورةِ الوطنيةِ الناشبةِ فيما بين ١٩١٩ ــ ١٩٢٢، وإدراك حقيقةِ المؤامراتِ والاغتيالاتِ والانقلاباتِ التي دبّرَها ونفَّذَها المتعاونون مع الهيمنةِ الإنكليزيةِ بصورةٍ خاصة. فهؤلاء هم مَن حاكَ المؤامرةَ لخنقِ رئيسِ «الحزب الشيوعيّ التركيّ TKP» مصطفى صبحي مع كافةِ أعضاءِ اللجنةِ المركزيةِ المؤلفةِ من خمسةَ عشر شخصاً في مياهِ البحرِ الأسود. بَيْدَ أنّ البلاشفةَ الذين كانوا يمثلونهم، كانوا أصحابَ دورٍ استراتيجيٍّ في إنجاحِ الثورةِ الوطنية. فضلاً عن أنّ أدهم الشركسي وقواتِه التي أَكرَهوها غدراً وتآمراً على الالتجاءِ إلى الجيشِ اليونانيّ، كانت نفسُها القواتِ التي دَرأَت وسَحقَت العديدَ من تمرداتِ الثوراتِ المضادةِ المزروعةِ على دربِ الثورةِ الوطنية. كما إنّ السَّوادَ الأعظمَ ممّن قتلوهم بذريعةِ أنهم رجعيون ومتشددون، كانوا من المسلمين القوميين الذين أدوا دوراً استراتيجياً في التحررِ الوطنيّ. زِدْ على ذلك أنّ محمد عاكف وسعيد النورسيّ اللَّذَين أُرسِلا إلى المنفى بعدَ إحرازِ النصر، كانا في خدمةِ الثورةِ الوطنيةِ إلى أنْ تكلَّلَت بالنصر. أما الكردُ العَلَويون والسُّنّةُ الذين لَبّوا نداءَ مصطفى كمال للتحالفِ الاستراتيجيّ، بدءاً من كوجكري إلى ديرسم، ومن السليمانيةِ إلى ديار بكر، وبالرغم من الدورِ الاستراتيجيِّ الذي لعبوه في تتويجِ الثورةِ الوطنيةِ بالنصر؛ إلا أنّ القوى التآمريةَ تلك هي نفسُها مَن أنكَرَهم وأبادَهم عن بكرةِ أبيهم بلا هوادةٍ أو رحمة، سواء أثناء الثورةِ أو بعدَها. علاوةً على أنّ هؤلاء أيضاً هم مَن شلَّ تأثيرَ مصطفى كمال وزَجَّ به في أزمةٍ خانقةٍ غائرة، بتدبيرِ محاولةِ اغتيالِه في إزمير أولاً، ثم بإحاطتِه بهالةٍ من الألوهيةِ الميثولوجية.

ومَن هم هؤلاء؟ إننا نسمّي غالبيتَهم بالأتراكِ البيض الذين ليسوا بأتراك، وببقايا «جمعية الاتحاد والترقي». ليس مهماً اسمُهم، بل مضمونُهم هو المهمّ. واضحٌ وضوح الشمسِ أنّ هؤلاء هم أصحابُ الثورةِ المضادةِ المُنادون بنزعةِ الدولتيةِ القومية، والذين تَبَرجَزوا بوساطةِ سلطةِ الدولةِ التي استولوا عليها، وألحقوا من خلالِ مؤامراتِهم وانقلاباتِهم واغتيالاتِهم التي حبكوها ضرباتٍ كبيرةً بالحركاتِ الوطنيةِ الديمقراطيةِ المتصاعدةِ خلال سياقاتِ الحُكمِ الدستوريِّ وتشييدِ الجمهوريةِ على السواء، فانتزعوا زمامَ المَبادرةِ فيها وتحكّموا بها. وهم أنفسُهم الذين لَم يتردّدْ حتى هتلر بالإقرارِ بأنه اقتفى أثرَهم وحذا حذوَهم. من هنا، ولَئِنْ كنا نودُّ فعلاً استيعابَ التاريخِ المعاصرِ لبلادِ الأناضول وميزوبوتاميا، أي لتركيا وكردستانَ؛ وإذا كنا نريدُ فهمَ ثورتِهم الوطنيةِ المتحققةِ بفضلِ التحالف، وإدراكَ كَنَهِ مجتمعِهم الوطنيِّ الديمقراطيِّ بعينٍ واقعية؛ فعلينا معرفةُ حقيقةِ الثورةِ المضادةِ التي شنّتها الدولتيةُ القومية، وماهيةِ أصحابِ هذه الثورةِ المضادةِ على أتمِّ وجه. وإلا، فلن نتمكنَ بأيِّ شكلٍ آخر من استيعابِ التاريخِ الحديثِ وتاريخِ الجمهوريةِ بمنوالٍ صحيح. ونخصُّ بالذّكرِ أننا حينها لن نستطيعَ التحصنَ بالمعرفةِ الكافيةِ والصائبةِ لتواريخِ وثقافاتِ شعوبِ الأناضولِ وميزوبوتاميا العريقةِ عراقةَ تاريخِ البشرية، والتي تتعرضُ للإنكارِ والإبادة. وفي حالِ عجزِنا عن معرفةِ ذلك وهضمِه وتَبَنّيه، فلن يَكُونَ بوسعِنا إحرازُ النجاحِ في إنشاءِ وتطويرِ تحالفاتِ وحركاتِ الأمةِ الديمقراطيةِ لشَعوبِنا التي تتشاطرُ نفسَ الثرى.

يتعلقُ حلُّ الأمةِ الديمقراطيةِ في القضيةِ الكرديةِ أولاً بالتعريفِ الصحيحِ للتاريخِ الكرديِّ والثقافةِ الكردية. وهذا ما سيجلبُ معه التعريفَ الصحيحَ للوجودِ الاجتماعيِّ الكرديِّ

أيضاً. ذلك أنّ التحولَ إلى مجتمعٍ وطنيٍّ مفادُه امتلاكَ الوعيَ والروحِ اللازمَين بصددِ التاريخِ والثقافة. وإنكارُ وإبادةُ الكردِ في تاريخِ الجمهورية (ثمة ممارساتٌ مماثلةٌ في تواريخُ الدولِ القوميةِ الأخرى أيضاً)، قد بدأ أولاً بإنكارِ التاريخِ الكرديِّ وإبادةِ وجودِه الثقافيّ. حيث قُضِيَ بادئَ ذي بدءٍ على المقوّماتِ الثقافيةِ المعنوية، ثم على مقوماتِ الثقافةِ المادية. ولهذا السببِ بالضبط، كان شروعُ PKK بإنشاءِ نفسِه بالتحصنِ بالوعيَ التاريخيِّ والثقافيِّ بدايةً في محلِّها. فسعيُه إلى إيضاحِ وشرحِ التاريخِ والثقافةِ الكرديَّين بمقارنتِهما مع تاريخِ وثقافةِ شعوبِ العالمِ قاطبة، وإفصاحُه عن ذلك متجسداً في المانيفستو المعنونِ باسمِ «طريق الثورة الكردستانية»؛ قد لعبَ دورَ النهضةِ الثوريةِ لبعثِ الحياةِ ثانيةٍ في التاريخِ الكرديِّ والثقافةِ الكردية. وبالمقدورِ القولُ أنّ الكردَ حققوا بدايةً راديكاليةً مع هذا المانيفستو على دربِ التحولِ الوطنيِّ الديمقراطيّ. أما الوجودُ الثقافيُّ الكرديُّ المُجَرَّبُ مع الحربِ المُعلَنةِ تزامناً مع حملةِ آب ١٩٨٤، فقد أثبتَ جدارتَه في السيرورةِ والحياةِ مدعوماً بالكثيرِ من أحداثِ البطولةِ الباسلة. ذلك أنه ما كان بإمكانِ الكردِ الاستمرارُ بوجودِهم، لولا النهجُ الأيديولوجيُّ – السياسيُّ لـ PKK وللحربِ الشعبيةِ التي رادَها، ولولا عكسُه للتاريخِ والثقافةِ الكرديَّين بعينٍ سليمة. علماً أنّ العديدَ من المجموعاتِ والشخصياتِ تناولَت القضيةَ بطموحاتٍ مماثلةٍ حينئذ، ولكنها لَم تستطعْ إنقاذَ نفسِها قاطبةً من التعرضِ للتصفيةِ والزوال، نتيجةً لعدمِ تَبَنّيها للتاريخِ والثقافةِ الكرديَّين بمنظورٍ قويمٍ وصائب.

إنشاءُ الأمةِ الديمقراطيةِ الكرديةِ مختلفٌ نوعاً عن إنشاءِ الأمةِ التي يُرادُ تطويرُها بمواقفَ قوميةٍ ودولتية. وكيفما أنه مغايرٌ لقوميةِ الدولةِ القوميةِ الحاكمة، فإنه يختلفُ أيضاً عن المواقفِ القوميةِ والدولتيةِ الكردية؛ مُظهِراً مقابلَ ذلك إلى الوسطِ إنشاءَ الأمةِ الديمقراطيةِ كبديلٍ يرتكزُ إلى تواريخِ وثقافاتِ الشعوبِ والكادحين.

يتبنى KCK ضمن عمليةِ إنشاءِ الأمةِ الديمقراطيةِ الكرديةِ الدورَ الذي أداه الكردُ كعنصرٍ أصليٍّ مشاركٍ في الثورةِ الوطنيةِ خلالَ الفترةِ ما بين ١٩١٩ – ١٩٢٢، والذي جرى إنكارُه على مدى تاريخِ الجمهورية. فهو يَعتَبِرُ هذه الثورةَ الوطنيةَ ثورةً وطنيةً بالنسبةِ للكردِ ولبقيةِ الحلفاءِ المشاركين فيها، بقدرِ ما هي كذلك بالنسبةِ للأتراك. كما إنه ينظرُ إلى إقصاءِ الحلفاءِ وإنكارِ تواريخِهم وثقافاتِهم في الفتراتِ اللاحقةِ على أنه انقلابٌ على الطابعِ الشعبيِّ للثورة. وعليه، فهو يَعتَبِرُ مقاومةَ الكردِ ضد ذاك الانقلابِ شرعيةً وتقدميةً وتحررية. فضلاً عن إفصاحِه علناً بأنّ التحالفَ الكرديَّ – التركيَّ الاستراتيجيَّ المبتدئَ مع معركةِ ملازكرد (١٠٧١) يستندُ إلى مبدأِ الطواعية، وأنّ الكردَ والأتراكَ ظلوا شركاء أساسيين ضمن تشكيلاتِ السلطةِ والدولةِ منذ ذلك التاريخِ بالرغمِ من تعرضِهم لفتراتِ انقطاعٍ مختلفة، وأنه ثمة شراكةٌ منيعةٌ وتداخلٌ حصينٌ بين تاريخَ وثقافةِ كِلا الشعبَين تأسيساً على ذلك. هذا ويَقبلُ بكونِ الأتراكِ والكردِ لعبوا دوراً استراتيجياً مشتركاً طيلةَ الأعوامِ الألفِ الأخيرةِ من تاريخِ منطقةِ الشرقِ الأوسط. وعليه، فقد ازدادَت مواقفُ PKK وKCK الأيديولوجيةُ والسياسيةُ وضوحاً وشفافية، وتعزَّزَت آراؤُهما التي ازدادَت انفراجاً في آفاقِها مع هذه المرافعةِ فيما يتعلقُ بالتاريخِ الكرديِّ والثقافةِ الكردية. فهي منفتحةٌ على الاتحاداتِ والتحالفاتِ الوطنيةِ الديمقراطيةِ الأوسع نطاقاً، انطلاقاً من منظورِ الأمةِ الديمقراطيةِ المنفتحِ على الشعوبِ الأخرى. علاوةً على أنها تَعتَبِرُ استحداثَ وإعادةَ إنشاءِ الاتحاداتِ والتشكيلاتِ الكونيةِ المُعاشةِ ضمن الثقافةِ الشرقِ أوسطيةِ على مدى سياقِ التاريخ (الأمةُ الإسلاميةُ خيرُ وأفصحُ مثالٍ على ذلك)، سبيلاً إلى الخلاصِ والحريةِ والتحررِ الحقيقيِّ لشعوبِ الشرقِ الأوسطِ جمعاء.

إنّ الأمةَ الديمقراطيةَ الكردية، التي ستكتسبُ مزيداً من الماهيةِ البنيويةِ تدريجياً خلال سياقِ KCK، ستُقدمُ بكلِّ أبعادِها تجربةَ إعادةِ الإنشاءِ الوطنيّ، التي ستغدو نموذجاً تقتدي به شعوبُ الشرقِ الأوسط. ومقابلَ نزعةِ إنكارِ التاريخِ والثقافة، التي تتبناها الدولُ القوميةُ العاجزةُ عن تخطي دورِ العمالةِ والتواطؤِ مع الحداثةِ الغربية؛ فإنها ستبتدئُ عصراً جديداً، أي ستطلقُ العنانَ لصعودِ وسموِّ عصرِ العصرانيةِ الديمقراطيةِ تزامناً مع نهضةِ الأمةِ الثوريةِ والديمقراطية.

- نظام الدفاع الذاتي في الأمة الديمقراطية:

لكلِّ نوعٍ في عالَمِ الكائناتِ الحيةِ نظامٌ دفاعيٌّ خاصٌّ به. وما منَ كائنٍ حيٍّ واحدٍ فقط يخلو من آليةِ الدفاع. بل وبالمقدورِ اعتبارُ المناعة، التي يُبديها كلُّ عنصرٍ أو جُسَيمٍ في الكونِ للحفاظِ على وجودِه، دفاعاً ذاتياً. إذ من الساطعِ جلياً أنّ المناعةَ التي يُبديها إزاء أيِّ عطلٍ أو خروجٍ من الكينونة، لا يُمكنُ إيضاحُها إلا بمصطلحِ الدفاعِ الذاتيّ. وفي حالِ فقدانِ تلك المناعة، فإنّ ذاك العنصرَ أو الجُسَيمَ يفسد، ويخرجُ من كينونتِه، ويتحولُ إلى عنصرٍ آخر مغاير. أما في عالَمِ الكائناتِ الحية، فبمجردِ تحطمِ جدارِ حصنِ الدفاعِ الذاتيّ، فإنّ ذاك الكائنَ الحيَّ يصبحُ فريسةً سهلةً لكائناتٍ أخرى، أو يموت.

هذا ويَسري النظامُ عينُه على النوعِ البشريِّ والمجتمعِ البشريِّ زيادةً عن اللزوم. إذ لا يستطيعُ نوعٌ لطيفٌ كالإنسانِ وكيانٌ منفتحٌ على المخاطرِ كمجتمعِه الحفاظَ على وجودِهما مدةً طويلةً من الزمن، في حالِ غيابِ الدفاعِ الذاتيِّ المنيع. والدفاعُ لدى النوعِ البشريِّ اجتماعيٌّ بقدرِ ما هو بيولوجيّ. يعملُ الدفاعُ البيولوجيُّ من طرفِ غرائزِ الحمايةِ والدفاعِ الموجودةِ في كلِّ كائنٍ حيّ. أما في الدفاعِ الاجتماعيّ، فجميعُ

أفرادِ الجماعةِ يلوذون عن نفسِهم بشكلٍ مشترك. بل ويطرأُ التغيرُ باستمرارٍ على تعدادِ المجموعةِ وشكلِ تنظيمِها، وفق ما توفرُه فرصُ الدفاعِ عن الذات. وعليه، فالدفاعُ وظيفةٌ أصيلةٌ في المجموعة. ومحالٌ الاستمرارُ بالحياةِ من دونِه. وكما هو معلوم، فالوظيفتان الأصليتان الأُخريَتان في عالَمِ الأحياء، هما تأمينُ المأكلِ والتوالد. وكيفما يستحيلُ على الكائناتِ الحيةُ مواصلةُ حيواتِها من دونِ مأكلٍ أو توالد، فمحالٌ عليها الاستمرارُ بالحياةِ في حالِ غيابِ الدفاعِ الذاتيِّ أيضاً. النتيجةُ الهامةُ الأخرى التي بإمكانِنا استخلاصُها من موضوعِ الدفاعِ الذاتيَ لعالَمِ الأحياء، هو أنّ هذا الدفاعَ يهدفُ – فقطَ وفقطَ – إلى حمايةِ الوجود. وهو يخلو من نظامِ الاستعمارِ وبسطِ النفوذِ على أبناءِ الجنسِ الواحدِ أو الأنواعِ الأخرى من الكائنات. ولأولِ مرةٍ طُوِّرَت أنظمةُ الاستعمارِ والحاكميةِ عند الجنسِ البشريّ. وما يلعبُ دورُه في ذلك هو النماءُ الذهنيُّ لدى النوعِ البشريّ، والاستحواذُ على فائضِ الإنتاجِ ارتباطاً بذلك؛ مما يفضي إلى توفيرِ فرصِ الاستغلال. وهذا ما يؤدي إلى ضرورةِ حمايةِ قِيَمِ الكدحِ إلى جانبِ اللوذِ عن الوجود. أي أنه يؤولُ إلى إشعالِ فتيلِ الحروبِ الاجتماعية.

لَطالما تحلى الدفاعُ الذاتيُّ بأهميةٍ عظيمةٍ بالنسبةِ للكردِ على مرِّ التاريخ، نظراً إلى الظروفِ الملموسةِ التي مروا بها. حيث تعرضوا للهجماتِ المتواصلة، كونهم الوارثين الأوائل للمجموعاتِ التي شهدَت الثورةَ النيوليتيةَ بأعمقِ حالاتِها وأطولِها أجَلاً. ففوائضُ الإنتاجِ الناجمةُ عن الثورةِ الزراعيةِ المندلعةِ في الهلالِ الخصيب، كانت تفتحُ شهيةَ المُغيرين وتستجلبُهم على الدوام. وقد مرّت آلافُ الأعوامِ بهذا المنوال. حيث، وكلما تطورَت نُظُمِ المدنيةِ المرتكزةُ إلى فوائضِ الإنتاج، بدأ بالظهورِ عهدُ الهجومِ الممنهجِ والمدروسِ والمخططِ من قِبَلِ القوى المعتمدةِ على بُنى المدينةِ والطبقةِ والدولة. وهكذا، لَم تَغِبْ أبداً الهجماتُ المباشرةُ والملتويةُ لعددٍ لا حصرَ له من قوى المدنية، والتي استهدفَت المنطقةَ والأراضي نفسَها، بدءاً من المدنيةِ السومريةِ ووصولاً إلى أمريكا بصفتِها آخرَ قوةٍ مهيمنةٍ في المدنيةِ السائدةِ في يومِنا الحاليّ.

اكتَسَبَت هجماتُ القرنَين الأخيرَين المتصاعدةُ بمَعِيّةِ الحداثةِ الرأسماليةِ طابعاً مختلفاً. حيث إنّ أنظمةَ حمايةِ الوجودِ وآلياتِ الدفاعِ الذاتيّ، التي طوَّروها على شكلِ وحداتٍ عشائريةٍ وقبائليةٍ اعتماداً على المناطقِ الجبليةِ التي قطنوها منذ العصورِ الأولى؛ لَم تَفِ بالغرضِ مقابلَ وسائلِ الهجومِ المعتمدةِ على النظامِ الرأسماليّ. ولأولِ مرةٍ دخلَ في الأجندةِ خطرُ خُسرانِهم لوجودِهم. ذلك إنّ بنيةَ الدولةِ القوميةِ في الحداثةِ الرأسمالية، لَم تسفرْ عن فقدانِ الكردِ لحرياتِهم وحسب، بل وآلَت إلى مواجهتِهم مخاطرَ فقدانِهم وجودَهم أيضاً. فبرنامجُ وممارسةُ خلقِ «لغةٍ واحدة» و«أمةٍ واحدة» و«وطنٍ واحد» ضمن نفسِ الحدودِ السياسية، قد أفرزَ معه بقاءَ اللغاتِ والأممِ والأوطانِ الأخرى المنضويةِ تحت لواءِ تلك الحدودِ وجهاً لوجهٍ أمام مخاطرِ الإنكارِ والإبادة. لقد أُخضِعَ الكردُ لسياقِ الإبادةِ والإنكارِ على يدِ الدولِ القوميةِ ضمن كافةِ أجزاءِ الوطنِ التي عانوا الانقسامَ عنوةً ضمنها. والدولُ القوميةُ المدعومةُ من قِبَلِ القوى المهيمنة، قد جعلَت تصفيةَ الكردِ وكردستان سياسةً أساسيةً لديها. وعندما انكسرَت شوكةُ المقاومةِ حصيلةَ نقصانِ الدفاعِ الذاتيّ، أتى الدورُ حينها على هدمِ المجتمعِ وتقويضِه وصهرِه بغيةَ تصفيتِه وحسم أمرِه.

وحركةُ PKK، التي وُلِدَت كَرَدّةِ فعلٍ على هذا السياقِ المُمارَسِ بكلِّ شدتِه وعنفوانِه، هي أساساً من حيث البدايةِ حركةُ دفاعٍ ذاتيٍّ عن الشعبِ الكرديّ. فحركةُ الدفاعِ الذاتيِّ التي كانت تُمارَسُ بدايةً على الصعيدَين الأيديولوجيِّ والسياسيّ، قد انتقلَت في غضونِ فترةٍ وجيزةٍ إلى طورِ دفاعٍ ذاتيٍّ يعتمدُ على العنفِ المتبادل. بمعنى آخر، فالكفاحُ المسلَّحُ المرتكزُ إلى حمايةِ وجودِ الكوادرِ والمؤيدين فحسب بادئَ ذي بدء، قد اتسعَ نطاقُه محتضناً الشعبَ أيضاً بين ثناياه مع حملةِ ١٥ آب ١٩٨٤. وعليه، فالحركةُ المتحولةُ إلى حربِ الدفاعِ الذاتيِّ عن الشعب، قد تعرضَت للهجماتِ المدروسةِ التي خططَت لها كافةُ القوى المهيمنةُ المعنية، وبالأخصِّ قوى الغلاديو التابعةِ لحلفِ الناتو. وقد لقيَت تلك الهجماتُ مساندةَ جميعِ القوى المرتابةِ والمتخوفةِ من قيامِ الكردِ بقلبِ موازينِ المَنطقةِ رأساً على عقبٍ بعدَ أنْ يتمكنوا من تقريرِ مصيرِهم بأنفسِهم في كردستان. ومعَ ذلك، فقد ألحَقَت حروبُ المقاومةِ تلك ضرباتٍ قاضيةً بسياساتِ الإنكارِ والإبادةِ والصهرِ المفروضة، وحسمَت موقفَها لصالحِ تَبَنّي هويةِ الشعبِ والعضِّ بالنواجذِ على الرغبةِ في الحياةِ الحرة. وعلى الرغم من عدمِ وضعِ حدٍّ نهائيٍّ وحاسمٍ للدولِ القوميةِ التي عَوَّلَت على آمالِها التصفويةِ القديمةِ بحقِّ الشعبِ الكرديّ، إلا إنها لَم تَعُدْ تتحلى بعزيمتِها القديمة. إذ تمّ بلوغُ مستوى الاعترافِ بالهويةِ واحترامِ الحياةِ شبهِ المستقلة، مما يشكِّلُ وضعاً جديداً من جهةِ حربِ الدفاعِ الذاتيّ. وقد عملَ PKK على الاستفادةِ من هذا الوضعِ وتقييمِه من خلالِ KCK.

يُشَكِّلُ موضوعُ كيفيةِ ضبطِ الدفاعِ الذاتيِّ بمنهاجٍ دائميٍّ راسخ، البندَ الهامَّ الآخر الذي لا استغناءَ عنه ضمنَ برنامجِ إنشاءِ الأمةِ الديمقراطيةِ في KCK. فسياساتُ الإنكارِ والإبادةِ والإذابةِ الجديدة، التي لن تتقاعسَ الدولُ القوميةُ عن مزاولتِها كلما سنحَت لها الفرصةُ بوصفِها احتكارَ القوةِ المسلحةِ الوحيد، قد أرغَمَت نظامَ الدفاعِ الذاتيِّ في KCK على الاتسامِ بالثباتِ الوطيد. والشرطُ الأدنى منزلةً للعيشِ المشتركِ مع

الدولِ القومية، هو تضمينُ الهويةِ الذاتيةِ الكرديةِ وحياتِها الحرةِ بدستور. هذا ولن يكفيَ الضمانُ الدستوريُّ لوحدِه، بل وسيجري البحثُ فضلاً عن ذلك في الظروفِ العينيةِ لذاك الضمانِ من خلالِ ضوابط تحدِّدُها القوانين. وفيما عدا الأمنِ القوميِّ المشتركِ إزاء الخارج، يتعينُ أنْ يَقومَ المجتمعُ الكرديُّ بذاتِ نفسِه على تدبيرِ الشؤونِ الأمنية. حيث إنّ تأمينَ الأمنِ الداخليِّ بأفضلِ صورة، وتلبيةَ متطلباتِه بأنسبِ الأشكالِ غيرُ ممكن؛ إلا في حالِ قامَ المجتمعُ به بذاتِ نفسِه. بناءً عليه، من الضرورةِ بمكان أنْ تقومَ الدولُ القوميةُ المعنية (الدول القوميةُ المركزيةُ التركيةُ والإيرانيةُ والعراقيةُ والسورية) بالإصلاحاتِ الهامةِ في سياساتِها الأمنيةِ الداخلية. وفي حالِ استتبابِ السلمِ وإرساءِ دعائمِ الحلِّ الديمقراطيّ، يتعينُ على KCK أيضاً حينئذ إعادةُ ترتيبِ وفرزِ قواتِ الدفاعِ الذاتيِّ لديه، أي «قواتِ الدفاعِ الشعبيِّ HPG». وما لا جدالَ فيه هو أنّ إعادةَ الفرزِ يقتضي قوانيناً جديدة. كما ومن الجليِّ جلاء النهارِ استحالةُ الحديثِ هنا عن نظامٍ من قبيلِ الألويةِ الحميديةِ القديمةِ أو «حُماة القرى» الجديد. ولكن، بالوسعِ القيامُ بترتيباتٍ وعملياتِ فرزٍ جديدةٍ للقوى، فيما يخصُّ الأمنَ الداخليَّ القانونيَّ والرسميّ، والذي يعتمدُ على الوفاقِ مع الدولِ القومية.

وفي حالِ عدمِ تحقُّقِ الوفاقِ مع الدولِ القوميةِ المعنية، فإنّ KCK سيجهَدُ لترتيبِ وضعِ قواتِ الدفاعِ الذاتيِّ لديه كَمّاً ونوعاً بما يغطي الاحتياجاتِ الجديدة، وذلك تأسيساً على حمايةِ إنشاءِ الأمةِ الديمقراطيةِ بكلِّ أبعادِها، وبمنوالٍ أحاديِّ الجانب. وهكذا، فقواتُ HPG المُعادُ ترتيبُها وفرزُها، ستُكَلَّفُ بحمايةِ التحولِ الوطنيِّ الديمقراطيِّ في جميعِ الساحاتِ والمجالاتِ وبكافةِ الأبعاد، وستؤسِّسُ أرضيةَ السيادةِ الوطنيةِ الديمقراطيةِ بجدارة. كما وستَكُونُ مسؤولةً عن أمنِ الإنسانِ والمُلكِ للمواطنِ الفردِ في الأمةِ الديمقراطية. وسوف تظلُّ في حالةِ صراعِ دؤوبٍ ودائمٍ حيالَ جميعِ ممارساتِ الدولةِ القومية (تجاه حروبِها العسكريةِ والسياسيةِ والثقافيةِ والاجتماعيةِ والنفسية)، والتي تبلغُ حدَّ الإباداتِ الثقافية. من هنا، فوجودُ وحريةُ كردستان والكرد، مستحيلان من دونِ دفاعٍ ذاتيّ.

- دبلوماسية الأمة الديمقراطية:

يُعَدُّ النشاطُ الدبلوماسيُّ بين الدولِ القوميةِ واحداً من أكثرِ الأنشطةِ التي طوَّرَتها الدولةُ القومية. وتُعَرِّفُه على أنه شكلُ النشاطِ الذي يسبقُ اندلاعَ الحروبِ بين الدول. كما وبالمقدورِ اعتبارُه تَوطئةً للحروبِ الناشبةِ في تاريخِ الدولِ القومية. ثمةَ شعائرٌ محدودةٌ لأشكالِ التعبيرِ التقليديِّ عن علاقاتِ الجوارِ القائمةِ بين وحداتِ المجموعاتِ على اختلافِها طيلةَ سياقِ التاريخ. وهي طقوسٌ محفوفةٌ بالقيمةِ العليا. أما لجوءُ الدولِ القوميةِ إلى مَأسسةِ تلك العلاقة، فيُعزى إلى نزعةِ الربحِ في الحداثةِ الرأسمالية. فإذا كانت تلك العلاقاتُ تدرُّ مزيداً من الربحِ في وقتِ السلم، فلا داعيَ إذاً لإشعالِ فتيلِ الحرب. وتُعقَدُ العلاقاتُ المُربحةُ دبلوماسياً. أما إذا كانت ميولُ الربحِ الأعظميِّ متعلقةٌ بالحرب، فلن تستطيعَ كلُّ القوى الدبلوماسيةِ أنْ تقفَ في وجهِ الحربِ المُربحة، حتى لو تعاضدَت جميعاً في سبيلِ ذلك. وعليه، فعملُ الدبلوماسيةُ قد انتهى هنا. وهكذا، فالدبلوماسيةُ المُختَزَلةُ إلى منطقِ الربح، لَم يَعُدْ لها أيةُ صلةٍ مع نمطِ العلاقةِ القَيِّمةِ والثمينةِ فيما بين المجتمعات، والتي طالما رُصِدَت على مدارِ التاريخ. أي أنّ الدبلوماسيةَ قد صُيِّرَت أداةَ تلاعبٍ ومضاربةٍ في ألاعيبِ الحربِ المُربحةِ فيما بين الدولِ القوميةِ. لقد باتت أداةً لتهيئةِ أجواءِ الحروب، وليس لاستتبابِ السلم.

تُعنى الدبلوماسيةُ الصائرةُ مرةً أخرى أداةً لإرساءِ السلمِ والتعاضدِ والتبادلِ الخلّاقِ فيما بين المجتمعاتِ في كنفِ تقاليدِ الأمةِ الديمقراطيةَ، بحلِّ القضايا العالقةِ أساساً. إنّ دبلوماسيةَ الأمةِ الديمقراطيةِ وسيلةٌ لتكريسِ السلمِ والعلاقاتِ المفيدة، لا لإشعالِ فتيلِ الحروب. وهي تُعَبِّرُ عن وظيفةٍ أخلاقيةٍ وسياسيةٍ نبيلةٍ وثمينةٍ يؤديها الناسُ الحكماء. كما إنها تؤدي دوراً هاماً في تطويرِ وتأمينِ سيرورةِ المراحلِ التي تدرُّ بالنفعِ المتبادلِ وتُعَزِّزُ علاقاتِ الصداقةِ فيما بين الشعوبِ المتجاورةِ ومجموعاتِ الأقاربِ على وجهِ الخصوص. كما تُعتَبَرُ قوةَ إنشاءِ المجتمعياتِ المشتركةِ والتركيباتِ الجديدةِ لمجتمعاتٍ أرقى.

لطالما تواجدَ عددٌ جمٌّ من سياقاتِ العلاقاتِ الدبلوماسيةِ في التاريخِ الكرديّ، سلبيةً كانت أم إيجابية. فشدةُ الانقسامِ ومنعُ التواصلِ بين المجموعات، قد أدى إلى إيلاءِ أهميةٍ عليا لفعالياتِ الوساطة، مما تمخضَ ذلك عن إسهاماتٍ قَيِّمةٍ في الحياةِ الاجتماعيةِ عندما أُدِّيَت بجدارة. أما عندما نُفِّذَت بنوايا ضامرة، أو باندفاعٍ مشحونٍ بمختلفِ المصالحِ الشخصيةِ أو التكتلية؛ فقد دخلَت في خدمةِ إضرامِ نارِ العداوةِ وتأجيجِ أجواءِ الاشتباك.

يشعرُ الكردُ في حاضرِنا بمسيسِ الحاجةِ إلى دبلوماسيةٍ نفيسة، سواء بينهم وبين جيرانِهم، أم على الصعيدِ العالميّ. حيث للفعالياتِ الدبلوماسيةِ دورٌ عظيمُ الأهميةِ والإيجابيةِ للحفاظِ على وجودِهم ونيلِ حريتِهم. ولربما كان الكردُ أكثرَ شعبٍ ذهبَ ضحيةً للألاعيبِ الدبلوماسيةِ عالمياً خلال الماضي القريب، أي في عهدِ الحداثةِ الرأسمالية. حيث لعبَ الكردُ دورَ الضحيةِ المُقدَّمةِ فداءً لتجزيءِ الشرقِ الأوسطِ وإخضاعِه لهيمنةِ النظامِ الرأسماليِّ على مرِّ القرنَين التاسع عشر والعشرين. ونخصُّ بالذِّكرِ أنهم كانوا أكثرَ القرابين مأساويةً خلال الحربَين العالميتَين الأولى والثانية. هذا ولطالما أنيطوا بدورِ الورقةِ الرابحةِ ضمن سياقِ دبلوماسياتِ الدولِ القوميةِ في الشرقِ الأوسط، مما نَمَّ عن نتائجَ جدِّ وخيمة. فقد

واجَهَ الكردُ مشاهد أليمةٍ وصلَت درجةَ التطهيرِ الثقافيّ. وبقدرِ ما للمتواطئين الكردِ من دورٍ في ذلك، فإنّ افتقارَ المقاوماتِ الكرديةِ للأساليبِ العصريةِ أيضاً كان له نصيبُه الوافرُ فيه.

وإذا وُضِعَ في الحُسبانِ مدى تدني فرصةِ بناءِ دولةٍ قوميةٍ كردية، سواء طبقياً أم من حيث الأجواءِ والظروفِ السائدة؛ فسيُلاحَظُ أنّ حظَّ الحلِّ قَلَّما يحالفُ مثلَ هذه الدبلوماسياتِ المنصبةِ في بوتقةِ هذا المرمى. ومعلومٌ أنه لَم تُجْنَ ثمارٌ ناجعةٌ من الأنشطةِ المُزاوَلةِ لهذا الغرضِ خلال القرنَين الأخيرَين. فطبيعةُ القضيةِ الكرديةِ لا تساعدُ على إنجاحِ مثلِ تلك الأنشطة. ذلك إنّ دبلوماسيةَ الدولةِ القوميةِ فيما يَتعلقُ بالكردِ ليست حَلاّلة، بل كانت شاهدةً على العديدِ من الأدوارِ السلبيةِ التي أسفرَت عن الانسدادِ وتصعيدِ الاشتباكاتِ والنزاعاتِ بين مختلفِ أجزاءِ كردستان، وتثيرُ حفيظةَ الدولِ القوميةِ المعادية. ولهذا السببِ بالتحديد، ثمة حاجةٌ ماسةٌ لدبلوماسيةٍ جديدة. أي، لدبلوماسيةِ الأمةِ الديمقراطية.

يتعينُ على دبلوماسيةِ الأمةِ الديمقراطيةِ أولاً تشكيلُ محفلٍ مشتركٍ بين الكردِ المشتَّتين والمُنقسمين فيما بينهم على اختلافِ مصالحِهم. وعلى هذا المحفل، الذي يشعرُ الكردُّ بأشدِّ وأمَسِّ الحاجةِ إليه، أنْ يتموقعَ في مركزِ الفعالياتِ الدبلوماسية. ومثلما لوحِظَ حتى الآن، فكافةُ الأنشطةِ الدبلوماسيةِ الأخرى، وبالأخصِّ تلك التي تطَّلَعَ كلُّ تنظيمٍ إلى ممارستِها بمفردِه وفق ما يتماشى ومصالحَه، قد جلبَت الضررَ أكثر من الفائدة، وأفضَت إلى معاناةِ الكردِ من الاشتباكاتِ والانقسامِ والتجزؤِ بدرجةٍ أكبر. بناءً عليه، فتطويرُ دبلوماسيةٍ متكاملةٍ ومتحدةٍ بينَ الكرد، يُعَدُّ إحدى الوظائفِ الوطنيةِ الأولية. وعليه، فتشكيلُ وتفعيلُ «المؤتمرِ الوطنيِّ الديمقراطيّ» هو المَهَمّةُ الأكثرُ حياتيةً في سياقِ الدبلوماسيةِ الكردية، ويجبُ أنْ يَكونَ الهدفَ الرئيسيَّ لجميعِ التنظيماتِ والشخصياتِ الكردية. ومن جانبٍ آخر، ينبغي صياغةُ دبلوماسيةٍ كرديةٍ متمأسسةٍ لها سياسةٌ واحدةٌ موحَّدة، وناطقٌ واحدٌ باسمِها، بحيث تستندُ بدورِها إلى تكوينِ «المؤتمرِ الوطنيِّ الديمقراطيِّ» لحظةً قبل أخرى. ولا يحقُّ لأيِّ تنظيمٍ أنْ يُمهِلَ أو يُهمِلَ هذه المهامَّ المصيرية، أياً كانت الذريعة. ومَن يفعلُ ذلك دوماً، يَكُونُ حينها لاهثاً وراء مصالحِ شخصيةٍ وحزبيةٍ مختلفة. ومن المعروف، أو يجبُ الاطلاعُ جيداً على مدى الأضرارِ والكوارثِ الجسيمةِ التي يتسببُ بها مثلُ هذا النمطِ من العقلياتِ والشخصياتِ ضمن السياقِ التاريخيّ. من طرفٍ آخر، وإلى جانبِ أهميةِ الدبلوماسيةِ المزاوَلةِ على خلفيةِ الدولةِ الفيدراليةِ الكردية، إلا إنها قاصرةٌ عن تغطيةِ احتياجاتِ الكردِ كافة. فلا هي تمتلكُ الكفاءةَ التي تُخَوِّلُها لتلبيتِها، ولا الظروفُ القائمةُ تساعدُها على ذلك. بالتالي، فالدبلوماسيةُ التي ستُشَكِّلُ جواباً لتأمينِ كافةِ جميعِ الكردِ غيرُ ممكنة، إلا اعتماداً على «المؤتمرِ الوطنيِّ الديمقراطيّ». انطلاقاً من ذلك، فالمهمةُ الأولى تتجسدُ في اجتماعِ «المؤتمرِ الوطنيِّ الديمقراطيّ»، والإعلانِ عنه تنظيماً ديمقراطياً وطنياً مُوَحِّداً شاملاً ودائمياً.

يمكنُ ترتيبُ الوظائفِ الأساسيةِ لهذا «المؤتمرِ الوطنيِّ الديمقراطيِّ» المفترَضِ على الشكلِ التالي:

a) يجب أنْ يَكُونَ «المؤتمرُ الوطنيُّ الديمقراطيُّ» تنظيماً دائمياً. وأنْ تَجِدَ كلُّ الشخصياتِ والتنظيماتِ تمثيلَها فيه بجمعٍ وشَملٍ مناسبٍ يحتضنُ كافةَ الطبقاتِ والشرائحِ الوطنيةِ والديمقراطية. وينبغي هنا عدم إغفالِ التعدادِ السكانيِّ ودورِ أجزاءِ الوطنِ ومدى قوةِ العزيمةِ والثباتِ عن العين.

b) على المؤتمرِ انتخابُ جهازٍ إداريّ، أي هيئةٍ تنفيذيةٍ دائمةٍ تَكُونُ مسؤولةً عن تسييرِ علاقاتِ السياسةِ الميدانيةِ لجميعِ الكردِ والإشرافِ عليها. كما وينبغي تسييرُ الأنشطةِ الدبلوماسيةِ الداخليةِ والخارجية، وكذلك عقدِ العلاقاتِ الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والثقافيةِ مؤسساتياً من قِبَلِ هذه الهيئة.

c) على جميعِ التنظيماتِ توحيدُ صفوفِ قواتِ الدفاعِ الذاتيِّ لديها تحت لِواءِ تنظيمٍ مشتركٍ من المقاتلين. ويجبُ تشكيلُ «رئاسةِ قواتِ الدفاعِ الشعبيّ المشتركة». وعلى كلِّ تنظيمٍ التمتعُ بمبادرةٍ محدودةٍ على قواتِ الدفاعِ الذاتيِّ بما يتناسَبُ وقوتَه.

d) على «مكتبٍ أو لجنةِ العلاقاتِ الخارجيةِ» التابعةِ للهيئةِ التنفيذيةِ أنْ تَكُونَ مسؤولةً بمفردِها عن عقدِ العلاقاتِ مع قوى المجتمعِ المدنيِّ وكافةِ الدولِ القوميةِ تتصدرُها الدولُ القوميةُ التي ينضوي الكردُ تحت لوائِها.

ينبغي ترتيبُ علاقةِ كلٍّ من KCK و«الإدارةِ الكرديةِ الإقليميةِ في العراق» مع «المؤتمرِ الوطنيِّ الديمقراطيِّ» في ظلِّ أجواءٍ مناسبة. حيث بإمكانِ كِلا الجهازَين العملُ بالتنسيقِ والارتباطِ مع «الهيئةِ التنفيذيةِ للمؤتمر» بصورةٍ معينة. والعملُ بالاشتراكِ مع كِلا الجهازَين يُعَدُّ مشكلةً هامةً تقتضي التوقفَ عندها بإمعانٍ والبتَّ فيها. إذ من الساطعِ جلياً أنّ العلاقاتِ والتناقضاتِ ستأخذُ وقتاً طويلاً ضمن إطارِ الفوارقِ الأيديولوجيةِ والسياسيةِ الكامنةِ بين إنشاءِ الأمةِ الديمقراطيةِ في KCK من جهة، وبين نزعةِ إنشاءِ الدولتيةِ القوميةِ لـ«الإدارةِ الفيدراليةِ الكرديةِ في العراق» من جهةٍ ثانية. وبمقدورِ «المؤتمرِ الوطنيِّ الديمقراطيِّ» أنْ يَكُونَ تنظيماً جامعاً وحَلاّلاً في هذا المضمار. هذا وبوسعِ دبلوماسيةِ الأمةِ الديمقراطيةِ أنْ تؤديَ دوراً حَلاّلاً وثابتاً ووطيداً على أرضيةِ العصرانيةِ الديمقراطيةِ فيما بين شعوبِ الشرقِ الأوسطِ وأممِه، التي زجَّتها دبلوماسيةُ الدولةِ القوميةِ في فوضى عارمة، وأقحمَتها في اشتباكاتٍ طاحنة.

ستنتصر الحياة الحرة والديمقراطية بحملة الأول من حزيران الجديدة

مصطفى قره سو

تُعتبر حملة الأول من حزيران ٢٠٠٤ تاريخية لأن تصفية حزب العمال الكردستاني تعني تصفية الشعب الكردي بالأجمع، ولا يمكن التفكير بالحياة الديمقراطية والحرة للكرد في الشرق الأوسط لولا النهج المقاوم لحزب العمال الكردستاني، فما نشهده من الحالة الحيوية للحياة الديمقراطية الحرة للكرد في شمال كردستان وكافة الأجزاء الأخرى و أيضاً ما حققته الثورة في روج آفا، يعود الدور الأكبر لهذه النجاحات للحملة التي تعتبر استمرارية لقفزة ١٥ آب والمستمرة حتى يصل الشعب الكردي إلى الحياة الديمقراطية الحرة.

في الأول من حزيران دخلت حملة حرب الشعب الثورية التي بدأتها حركة الحرية الكردستانية عامها الحادي عشر والتي بدأت في عام ٢٠٠٤ , ولها من الأهمية والمعنى بقدر ما لقفزة الخامس عشر من آب من أهمية . كان من المحتمل أن تواجه الحركة التحررية الكردية التصفية, و من المعلوم بأن التصفوية التي خرجت ضمن صفوف حزب العمال الكردستاني أعوام (٢٠٠٣-٢٠٠٤) كانت تسعى إلى عرقلة هذه الحملة, وبالطبع تحققت حملة الكريلا في الأول من حزيران عام ٢٠٠٤ بتجاوز مفاهيم التصفية, و بهذه المناسبة نستذكر شهداءنا الذين كان لهم الدور الأبرز في البدء بالحملة و استمرارها و انتصارها, كما نوجه تحياتنا إلى الرفاق الجرحى.

هدفت المؤامرة الدولية التي بدأت بخروج القائد من الشرق الأوسط والمحاكة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي (الناتو) لأسر القائد في الخامس عشر من شباط عام ١٩٩٨ وأهداف أخرى هي:

أولاً: خططت الولايات المتحدة الأمريكية لإضعاف حزب العمال الكردستاني الذي يشكل عائقاً في وجه مخططاته قبل البدء بتنفيذ حملته السياسية و العسكرية في المنطقة, فكانت الاحتمالات كلها تدفع حزب العمال الكردستاني ليصبح قوة فاعلة في الشرق الأوسط.

ثانياً: هدفت المؤامرة إلى تصفية حركة التحرر الكردستانية, وإسناد المهمة إلى القوى العميلة وإبرازهم كممثلين للشعب الكردي.

سعي المتآمرين إلى بسط سيطرتهم على الشرق الأوسط من خلال ربط الدولة التركية بشكل أقوى بالقوى الخارجية

والهدف المهم الآخر, سعي المتآمرين إلى بسط سيطرتهم على الشرق الأوسط من خلال ربط الدولة التركية بشكل أقوى بالقوى الخارجية, و ذلك بزجها في حرب مستمرة مع حركة التحرر الكردستانية, و لا يخفى أن الدولة التركية كانت تطلب المساعدة من الناتو لمواجهة الحركة، والولايات المتحدة كانت تستفيد من الأزمة التي كانت تعيشها تركيا لكسب المشروعية للقيام بحملتها على الشرق الأوسط من خلال تركيا و إسكاتها للقوى و الأصوات المناهضة للتدخل الأمريكي في المنطقة.

استعدت حركة التحرر الكردستانية بعد المؤامرة الدولية لحرب فدائية، لكن القائد آبو أدرك بأن هذا أحد أهداف المتآمرين الدوليين. فوجه نداءً لانسحاب قوات الكريلا إلى خارج الحدود لإحباط هذه المؤامرة الدولية و إعطاء الفرصة لتركيا للقيام بالحل السلمي الديمقراطي، وتحضير حركة التحرر الكردية للنضال ضمن ظروف جديدة كخطوة ضرورية و هامة جداً للمرحلة النضالية الجديدة للحل الديمقراطي السلمي وإعاقتها للمؤامرة.

سعت الدولة التركية والقوى الدولية في تلك المرحلة -الانسحاب- إلى القضاء وتصفية حركة التحرر الكردستانية. فالمتحدث عن الدولة العميقة آنذاك «آرطغرل أوزكوك» كان يقول :» إن فؤوس الحرب التي طمرت بالأرض لن تخرج مجدداً» مشيراً إلى انتهاء هذه القضية. و اعتبرت الدولة التركية خطوة انسحاب قوات الكريلا ضعفاً للحركة و توجهاً لحركة التحرر الكردية نحو التصفية و الفناء.

أما « رجب طيب آردوغان» رئيس حزب العدالة و التنمية فقد أوضح سياسة الدولة التركية تجاه القضية الكردية عندما أجاب عن سؤال قائلاً: « إن لم تفكروا بها, فلا وجود لمثل هذه القضية» فلم يعر آردوغان أو حتى الحكومات التي سبقته اهتماماً إلى النداءات المتكررة التي وجهتها حركة التحرر الكردستانية بخصوص خطو خطوات جدية تجاه حل القضية الكردية, واعتبروا النداءات خدعاً وابتزازات واهية واستمروا بإصرارهم على (اللاحل)، فقد حشدوا كامل جهودهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لاتخاذ التدابير لما سموه « القضاء على جذور الإرهاب» بدل بذل الجهود لحل القضية الكردية, والأصح بأنهم من خلال الحرب النفسية هدفوا لإبعاد المجتمع عن الوعي السياسي, و تشتيت المجتمعية عن طريق الإبادة الثقافية و دمجها مع نظامهم.

من الواضح بأن أحد أهداف المؤامرة الدولية كان إبعاد القائد عن حركة التحرر الكردستانية وبدأت القوى الدولية و الأوساط الكردية العميلة إلى جانب العناصر الضعيفة في صفوف حزب العمال الكردستاني بالتحرك لتسليم الميراث والقيم التي خلقها حزب العمال الكردستاني إلى القوى الكردية العميلة, و خاصة بمحاولاتهم الساعية لعكس وتحوير مشروع إعادة البناء الذي طرحه القائد لكسر شوكة الحركة كي لا تتمكن من لعب دور فعال في المرحلة النضالية الجديدة.

هدفت العناصر التصفوية التي ظهرت داخل صفوف الحركة إلى القيام بانقلاب داخل الحركة وتصفيتها و جعلها غير قادرة على النضال، وحثها على التخلي عن النضال وذلك بالتنسيق مع القوى

الامبريالية والرأسمالية والأوساط الكردية العميلة وحكومة حزب العدالة والتنمية وهو ما يحقق أهداف المؤامرة الدولية، ولاستمرار هذه العناصر في حياتهم المنحطة في جنوب كردستان فعلوا ما فعله الخونة و المخبرون خلال السنوات الطويلة الماضية، كما أن بعض المجموعات أرادت من خلال تصفية حزب العمال الكردستاني إخفاء وجوههم الحقيقية المتمثلة بعقود من التبعية وخدمة الأعداء ومع ذلك قاوم حزب العمال الكردستاني هذا الواقع, وأدرك القائد آبو مدى خطورة هذه التصفوية وتدخل لمواجهتها، ولم يتمكنوا من إيقاف قرار النضال في الجمعية العامة لمؤتمر الشعب.

كشفت حملة الأول من حزيران النقاب عن الوجه الحقيقي للمتآمرين والعملاء والخونة والدولة التركية وحكومة الحرب الخاصة وممثلها حزب العدالة و التنمية, لذلك بذلت هذه القوى جهداً جباراً للحد من تأثير الحملة مستخدمة العملاء الكرد بالإجمال وكل أعداء القائد آبو وحزب العمال الكردستاني. ولمهاجمة حركة الحرية ومحاولة تصفيتها من خلال أطروحة فيدرالية جنوب كردستان الجديدة وحزب العدالة والتنمية بالتعاون مع الكرد العملاء، قاموا بنشر الدعايات الكاذبة والنتنة على أن الحملة تدار من قبل الأوساط التي هدمت الجيش و جنوب كردستان, لعرقلة وإعاقة الحملة.

إصرار شهدائنا الفدائيين وبطولاتهم وسيرورة الحملة أفشلت دعاياتهم و ألاعيبهم وأوضحت للعيان بأنه لما استطاعت الفيدرالية في جنوب كردستان أن تقف على قدميها و تبقى لولا الحملة, فقد قبلت تركيا الاعتراف رسمياً بجنوب كردستان في مقابل أخذ الدعم من أمريكا و بعض القوى العميلة من أجل تصفية حزب العمال الكردستاني لدرجة أن حزب الشعب الجمهوري التركي الذي يمثله» دنيز بايكال» صرح بأنه لا بد من عقد علاقات مع جنوب كردستان مقابل تصفية حزب العمال الكردستاني, أي ما يعنيه؛ إن وجود ومقاومة حزب العمال الكردستاني أصبح العامل الأساسي والسبب الرئيسي لوجود القوى العميلة الكردية المتعاونة مع الدولة التركية, فلم يكن لهم أي هدف سياسي أو وطني, بل كان همهم الوحيد أن لا يسمحوا لحزب العمال الكردستاني بأن يفضح عمالتهم و خيانتهم و حياتهم الدنيئة.

كل القوى الآنفة الذكر لم تتوقع المقاومة التي تمثلت بحملة الأول من حزيران, و استمرت بالتقدم رغم كافة الهجمات ، بذلك حافظت على القيم التي خلقها حزب العمال الكردستاني من السبعينات إلى الآن, و الأهم من ذلك أن الحزب جسد في نفسه طراز الثورة الكردستانية و حمى وجوده و أبقى عليها قوية وصامدة, و حافظ على النهج التحرري المقاوم لقائده, وبذلك ضمن وأمن الحياة

حافظت حملة الأول من حزيران وحمت النهج المنتصر لحزب العمال الكردستاني، وبنت أساس نضال الحياة الحرة والديمقراطية

الديمقراطية و الحرة للشعب الكردي.

تُعتبر حملة الأول من حزيران ٢٠٠٤ تاريخية لأن تصفية حزب العمال الكردستاني تعني تصفية الشعب الكردي بالأجمع, ولا يمكن التفكير بالحياة الديمقراطية والحرة للكرد في الشرق الأوسط لولا النهج المقاوم لحزب العمال الكردستاني, فما نشهده من الحالة الحيوية للحياة الديمقراطية الحرة للكرد في شمال كردستان و كافة الأجزاء الأخرى و أيضاً ما حققته الثورة في روج آفا, يعود الدور الأكبر لهذه النجاحات للحملة التي تعتبر استمرارية لقفزة ١٥ آب والمستمرة حتى يصل الشعب الكردي إلى الحياة الديمقراطية الحرة.

عندما أدركت الدولة بأنها لن تستطيع إيقاف مقاومة الشعب الكردي, عمدت إلى إحداث بعض التغييرات السياسية من قبيل أخذ الكرد بعين الاعتبار, بعد تصاعد وتيرة الانتفاضات في كردستان من خلال الحملة، لدرجة أن الدولة التركية ومن خلال بعض الوسطاء أجرت بعض اللقاءات مع إدارة حزب العمال الكردستاني في أوسلو ومع القائد وهي مستمرة حتى الآن، ليس من أجل حل القضية الكردية بل لكسب الوقت وتسيير الحرب النفسية وهو ما يدل على اشتداد النضال السياسي.

وصول النضال إلى المرحلة الحالية بعد أن كانت الدولة التركية تبني حساباتها على تصفية حزب العمال الكردستاني بعد عام ١٩٩٩ هو نتيجة حملة الأول من حزيران. فقد تم كسر و إبطال تأثير القوى المعادية والمحاربة لحركة التحرر الكردية وهدم جاذبيتها, ولعل أهم نتائجها اعتقال العديد من الجنرالات الأتراك الذين حاربوا حزب العمال الكردستاني، ومثول الجنرالات في محاكم حزب العدالة والتنمية وجماعة فتح الله كولان, أو حتى مواجهة حزب العدالة و التنمية للوصاية العسكرية, فالقول بأنهم هم من جعلوا الإنقلابيين يمثلون أمام المحاكم لا يمثل الحقيقة, بل كان ذلك إحدى نتائج الحملة.

بلا أدنى شك سياسة حزب العمال الكردستاني تجاه الكرد هي امتداد للسياسة القديمة؛ فقط تم تغيير الأسلوب. فالواجهة المرنة للسياسة الكردية وقوتهم في الحملة هي التي أجبرت الدولة التركية والذين أسروا و أصدروا حكم الاعدام بحق القائد يلجؤون إليه في إمرالي كلما ضاقت الأحوال بهم, فإذا استمرينا في تجسيد روح هذه الحملة ستُفتح أبواب إمرالي و سيتحرر القائد آبو و يعانق الشعب الكردي حريته وحياته الديمقراطية.

حافظت حملة الأول من حزيران وحمت النهج المنتصر لحزب العمال الكردستاني، وبنت أساس نضال الحياة الحرة والديمقراطية ودعمته, فبسبب سياسات حزب العدالة والتنمية تدعو الحاجة لحملة ١ حزيران جديدة و بلا شك ستكون الحملة الجديدة متوافقة مع البارادیغما الجديدة للقائد آبو و سيكون الطابع الجديد لها بناء الإدارة الذاتية الديمقراطية وحمايتها, ليس بناؤها فقط, أو حرب الدفاع المشروع فقط, بل دمج الاثنين و المضي بهما قدماً، لم تترك سياسات حكومة حزب العدالة والتنمية خياراً غير ذلك, فمثلما انتصرت قفزة ١٥ آب المجيدة ومثلما انتصرت حملة الأول من حزيران ستنتصر حملة النضال الجديدة المستندة على البارادیغما الجديدة, لا يمكن أبداً قهر النهج المقاوم الذي وضعه القائد آبو, يكفينا الانتظام في نهج القائد والعيش على أساسه, وبناء الإدارة الذاتية الديمقراطية وحمايتها بحق الدفاع المشروع! و للكرد القدرة على ذلك. وبالتأكيد ستنتصر حملة الحرية والديمقراطية و بناء الإدارة الذاتية الديمقراطية ولا يمكن عرقلتها و إعاقتها أبداً.

الروح المتجسدة في قفزة ١٥ آب المجيدة والأول من حزيران لها القدرة على تحقيق النصر.

مقاومة ١٤ تموز هي روح PKK التحررية

ورجان قلاووز

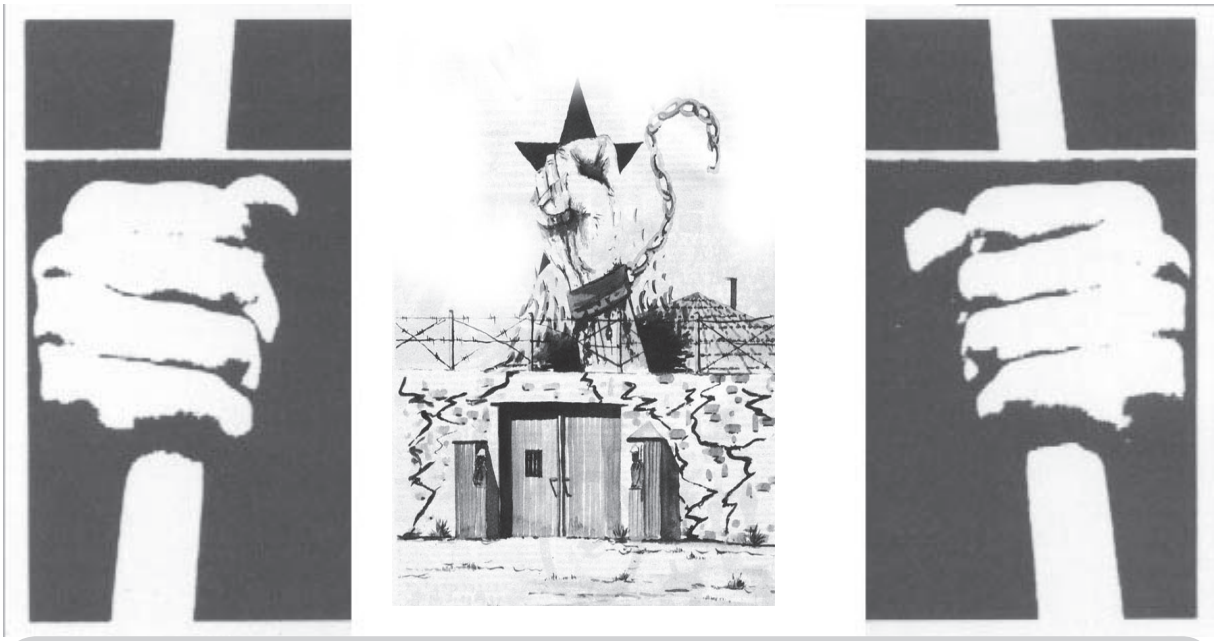

يحتل الرابع عشر من تموز المعروف بيوم شهداء «صيام الموت» مكانة خاصة في تاريخ نضال شعبنا الديمقراطي والتحرري. ولإدراك هذه الحقيقة بصورة صحيحة دعت الحاجة للتطرق إلى حقيقة نظام /١٢/ أيلول والسياسة المتبعة على الفرع الثاني من السجن العسكري.

هل فكرتم يوماً أن يُمنع عنكم السعال والحك وطرف العين والنظر يمنة أو يسرة، والقمل متعشش في أجسادكم..؟ وهل يمكنكم تخيل نفسية ذاك الإنسان المسجون في غرفة خاصة وهو يتعرض للتعذيب اليومي على مدى أشهر عدة..؟ هل تعرضت لمثل هذه الأشكال من التعذيب لعدم قبولك الخنوع والرضوخ وتبني هويتك..؟

تخيلوا أنكم واحد من بين ١٢٠ شخصاً مسجونين في حجرة من حجرات السجن التي لا يزيد عرضها عن عدة أمتار وكذلك طولها..! لمجرد خطأ بسيط يرتكبه أحد من هؤلاء الأشخاص، يُحكم عليكم بالتعذيب مئة مرة في اليوم الواحد دون أي تفريق بين المذنب والمظلوم... أجل... أخذ الأوكسجين في سجن ديار بكر كان كافياً لأن يغدو مبرر التعذيب والضرب، عدا ذلك يتّبع التعذيب بدءاً من الصباح مروراً بالظهيرة وصولاً إلى العصر والمساء ولاسيما أثناء النوم الذي كان يشبه كل شيء عدا ذلك.

في الفرع الثاني من السجن العسكري لديار بكر تتعلم النشيد الرسمي مع موسيقاه، خلال عشرة أيام حتى لو كنت تجهل حروف اللغة التركية. في غضون قلة قليلة من الأيام يمكنك تقديم تقييمك بتركيةٍ تخلو من الأخطاء، طبعاً كل ذلك ناتج عن الآلام المتمخضة عن التعذيب والذي يفرض عليك كل ماهو خارج عن إرادتك.

يستحيل عليكم التفكير بالمأوى والنوم ولا حتى تنفس الصعداء، لأن ذلك كفيل بأن تتعرضوا لتعذيب يترك أثره على جسدكم حتى الموت. فبالرغم من معرفتهم وإدراكهم لضرورة هذه الحاجات لمواصلة

الذين عرفوه عن كثب يدركون جيداً المستوى الثقافي الذي تمتع به الرفيق كمال بير

الحياة الطبيعية، تجدهم يعذبونك بأساليب لا تطبق بحق الحيوانات، لدرجة يصعب على العقل تصورها. أن تكون من أنبل الناس وأكثرهم احتراماً وأصالة، هذا لا يحرك من شعورهم قيد أنملة، بل وليس له أية مكانة في قاموسهم، مهما يكن فليكن، فلا فرق ولا قيمة إن كنت شيعياً أو علوياً أو سنياً، فالمسألة تكمن في كونك كردي الأصل أولاً، وهذا ما يشكل الحلقة الأساسية في ديار بكر، وتُزاد شدة التعذيب إذا كنت كردياً تؤيد القضية الديمقراطية والحرية الكردية. فيكفي أن تطالب بالديمقراطية حتى تتعرض- وإن كنت تركي الأصل- لما لم تشهده عيناك، وذلك بتبرير المواقف الوحشية؛ إنكم خونة وعملاء ولا أصل لكم... يجبرونكم على تقيؤ الحليب الذي رضعتموه من أمهاتكم.

نعم، لا بد من هدف وراء كل هذه الممارسات، والهدف الأساسي الذي ترمي إليه هذه السياسات هو التتريك، والاستغناء عن الهوية الكردية والتخلي عن الإنسانية التي تخدم شعبك وشعوب الشرق الأوسط، فعليك قبول الخيانة وجعلها تاجاً تضعه على رأسك رغماً عن إيمانك.

سعى نظام /١٢/ أيلول إلى تحويل كافة أعضاء PKK إلى دمى ليتسلوا بها كما تقتضي حاجاتهم الغريزية، ومن ثم جعلهم عبراً للمجتمع : «انظروا، انظروا إلى أحوال الذين عاهدوكم ببناء كردستان حرة، انظروا وليكن عبرة لكل من ينوي سلك هذا السبيل، وسيكون حالكم لا يحسد عليه إذا ما نطقتم بالكردية ...».

اتبع نظام /١٢/ أيلول كافة الأساليب ليستسلم الكوادر الآبوجيون طواعية، ومن ثم خنق القضية الكردية بين جدران سجن ديار بكر الأربعة ودفنها تحت سبع طبقات من الأرض. لم يترك أية وسيلة أو أسلوب كي يقول:» لم اتبع هذا الأسلوب، إذ كان بوسعي اتباعه..». رغم كل ذلك انصهرت سياسة نظام /١٢/ أيلول بنار مقاومة /١٤/ تموز «صيام الموت الكبير» لم ينهزم المطالبون بالديمقراطية والحرية في الصراع، فالذين سعوا إلى تجسيد سياسة التتريك والإنكار هم من خسروا المعركة منذ اللحظة الأولى.

على الجميع أن يدرك تمام الإدراك بأن مقاومتهم ليس لها مكان، لا في الدين ولا في الكتب ولا في أية فلسفة؛ انتصرت هذه القضية الإنسانية في زمن كان النظام الظالم نظام /١٢/ أيلول سائداً، والنتيجة التي سيصل إليها النظام القائم حالياً لن تكون مغايرة لسابقاتها. لأن «الكرد» كردي بكل ما للكلمة من معنى. ولم يكن ثمة أمر طبيعي أكثر من أن يكون الكرد كردياً. فهل من المعقول أن يضحى الكرد تركاً، حتى بفرض هذه السياسات لن يقبل»الكرد» إلا أن يكون كردياً، لكنه مستعد لإقامة الصداقة والإخاء، أما أن يغدو تركاً فهذا ما لا يجب تأمله من الكرد. أن تولد على وجه الحياة بالهوية الكردية ليس ذنب الكرد، كما «الترك» بالهوية التركية ليس ذنبه. لماذا يتعرضون لهذه الأساليب الوحشية واللا أخلاقية، ألكونهم يطالبون بالحياة الحرة في وطن ديمقراطي..؟

أول رد على نظام /١٢/ أيلول كان من إنسان تركي الأصل. كمال بير هو أول من وجه صفعة لهذا النظام الفاشي وأول من بدأ بالمقاومة وصيام الموت، ليقول لكل شخص وحشي وفاشي: «توقفوا.. هذا جنون وتهور..».

كان كمال بير قائداً للشبيبة الثورية، درس في كلية اللغة والتاريخ والجغرافيا، وبعد نقاش دام لنصف ساعة مع القائد آبو، قرر تقديم مساهماته لنضال الحرية الذي بدأه الكرد، وردد في قرارة نفسه» لا حرية للترك دون حرية الكرد». وهكذا احتل مكانه في أول مجموعة ثورية معروفة بالآبوجية.

الذين عرفوه عن كثب يدركون جيداً المستوى الثقافي الذي تمتع به الرفيق كمال بير، فما من إنسان أجرى النقاشات معه وتحدث معه إلا وتأثر وانضم إلى حركة الحرية الآبوجية. أغلب الناس يعرفونه بصفة الجندي المخلص، إلا أن هذا التعريف لا يعبر عن حقيقته لأنه أسمى من كونه جندياً مخلصاً، فهو إنسان أيديولوجي قبل كل شيء، كان متمكناً من علم التاريخ. وقد كانت النظرية الاشتراكية العلمية نقية كالمرآة أمام ناظريه. كان صاحب خطاب قادر على تحريك الحجارة، قد يكون ذلك مبالغاً فيه وفق وجهة نظر بعض الشخصيات، لكنني واحد ممن تأثر بخطابه

لدرجة أنني لم أتمالك نفسي، فقد بعث فيّ رغبة جامحة في تسيير الأنشطة ليلاً ونهاراً دون الشعور بالكلل أو الملل. كانت نبرة صوته الناضجة تبعث الأمل والثقة في نفس الجماهير المصغية. نعم... احتل مكانه في الصفوف الأمامية لمعركة مواجهة الفاشية. كان قائداً جاداً لا يعرف السكون ويشعر بالحاجة إلى عمل المزيد والمزيد.

له قلب يجتمع فيه حب الإنسان والشعب ليغدوا جسداً واحداً. لم يترك شحاذاً ومتسولاً إلا وتعامل معه وفي قرارة نفسه توعد بأخذ ثأرهم من الذين أوصلوهم لتلك الحالة. كان يكنّ حباً شديداً لتركيا وحبه لتركيا كما المجنون، إذ كان يقول بين الحين والآخر» ليس لأي دولة أربعة بحور مثل دولتنا .. أتعلمون ذلك ..».

أُعتقل كمال بير ثلاث مرات، لكنه لم يبح بأي سر للظالمين، والصراع والكفاح الذي خاضه في سبيل القضية التي اقتنع بها جعل الجدران تذوب رغماً عن صلابتها، وتعجز عن حبسه. حاول الهروب لكنه لم يتمكن من اجتياز عراقيل ديار بكر، لم يتخطّ جدار سجن ديار بكر ولم يخرج منه حياً.

كان من الأوائل الذين تعرضوا للتعذيب في سجن ديار بكر. رغم ذلك أحب الشعب الكردي، فهو يعشق ويحب الكردية أكثر من الكرد أنفسهم. كان تركياً يسرع بخطواته لإعاقة الأوليغارشية الناكرة للكرد.

الوحشية التركية أدت به لأن يقول» أخجل من كوني تركياً» أو « هؤلاء ليسوا أتراكاً بل أوغاد ليس إلا «. هو الذي قرر مع الرفيق محمد خيري دورمش البدء بصيام الموت المعروف بـ ١٤ تموز، ليعيق بذلك سياسة التتريك والاستسلام التي فرضها النظام الأوليغارشي.

فقد البصر في اليوم الخامس والثلاثين من أيام صيام الموت، لكنه لم يبح بذلك لأي من الرفاق كي لا يتأثروا به. لكن وبعد أن أدركنا المرض الذي أصابه لم يكن باليد حيلة لننقذه من حالته. بعد مرور عدة أيام جاء الطبيب المختص بشؤون مرضى السجون ففحصه وقال» هل ترغبون بالموت كونكم لا تحبون الحياة.. إن كان العكس صحيحاً، عليك التراجع عن صيام الموت..». أجابه الرفيق كمال بثقة وإصرار باديان : كلا ... إننا نحب الحياة لدرجة أننا مستعدون لأن نضحي بأغلى ما نملكه في سبيلها..». إجابته كانت فلسفية لأنه في الأصل فيلسوف حكيم.

استشهد الرفيق كمال بير في اليوم السادس والخمسين من العملية.

لن أسأل عن البطل، الجميل والعظيم. من يرغب أن يكون من أبناء الترك، فليأخذ الرفيق كمال بير مثالاً يحتذي به. و من يرد أن يضحى ثورياً حقيقياً فكمال بير خير مثال للشخصية الثورية، وعليه إحياءه لحظة بلحظة، وأن يكون صاحب قوة قادرة على استقبال الموت كالفلاسفة.

على الإنسان أن يقف ويفكر عندما يلفظ اسم محمد خيري دورمش. فهو قائد شعب يصعب التعبير عنه. لو أنه فضل الحياة التقليدية لتمكن من بلوغ المستويات العليا. لكنه سد أبوابها وانضم الى القافلة الآبوجية بعد أن درس الدكتوراه في(حجي تبه). كان هادئاً كالبحر ومناضلاً ثورياً مثقفاً ناجحاً في تربية ذاته، كذلك شخصيته الناضجة المتواضعة لدرجة تأسفه على نملةٍ إذا ما داس عليها أحد، يتعامل مع كافة الأجيال والأجناس دون تفريق، وله قدرة طارئة على خوض النقاش والحوار وجذب الجميع إلى النهج الصحيح دون أن يصيب أحداً بأذى أو يشعر بإزعاج. يتراءى لك للوهلة الأولى أنه شخصية عاجزة عن النقاش والحديث إلا أنه يجعل العيون والشفاه تبقى محتارة في أمره عندما يباشر الحديث. كان آبوجياً حقاً، كثيراً ما تمنينا لو يتحدث هو ونصغي إليه. لم يتحدث عبثاً، بل كانت نقاشاته غنية وراكزة و متواضعة، إلى جانب أنه لم يتصرف ويتحدث إن لم تدع الحاجة. يمكنني تعريفه باللغة الشعبية القائلة» الإنسان الكامل» بالمعنى الحرفي.

كان له من النضج ما يجعلك تبدي الاحترام له

إننا نحب الحياة لدرجة أننا مستعدون لأن نضحي بأغلى ما نملكه في سبيلها

رغماً عنك. كنا نتأسف في الوقت الذي كنا نتحدث فيه بالحروف الكبيرة «بصوت عال» وهو موجود، ولا نتردد في تقديم الاعتذار له ولم نكن نود مفارقته للحظة. ما من عائلة صاغية إلى الرفيق محمد خيري دورمش قالت «ليذهب إنه ممل»، على العكس من ذلك كانوا يقومون بكل ما في وسعهم لكسب احترامه. تحبه العوائل أكثر من أبنائها وكأنهم عثروا على من كانوا يبحثون عنه منذ زمن طويل. كان يتمتع بخصائص الأنبياء. لا يلبس إلا النظيف والمتواضع، رفيع القامة ذو ابتسامة خافية يتحدث معك بلغة عيونه الألماسية.

في يوم من أيام زياراته إلى العائلة في بينغول قال له والده:» أرسلتك إلى أنقرة كي تعود إليّ بشهادة الدكتواره، ها أنا أراك الآن تعود لي كردي الأصل..». أجاب والده بسكون ونضج : «ما نقوم به الآن ليس بعيداً عن وظيفة الدكاترة والدي، انظر إلى الوضع الذي يعانيه الشعب، هل تجد عضواً سليماً فيه..؟ قررت أن أصبح دكتوراً لشعبي».

لم تأبه هذه الشخصية المنظمة بالعراقيل والعقبات. لم يكن في يد الإنسان أن يبقى في حيرة من أمره، فالسكون والهدوء والتواضع والأخلاق والتنظيم كلها سويةً كانت تشع من عيونه وتنعكس على كل تصرفاته. كان خلاقاً وقائداً يشكل تنظيمه أينما كان و في أي مكان يذهب إليه.

و هو الذي دوّن الشكل الأخير من برنامج PKK عام ١٩٧٧. قلمه أيضاً كان متواضعاً وجذاباً مثله تماماً. كان قلماً من النوع الذي يفرض عليك سبر أغواره. كان قائداً يجمع في شخصيته المفاهيم الديمقراطية والإيكولوجية . لم يقم بأية عملية مسلحة، لكنه كان المخلص والنشيط الذي يكتفي بصحن من البرغل وكأس من الماء ليخدم شعبه ويسعى إلى بناء مستقبل حر له؛ هو ذا الذي كنا نبحث عنه دائماً ولم نره إلا قليلاً. فضلاً عن تواضعه هذا كان يعمل ليلاً نهاراً، يود تقديم كل ما يملكه، فهو رجل السياسة بمعناها الحقيقي.

كان المسؤول الأول في سجن ديار بكر، وعمل كما تقتضتي مسؤوليته. هو الذي أدرك الأهمية التاريخية والسياسية التي يتمتع بها الدفاع السياسي الذي سيقدم أثناء المحكمة. لهذا تحمل كل الأساليب الوحشية وتحلى بالصبر. عانى من التعذيب أكثر من أي واحد منا، إلا أنه كان فخوراً بقضيته ولم يتنازل عن كلمة نطقها سابقاً، بل كان مصراً على أن يلعب دوره أثناء المحكمة. ولم يجد النوم إلى جفونه سبيلاً وهو منشغل بإعداد وثائق قضية شعبه. أصر على أن يشارك كافة المجموعات في المحكمة، ونجح في ذلك، وعارض كافة الاتهامات التي لا علاقة لها بالحقيقة، مع التأكيد على إصراره وعزمه على مواصلة مسيرة الحرية، ولم يتوان عن التصريح بقرار البدء بصيام الموت في وجه المحكمة. وحتى في آخر محطات سفره و في أكثر اللحظات قيمة، عندما قدم حياته في سبيل حرية الشعب الكردي قال:» اكتبوا على شاهدة قبري بأنه مات مديوناً».

يقف الإنسان لينظر ويتمعن من جديد، لا يجد في يده حلية إلا أن يقول» وا أسفاه «.

عاكف يلماز كان واحداً من الرفاق المستشهدين في صيام الموت /١٤/ تموز. كان من قارص وانضم إلى الحركة الآبوجية من المنطقة نفسها، تتمتع شخصيته بالنضج والنشاط والكدح. كان مناضلاً لا يبخل بتقديم ما يمكله لرفاقه، رغم تواضعه وسكونه المكتظ بالمعاني، يتكفل بأصعب الأعمال، أما من حيث التزامه بالهدف وحبه للوطن، يمكنني التعبير عنه بكلمة واحدة لا غير وهو أنه كان « مثالاً رائعا». لم يحمل الحقد ورد الفعل، لأن الحب كان مسترخياً في صميم قلبه. فحتى التعذيب الذي تعرض له في سجن ديار بكر، كان بالنسبة له أمراً يجب استقباله بالتسامح، لأنه نتيجة من نتائج الذهنية، لكنه كان ينسى هذا التسامح إذا ما بدأ بالمحاسبة الذاتية.

عندما كان طليقاً حاول خطف الرفيق مظلوم دوغان من سجن ديار بكر، لكنه لم ينجح في عمله هذا، لهذا السبب لم يترك لنفسه مجالاً يعفو به عن ذاته، وازدادت هذه القطيعة بعد استشهاد الرفيق مظلوم دوغان، ليس لكونه شخصية عاطفية، بل لأن وجدانه لم يغفر له. جاء مدير السجن «بيرول شان «والسكر يغلب عليه، كان يتجول في الحُجر، وكان يحمل المصباح في يده، سأل

ما نقوم به الآن ليس بعيداً عن وظيفة الدكاترة والدي، انظر إلى الوضع الذي يعانيه الشعب، هل تجد عضواً سليماً فيه

الرفيق عاكف قائلا:

من أنت... ياو...

عاكف: أنا كردي.

ماذا يعني الكرد الذي تتحدث عنه..؟

عاكف بنظرات حادة: « إنسان».

في تلك الليلة أخذوه إلى غرفة التعذيب. تخلى عنه المسؤول ليحتل الآخرون مكانه ويواصلوا التعذيب. كان الحقد يشع من وجوههم رغم كونهم مذنبين. أما عاكف فكانت عيناه تشعان أصالة ويتمتع بتسامح لا يقدر.

قبل استشهاده بساعات عدة طلب من حارس يقف بجانبه في المشفى العسكري كوب ماء. ربما كان هذا الحارس ابن حلال وإنساناً طيب القلب، لقد جلب له كأساً من العصير بدلاً من الماء. عندما أمسك الرفيق عاكف وشرب الرشفة الأولى عرف أنه جلب العصير وليس الماء، حينها لم يتمالك نفسه ليقول:|» طلبت منك كأساً من الماء، ألا تعلم بأننا لا نشرب الماء الحلو ونحن في فترة صيام الموت، لن أشرب شرابك». حمل الكأس ورماه على الأرض.

كان ثورياً ملتزماً بقواعد عمليته حتى آخر نفس، دون أن يتنازل عن أي شيء. أما نحن.. فما مستوى التزامنا..؟ كم مرة في اليوم نتنازل عن مبادئنا وقراراتنا وقواعدنا..؟ عشر ، عشرون أم مائة..؟ وقد نكون في وضع يصعب علينا حسابه.

إن كنت راغباً في أن تكون إنساناً بمعناه الحق، فخذ مقاييس الرفيق عاكف يلماز المبدئية، الحريصة والمنظمة مثالاً لك وما تبقى ليس سوى كلمات فارغة.

علي جيجك هو آخر من استشهد من بين شهداء ١٤ تموز. كان معروفاً بـ» النجمة الحمراء» من قبل الرفاق. وقد كان كذلك في الحقيقة. لم يجرؤ الإنسان أن ينظر إليه. كان دائم الابتسام والنشاط، مفعماً بروح عالية من المعنويات، وفضلاً عن ذلك، كانت ملامحه متناسقة وكأنه مرسوم بريشة رسام محترف. يعود أصله الى أورفا. انضم إلى الحركة وهو ما يزال في مقتبل عمره. في الوقت الذي فر فيه كمال بير من سجن أورفا، قام هو في الخارج بدور المرشد، وبعد فترة تشاركا الغرفة والسجن نفسه.

كان مناضلا ثورياً، نفذ عمليات لاتحصى، وقد تم القبض عليه وهو مسلح ويحمل العديد من الوثائق السرية. إلا أنه لم يقبل أي من الاتهامات؛ القيام بالعملية ولعب دور المرشد وحمل السلاح والوثائق. بناء عليه تُرك لمدة تسعين يوماً بالكامل تحت التعذيب والمحاكمة والاستجواب. لم يقبل بأي تهمة عدا أنه اعترف بهويته الشخصية. وأجبر العدو أن يدوّن ملاحظاته التي اعترف بها بإرادته وليس بقوة الضغط.

قرروا إرساله إلى ديار بكر. لكنهم أرادوا معرفة أمر من الرفيق جيجك، بناء عليه طرحوا السؤال التالي:» من منا كان هدفك هذه المرة، قبل أن نقبض عليك، ياعلي جيجك..؟».

رفع رأسه وعيناه معصوبتان، وجاوب: كلكم أوغاد....

علي جيجك في الثامنة عشرة من عمره كان ناضجاً أكثر من ذاك الذي يفتخر بنضجه. يحترم رفاقه ولا يتكبر على الأعمال التي ينجزها بنجاح، بل ولا يذكرها على الإطلاق. من هذه الخصائص تكوّن تمثال المقاومة للرفيق علي جيجك.

لم يتركوا لحظة إلا وأخضعوها لخدمة هذا الشعب وقدموا كل ما يملكونه من الإمكانات التي تتمتع بها الشبيبة من الجهد والزمن والعاطفة والفكر والإيمان والإرادة لخدمة هذه القضية

كان من أوائل السائرين في مسيرة المقاومة، وقد تبادرت إلى ذهنه فكرة الانتحار عندما قاموا بعزل رفاقه وسجنهم في غرفة بعيدة. بدأ بالإضراب عن الطعام بمفرده رداً على التعذيب. من بين ستة رفاق كان أول من انضم لصيام الموت الذي أعلنه الرفيق محمد خيري دورمش في المحكمة، وطالب بحق الحديث من مسؤول المحكمة «امر الله قايا» بإصرار، وقال: سوف أدلي ببعض التصريحات بالغة الأهمية. وقد نجح في كسب حق الحديث بعد جهد جهيد. فعلي جيجك الذي لم يستطع التكلم أثناء المحاكمة نجده منتصب القامة ومرفوع الرأس وهو يتحدث قائلا:» يجب تدوين التاريخ بصورة صحيحة، وينبغي تفادي اتهام أحد آخر أنا الذي قمت بها». وهكذا تبنى مسؤولية كافة العمليات التي نُفذت وواصل حديثه قائلا:» علمناPKK درس المقاومة وليس الاستسلام، بناء عليه أنا أيضاً أنضم إلى عملية صيام الموت وستكون هذه آخر المحاكمات التي أنضم إليها».

وهذا ماحدث بالفعل، استشهد الرفيق علي جيجك بعد ستين يوماً من صيام الموت. كان الابن البكر لعائلة فقيرة. كبر قبل أوانه، لأنه كسب رغيف خبزه بعرقه وجهده. أحب وطنه وشعبه وحاول الدفاع عن كل الحقوق المسلوبة منهم. فعل كل شيء لأجلهم. ودفع بنفسه تحت رحمة البلطة التي كانت تستهدف إبادة الشعب وأعاقها بجسده الناعم.

أجل... كان أغلب شهداء /١٤/ تموز لا يبلغون الثلاثين بل أكبرهم كان في الخامسة والعشرين من عمره، أي كانوا قادة في مقتبل أعمارهم. وكانوا يطالبون بالديمقراطية والحرية ويرفضون الإنكار والإبادة، ويسعون إلى إعادة حياة تجمع صداقة الشعب التركي والكردي في كنف الإخاء والعدالة. إلا أن توازنات القرن العشرين وأسسها الذهنية وحقيقة الأنظمة أعاقت ذلك ولم تمنح لهم فرصة الحياة.

لم يفعلوا شيئاً لخدمتهم الخاصة ولمنافعهم الشخصية، لم يتركوا لحظة إلا وأخضعوها لخدمة هذا الشعب وقدموا كل ما يملكونه من الإمكانات التي تتمتع بها الشبيبة من الجهد والزمن والعاطفة والفكر والإيمان والإرادة لخدمة هذه القضية. لم يقولوا مرة واحدة جملة من قبيل:» ماذا سيحل بوضعي» بل قالوا:» مالذي كان بوسعنا القيام به ولم ننفذه لخدمة هذا الشعب». لأنهم جميعاً كانوا رجال القضية... رجال الفكر... ورجال الإيمان.

لو كانوا يملكون الإمكانيات التي نملكها نحن اليوم لكانوا سيعملون ليلاً ونهاراً كي يحققوا الديمقراطية والسلام دون أي تأجيل في العمل، ولغدوا من القادة الحقيقيين لهذا الشعب. لأن روح التضحية والفداء وحب العمل والتواضع والاحترام الذي تمتعوا به، كان من الخصائص التي بإمكانها تقديم مساهمات جمة في يومنا الراهن. والأنكى من كل ذلك كانوا عشاق هذا التراب وهذا الشعب، و العكس صحيح كذلك.

فإن كانت ثقة وإيمان الكوادر في تلك الظروف الصعبة بالنصر مطلقة، فعلى كل كادر يسير على خطاهم اليوم أن يثق بالنصر ويعمل من أجل رفع وتيرة نضاله التحرري على أساس هذه الثقة. فالرفيق كمال بير، محمد خيري درموش، عاكف يلماز، علي جيجك وأمثالهم من الرفاق البواسل حققوا النصر في الحياة والفكر والعواطف. و تغلبوا على الموت وكافة أنواع الرجعية والتخلف بعواطفهم وأفكارهم وأيديولوجيتهم التحررية، وأصبحوا بشخصياتهم العظيمة رموزاً للحياة الحرة. وقول كمال بير» أحب الحياة لدرجة الموت من أجلها» يعني أن الحياة النوعية التي تستحق بأن يضحي الإنسان من أجلها هي الحياة التي يمكن للإنسان أن يحبها. لذا فإن كمال بير قام برد حياة الذل والهوان التي لا تملك قيمة الحياة، وضحى بحياته لإنشاء الحياة الحرة.

لذا يجب على كل كادر وكل وطني وكل من يناضل من أجل تحقيق الحرية والديمقراطية مقابل هذه الحقائق العظيمة القيام بما يقع على عاتقه من مسؤوليات ويساهم بكل ما لديه من إمكانيات لإيصال هذا النضال إلى النصر المؤزر. فهذه مسؤولية أخلاقية ومسؤولية سياسية وضرورة من ضرورات العيش كإنسان.

نحو حل نموذجي في الشرق الأوسط

إن ما تتعرض له دول منطقة الشرق الأوسط من حرب ودمار يعتبر بداية مرحلة جديدة من هدم الأنظمة القديمة وبناء أنظمة جديدة بدلا عنها، وليس بالضرورة أن تكون أنظمة أكثر ديمقراطية أو أكثر تطورا من سابقاتها. وهي حرب عالمية ثالثة بين القوى العالمية المتصارعة على المصالح في المنطقة، القوى الرأسمالية العالمية كصاحبة مشروع الشرق الأوسط الكبير هي التي تقود هذه الحرب بقيادة أمريكية - اسرائيلية، وهي التي تخلق الأزمات بشكل دائم كي تديرها، بالمقابل تقوم أنظمة دول الشرق الأوسط ذات الأصول القومية الكلاسيكية بمداخلة هذه الأزمات وتمرير الحرب وتعميقها بقيادة إيرانية باسم حماية وحدة أراضي الدولة المعنية خوفا على سلطتها في المنطقة. أما الطرف الثالث في المعادلة فهو الطرف المقاوم في مواجهة الأنظمة الديكتاتورية وثقافة الأنظمة الرأسمالية بقيادة الشعب الكردي صاحب مشروع الشرق الأوسط الديمقراطي. لكن الجبهة الرأسمالية التي انقسمت فيما بينها بين جبهة أمريكية وأخرى روسية قسمت مواقف دول المنطقة أيضا، فمنها من يدعم النظام الحاكم ومنها من يدعم المعارضة كما في الحالة السورية.

الصراع الدائر في المنطقة إن دل على شيء فهو يدل على انتهاء زمن موديل الدولة القومية ذات النظام المركزي الواحد. المقاومة التي تظهر من قبل شعوب المنطقة هي عبارة عن مقاومة في وجه الديكتاتوريات، لكن الحالة السورية تحولت إلى شيء مغاير تماما، حيث تحولت عملية التغيير التي بدأت مع قيام الثورة إلى أزمة فيما بعد نتيجة السياسة التي سلكها النظام السوري مع الحراك الشعبي، التزمت والنمط الأحادي المتسلط على المجتمع من كافة جوانبه أدى إلى حدوث الانفجار الكبير الذي فتح بدوره الباب أمام الإرهاب بكل أشكاله. كما جاءت كنتيجة لتلك السياسات الديكتاتورية التي مثلها الحزب الحاكم، وهي ليست كالحالة التونسية والمصرية، صحيح أن ردة الفعل والتضحية التي قام بها الشعبان التونسي والمصري كانت نتيجة لتراكم كم هائل من الممنوعات المفروضة عليهما من قبل الأنظمة الحاكمة، لكنها استطاعت أن تحقق عملية تغيير في بنية النظام الحاكم ولو بنسبة بسيطة إلى جانب تغيير القوة التي تدير السلطة. إن القوى الخارجية والنظام السوري الحاكم فتحا الباب أمام دخول المجموعات الإرهابية إلى سوريا، حيث خدمت هذه المجموعات الجهادية مصالح كل من القوى الخارجية والنظام الحاكم على حد سواء.

بحث النظام البعثي عن طريقة لإضفاء الشرعية على حربه الشنعاء ضد المدنيين والشعب الأعزل، حيث لجأ إلى أساليب غير مشروعة بحجة مطاردة الإرهابيين والمجموعات السلفية. كانت مجموعات جبهة النصرة متكونة من أعضاء مجهولي الهوية أتوا من خارج سوريا بحجة بناء دولة الإسلام والدفاع عن المسلمين

« الهام احمد

ومن ثم سعت لفرض سيطرتها على كامل سوريا، لكن المناطق الكردية قاومت وبشدة محاولات احتلالهم لهذه المناطق. وبعد أن فشلت جبهة النصرة في مخططها العدواني سلمت زمام الأمور لدولة الإسلام في الشام والعراق، ولا تزال المنطقة تعاني من ظلم وإرهاب هذه المجموعات، ويبدو أن داعش تحول إلى مجموعات تخفي الأطراف المتصارعة على المنطقة، فكل طرف له ممثلين ضمن هذه المجموعات، تحارب باسم داعش لكنها تخدم مصالح تلك الأطراف، لهذا يأتي الصمت الدولي المرعب حقا أمام الإرهاب الدائر في المدن السورية منذ أكثر من ثلاثة أعوام. الإرهاب الذي مارسه كلا الطرفين أي المجموعات الإرهابية والنظام حول سوريا إلى ساحة لتصفية الحسابات ما بين القوى المتصارعة على منطقة الشرق الأوسط، لهذا أتى الدعم الكلي للنظام من قبل الجبهة الروسية والإيرانية، وأتى كل الدعم للمعارضة والمجموعات الإرهابية باسم المعارضة من قبل العالم العربي وتركيا وأوروبا. لكن أوروبا التي كانت تود الخلاص من هذه المجموعات المتشددة التي أوقعت تلك الأوطان ببلاء كبير أرسلتهم إلى سوريا كي تتخلص من بلائهم وتنقذ نفسها من إرهابهم من جانب وتقضي على نهج المقاومة المتمثلة بحركة تحرير الشعب الكردي من جانب آخر.

منذ بداية الثورة السورية وكان المشروع التركي المخطط في منطقة الشرق الأوسط هو أن تصبح تركيا شريكا أساسيا في بناء النظام الجديد

منذ بداية الثورة السورية كان المشروع التركي المخطط له في منطقة الشرق الأوسط هو أن تصبح تركيا شريكا أساسيا في بناء النظام الجديد الذي يدير مناطق الثورة عن طريق الإسلام المعتدل على حد قولها، لكنها فشلت في مخططها هذا وخاصة في ليبيا، لهذا أرادت أن تتحكم بمصير سوريا بسبب أهمية موقع هذا البلد في المنطقة ولوقوعها على الحدود التركية ولكثرة الحسابات عليها. عندما يتم تصفية الوضع السوري سيكون الطرف الرابح في الورقة السورية هو المتحكم بمصير المنطقة التي تقع تحت سيطرته، لهذا لم ترغب تركيا بالخسران مرة أخرى كما خسرت في الوضع الليبي، فدعمت تركيا المعارضة بمجلسها الوطني وائتلافها، كما أنها سعت لكسب الكرد إلى جانبها عن طريق المجلس الوطني الكردي الذي انضم إلى المجلس الوطني السوري في بداية الثورة، لكن المجلس الوطني السوري الذي بني على أساس إنكار حقوق المكونات أبدى موقفه المعادي لحقوق ورموز الشعب الكردي كقضية وشعب، وأدخل مجموعات الشباب كتنسيقيات في متاهات وفوضى الثورة السورية الشبابية الناكرة للديمقراطية والتنوع، لكن المجلس الكردي تخفى وراء تحركات الشباب بشكل دائم، لم يرد إزعاج النظام السوري من ناحية وظل على تواصل دائم معه وأرضى المجلس الوطني السوري أيضا بتبنيه للتنسيقيات والشعارات التي كان يطلقها المجلس الوطني السوري. ومع انتهاء دور التنسيقيات انسحب المجلس الكردي من ذاك المحور بشكل رسمي لكنه بقي على علاقة معه من خلال بعض الأحزاب مثل أزادي والبارتي والتقدمي وضمهم مؤتمر المعارضة في الدوحة عندما قام السيد مسعود البارزاني بزيارة الدوحة ليوصي بهذه الأحزاب كي يتم إعطاء المناصب لهم في المجلس. دعمت تركيا بعض الشخصيات المستعربة والتابعة من الكرد أمثال عبد الباسط سيدا الذي لم يعترف بكرديته لا قبل ولا بعد الثورة سوى أنه استخدم هويته ضد قومه، وعبد الحكيم بشار الذي يعادي الكرد تحت مظلة الهوية السورية العامة. كان انضمام المجلس الكردي إلى الائتلاف نتيجة لسياسة الدولة التركية التي سعت لضم كل أطراف المعارضة إلى جبهة الائتلاف وصهر الديمقراطية في بوتقته، لهذا كان شعار «واحد الشعب السوري واحد» هو الشعار الشمولي الذي حارب كل الثقافات الموجودة في سوريا، وجمع الشبان حول هذا الشعار الرنان واستغل عواطف تلك الفئة. فإعطاء طابع الهوية السورية العامة للثورة على أساس إنكار التنوع في المجتمع كان عبارة عن مؤامرة خبيثة مدبرة من قبل القوى المستفزة والحاضنة لجبهة الائتلاف والداعمة لها والتي لم تقبل بوجود الكرد منذ بداية الثورة وحتى الآن.

السيناريو الذي تم التخطيط له كي يتم الاستيلاء على موارد الوطن السوري هو سرقة الثورة السورية على يد المجموعات الإرهابية التي تهاجم الشعب الكردي بكل شراستها. وصفت بعض الأطراف هذه الحرب بأنها حرب الإسلام والصليبيين، لكن هجوم المسلم على المسلم أفرغ هذه النظرية وأثبت صحة النظرية القائلة إن تشكيل الشرق الأوسط الجديد سيكون على حساب أهالي المنطقة وسيكون على حساب الكرد الذين آمنو باستقلالية الفكر والفلسفة، آمنوا بقوتهم الذاتية وسعوا إلى أن لا يكونوا آلة بيد أي قوى ساعية إلى تحقيق مصالحها عبر الاستفادة منهم في المنطقة، لهذا

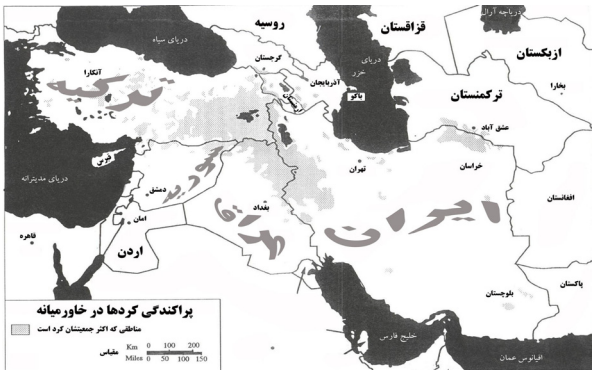

اتخذوا لأنفسهم النهج الديمقراطي المتعدد الألوان والهادف لبناء سورية ديمقراطية تعددية وضامنة لحقوق الكرد وكافة المكونات الأخرى من المجتمع السوري.

لهذا وبقصد التشهير بالحركة الكردية المنظمة الواعية تم اتهام الكرد بعدم انضمامه للثورة السورية ودعمه للنظام السوري، على الرغم من أن الكرد من أكثر الذين عانوا من ظلم النظام البعثي، وهم الوحيدون الذين قاوموا ظلمه بجسارة وكانت انتفاضة الثاني عشر من آذار مثالا حياً على ذلك. لهذا من غير الممكن أن يقبل الكرد بنظام كهذا أو أن يساند قوة قد تتحول إلى جلاده باسم الثورة في المستقبل. لذلك تكون الضمانات قبل تحقيق الثورة وليس بعدها كما فعل الكثيرون عندما حاولوا إقناع الكرد بإسقاط النظام أولا ومن ثم يتم التحدث عن الحقوق باسم الثورة السورية الشاملة. واستطاعوا إقناع قسم من الشباب المتعاملين مع هذه الجهات مقابل مبالغ من المال وتأمين وسائل الإعلام والاتصال لهم، وبهذا جعلت من تلك الشبيبة أعداء للكرد، ناكرين لذاتهم وهويتهم الكردية. في البداية رفضوا كافة الرموز الكردية في الثورة السورية، وبعد مقاومة عظيمة من قبل الحركة الكردية لجأت هذه المجموعات إلى التستر وراء الكردياتية ومعاداة القضية الكردية باسم ممثلي الكرد ضمن الائتلاف.

إن الهجمات الوحشية السافرة التي تتعرض لها مناطق غرب كردستان هي نتيجة للسياسات المعادية للشعب الكردي وإرادته الحرة. والأطراف الكردية في المجلس الوطني وسياساتها التبعية للقوى الحاكمة تشكل السبب الأول والأخير في شن الحملات الإرهابية ضد الشعب الكردي، لأنه بالنتيجة توجد قوى تدعي أن الطرف المدير للمنطقة غير مؤيد للثورة السورية وتروج لهذه السياسة، تتحدث باسم الوطنية على حساب الشعب الكردي. لذلك تستفيد القوى المعادية من الفراغ والشرخ الموجود بين صفوف القوى الكردية. حتى أن هناك بعض القوى الكردستانية ،كالحزب الديمقراطي الكردستاني، الذي كان من المفروض أن يلبي نداء الشعب الكردي في غربي كردستان ويساعده في محنته، نراه يقف عائقا أمامه فأغلق الأبواب أمام المساعدات الإنسانية في وجه الشعب الكردي وفرض الحصار عليه عن طريق حفر الخنادق على طول الحدود المتاخمة لجنوب كردستان لإجبار شعبنا على الاستسلام، حتى معبر تل كوجر الذي كان مفتوحا أمام المساعدات الإنسانية ودخول المواد الأساسية كالغاز والبنزين إلى المنطقة، أغلقه بعد سيطرته على معبر ربيعة. هذا وقد لجأ إلى شراء ذمم الشباب من أصحاب النفوس الضعيفة لتشغيلهم واستخدامهم في التفجيرات بهدف ضرب استقرار المنطقة وافتعال الفتنة بين مكونات المنطقة. علما أن القضية الكردية في غربي كردستان تشكل مفتاح الحل للقضية الكردية في الأجزاء الأخرى وكذلك ضمان استمرارية الحكومة الكردية في إقليم كردستان أيضا. إن انتصار الثورة الكردية في غرب كردستان يعني انتصار الكرد في الأجزاء الكردستانية الأخرى أيضا.

الكثير من القوى المعادية لإرادة الشعب الكردي بقيت صامتة ولم تبدِ أي موقف تجاه الهجمات التي يتعرض لها شعبنا، لأنها تنتظر أن يخسر الشعب الكردي المعركة ويتراجع إلى نقطة الصفر أو تخسر حركة التحرير المتمثلة بحركة المجتمع الديمقراطي كي تظهر تنظيمات كرتونية على الساحة لتستلم زمام القضية وتعلن نفسها الممثل الشرعي وتتعامل مع القوى العدائية وتكسب رضاها على حساب حقوق الشعب الكردي وقضيته العادلة. القوى الخارجية أيضا لم تحرك ساكنا في مواجهة ما يجري في المنطقة. لكن المهم في هذه المعادلة هو وحدة صف الشعب الكردي، حيث لم يعد هناك فرق بين أعضاء التنظيمات، إنما هبَّ الكل لتلبية النداء لحماية مكتسبات الثورة، ولم يقصر يوماً في واجباته ومهامه الوطنية التاريخية.

إن ما يجري الآن في العراق مرة أخرى هو عبارة عن استمرار للمخطط القديم، ومع الاستيلاء على الموصل من قبل مجموعات داعش تدخل المنطقة مرحلة جديدة من الإرهاب والحرب والدمار، فدخول داعش إلى الموصل واستلامها من الجيش العراقي السني المتفق مع داعش في ليلة وضحاها كانت خطة تم التحضير لها من قبل. إن استمرار الحرب في العراق يعني حرباً تقسيمية سنية وشيعية وكردية، لكن هذا التقسيم لا يعني إيقاف الحرب وهدر الدماء، إنما يعني فتح السبيل أمام حرب داخلية تؤدي إلى استنزاف المزيد من الدم الكردي والعربي والسني والشيعي. وهذا يعني أن شرارة الحرب هذه ستنطلق إلى

الدول المجاورة كتركيا والأردن والإقليم ولبنان، ومنها ستنتقل الشرارة إلى الدول الأوروبية عن طريق المقاتلين المنضمين من جنسيات أوروبية.

البحث عن تقسيمات أخرى ضمن إطار مشروع الدولة القومية بحث فات عليه الدهر ولن يكون حلاً للقضايا التي تعاني منها المنطقة بل ستكون حافزاً للحرب وظهور قضايا عقيمة لا تؤدي سوى إلى المزيد من الدمار والويلات. تمتد حدود دولة الشام والعراق إلى مساحة واسعة وفق ما تدعي هذه الخلافة، لأنها تصل إلى حدود بعض الدول العربية والأوروبية، وشعرت بعض الدول الأوروبية التي لم تكن تهتم بانتشار هذه المجموعات في العمق السوري بخطورة الوضع مع استيلائها على الموصل، وعلمت أن وحدات الحماية الشعبية التي تقاوم منذ أكثر من عامين دون تردد ضد هذه المجموعات الإرهابية اعتمادا على قوتها الذاتية ودون تلقي أي دعم من أي طرف كان هي قوة عظيمة ومنظمة ومبدئية.

إن مشروع الإدارة الذاتية حل نموذجي لأزمة الشرق الأوسط، باعتباره حلا يضمن حقوق كافة المكونات في المنطقة ويسعى لتحقيق الوحدة الطوعية ضمن إطار الدولة المتيقظة للديمقراطية. سيكون لمشروع التقسيم الذي يتم رسمه للعراق تأثير مباشر على سوريا أيضا إذا لم تتوحد جبهة المعارضة وبقي النظام على نهجه الديكتاتوري وبعيداً عن الحل السياسي، وهذا يعني بأن سوريا أيضا ستتوجه نحو التقسيم، أما إذا تطور الحل السياسي الديمقراطي فهذا يعني أن السيادة السورية مع الحفاظ على مناطق الإدارة الذاتية ستحمي سوريا بحدودها الحالية وتعزز من وحدة واتفاق المجتمع السوري بكل مكوناته. على ما يبدو أن النظام السوري الذي أجرى العملية الانتخابية ضمن ظروف الحرب أعطى رسالة للأطراف المتعددة بأنه نظام مشروع وله السيادة على البلاد وسيفرض سلطته بالقوة على أرض الواقع، لهذا فهو يتهجم ويبتعد عن الحل ويزيد من الأزمة تعقيدا.

هذا يعني أن الأزمة التي تعيشها المنطقة هي أزمة بنيوية، لا يمكن حلها إلا عن طريق عملية تغيير ديمقراطي جذري، وإلا ستنتشر شرارة الحرب في الدول الأخرى مثل إيران وتركيا ودول الجوار مع سوريا والعراق. تركيا التي دعمت المجموعات الإرهابية بشكل مباشر وغير مباشر بهدف القضاء على الحركة الكردية ووضعها تحت السيطرة، باتت أمام مفترق طريقين لا ثالث لهما، إما أن تغير نظامها أو أنها ستواجه المصير نفسه. إيران أيضا تواجه نفس المصير.

أما بالنسبة للقضية الكردية في سوريا والمنطقة بشكل عام فليس بإمكان أي طرف يعمل على حل الأزمة السورية أن يتغاضى عن قضيته ووجوده كقوة فاعلة على الأرض، لا بد له أن يعترف بوجود الكرد وقضيته حتى يتسنى له تمرير مشاريعه، وإلا فلن يكون له نصيب في النصر.

كل القوى العالمية لم تكن تتوقع من الكرد أن يحموا مناطقهم بهذا الشكل ويشكلوا إدارتهم في المناطق الكردية، وعلى الأغلب كانوا يتوقعون أن يسيروا مع التيار الجارف وينخرطوا في الحرب القذرة الدائرة في البلاد، لهذا كانت ردة الفعل قوية عندما حرر الكرد مناطقهم من بقايا النظام البعثي، وكان رد فعل الحزب الديمقراطي الكردستاني أقوى في مواجهة التطور الحاصل في المنطقة، ففي الوقت الذي كان يعلم فيه أن المنطقة بيد المجلس الكردي الذي يمثله هنا ظهر العكس مع بدء ثورة ١٩ تموز التي بدأت شرارتها من منطقة كوباني. لهذا أجبروا على عقد الاتفاق مع مجلس غرب كردستان الذي انبثقت منه الهيئة الكردية العليا، ولكن بسبب المداخلات المستمرة من قبل الحزب المذكور والرغبة في وضعها تحت سيطرته وتعامله مع هذه الهيئة على أنها كأي تنظيم تابع له وعدم مشاركة المجلس الكردي في اللجان العملية فشلت الهيئة في تحقيق الاتفاق الكردي على أساس حماية المصالح الوطنية. واليوم أيضا تستمر نفس السياسة ونفس المخطط ، حيث نرى أن البرزاني اتفق مع السنيين في العراق لمواجهة الشيعة، كتحالفه مع السنيين في مواجهة الشيعة السوريين أيضا. وتحالفه مع المجلس الكردي في مواجهة مجلس غرب كردستان، وللحكومة التركية أيضا نفس السياسة ونفس الدور في مواجهة القضية الكردية والأزمة السورية، كلاهما ساهما في دعم طرف على حساب طرف آخر.

البحث عن تقسيمات اخرى ضمن اطار مشروع الدولة القومية بحث فات عليه الدهر ولن يكون حلا للقضايا التي تعاني منها المنطقة

مع تشكيل الإدارة الذاتية في المناطق الكردية وتشكيل وحدات الحماية الشعبية، فشلت كل السياسات التقسيمية سواء على الجبهة الكردية أو الساحة السورية، استطاعت الإدارة الذاتية أن تمثل إرادة المكونات في المنطقة وتظهر كبديل عن الموديل القديم الذي يسعى

لبناء دول قوموية عرقية تساهم في تجزيء وتقسيم البلاد والشعوب وبالتالي فتح الباب أمام الاقتتال الداخلي والمجازر. فأي دولة وأي ثورة يتحدثون عنها إن كانت على حساب السوريين والكرد في سوريا وغربي كردستان بعد أن تستولي عليها المجموعات الإرهابية التكفيرية لدولة الإسلام في الشام والعراق وتصبح الحدود مفتوحة أمام هذه المجموعات لتدخل إلى تلك البلدان كمحتل لها هذه المرة.

كل القوى العالمية لم تكن تتوقع من الكرد أن يحموا مناطقهم بهذا الشكل ويشكلوا ادارتهم في المناطق الكردية

اليوم تتعرض كوباني لهجوم شرس وهذه هي المرة الرابعة التي تتعرض فيها للهجوم من قبل المجموعات الإرهابية، التي تسعى إلى ضم كوباتي لولايتها ووضعها تحت سيطرتها ومن ثم تبدأ بالهجوم على مناطق عفرين والجزيرة، وليس غريباً أن تسكت القوى الدولية والإقليمية في مواجهة هذا الهجوم السافر الذي يسعى للنيل من إرادة الشعب الكردي هناك. حتى الحكومة التركية أفرغت مراكزها الحدودية من الحراس كي تعبر هذه المجموعات إلى كوباني بسهولة. هذا يعني أن الحكومة التركية تساند هذه المجموعات بشكل مباشر بالتالي يحق أن تدخل في لائحة الإرهاب.

لماذا اختاروا كوباني لتكون بداية لكسر إرادة الشعب الكردي؟ كوباني وشعبها معروف ببنيتها العشائرية الوطنية القوية، وهي التي لم تتنازل في يوم من الأيام للنظام الحاكم ولا لأي قوة أخرى، منها بدأت شرارة الثورة، وهي التي تشكل حلقة الوصل بين الأجزاء الأخرى، يعتقد أنه بالاستيلاء على كوباتي سيتم الاستيلاء على المناطق الأخرى أيضا، وهذا ما يعتبر حسابات خاطئة تعتمد عليها المجموعات الإرهابية والعقول التي تديرها من خلف الستار، سواء كانت الحكومة التركية أم الإقليم الممثل بالحزب الديمقراطي الكردستاني.

الحقيقة هي أن نظام الإدارة الذاتية هو موديل محلي يعتمد على الإمكانيات الذاتية في إدارة أزماتها وحل قضاياها بنفسها، لها الحق في عقد الاتفاقات والعلاقات وطلب المساعدة بشكل ذاتي ومحلي حسب الاحتياجات، ولا تعتمد على القوى الخارجية، هذا هو السر الذي يكمن في المقاومة العظيمة التي يبديها شعبنا في كوباني، كما أبدت المناطق الأخرى ،الجزيرة وعفرين، مقاومة في مواجهة المجموعات التكفيرية والنظام البعثي على حد سواء. وقُدِّم المئات من الشهداء على هذه الأرض لهذا من غير الممكن أن تنكسر تلك الإرادة التي تقاوم اعتمادا على قناعاتها وإيمانها بالحرية.

وضمن ظروف الحرب هذه تكون المرأة من أكثر المتضررين من هذه الحرب، الفتاوى التي تصدرها مجموعات داعش بحق المرأة، يتم استخدامها في الفواحش تحت اسم جهاد النكاح، تهجر من موطنها، يتم اغتصابها في مخيمات اللجوء دون أن يكون لها سند قانوني يحميها لهذا تكون السياسات موجهة ضد المرأة وإرادتها الحرة. تجارة الحدود والاتجار بالمرأة من أكثر الأعمال التي يتم استخدامها في فترة الحروب، وتكون المرأة هي الفريسة للتجارة. وهذا ما حاولت بعض الأطراف فعله في هذه الساحة لكن تنظيم المرأة اتحاد ستار أغلق الباب أمام هذه المحاولات بفعالياتها ونشاطاتها التي مارستها على أرض الواقع، لكن المخيمات تقع خارج إطار التنظيم لهذا يتم استثمارها في مجال الدعارة والتجارة والعمالة وغيرها من الأعمال التي تفسد المجتمعات وتحطمها أخلاقيا وفكريا وإراديا.

في النهاية يمكننا القول إن الإدارة الذاتية وذهنيتها هي القادرة على حل كل هذه القضايا العالقة وهي التي تغلق الباب أمام الانقسام والتجزيء والتشتت. وبالتالي تحقق الديمقراطية والحرية وهذا ما اعترفت به القوى الدولية الأوروبية.

قضية الاستغلال الطبقي والحل الاقتصادي للأمة الديمقراطية

« د. أحمد يوسف

لم تكن ولادة علم الاقتصاد إلا استجابة منطقية لحل المشكلة الاقتصادية التي ظهرت مع ولادة الإنسان وبحثه الدائم عن الموارد التي تلبي حاجاته، والتي يتمثل فحواها في عجز الموارد الاقتصادية المحدودة عن تلبية الحاجات الإنسانية المتزايدة وغير المحدودة. وتؤدي بذلك إلى استمرار المشكلة واستفحالها عبر الزمن. وقد توسعت مجالات المعالجة الاقتصادية للمشكلة الرئيسية للبشرية، وتنوعت بتنوع المدارس الاقتصادية التي قدمت مقاربات مختلفة، ومتناقضة في كثير من الأحيان.

إلا أن جميع تلك المقاربات الاقتصادية منذ ظهور المدرسة الميركانتيلية في بداية القرن السادس عشر ولغاية ظهور النقديين والليبراليين الجدد في نهاية القرن العشرين، لم ترتق إلى مستوى تقديم الحلول الجذرية لتحقيق عدالة التوزيع في الموارد المحدودة بين مختلف فئات المجتمع. ولا يعود السبب في ذلك إلى عجز الفكر البشري عن تقديم الحلول الواقعية والسليمة للقضايا المتعلقة بالعدالة الاقتصادية والاجتماعية، وإنما يعود إلى الخلفية الاستغلالية للأفكار المطروحة في ظل سطوة النظام الرأسمالي منذ تأسيسه، والتي تدعو إلى تبرير تشكيل الطبقات الاجتماعية استناداً إلى الفرز المادي.

أولاً- الرأسمالية لم تبحث عن الحل

بداية حاول البعض من الاقتصاديين تحقيق ربط قوي بين ما هو سياسي وما هو اقتصادي، من خلال دراسة علاقات الارتباط بين الأفعال الاقتصادية والنتائج السياسية والاجتماعية لتلك الأفعال، كما فعل الاقتصادي الفرنسي «فرانسوا دي مونكريتيان»، الذي أكد في كتابه «الاقتصاد السياسي» مسؤولية متخذي القرارات الاقتصادية عن جوانب الفشل السياسي والاجتماعي، ولما كان هذا الأمر غير محبذ بالنسبة للفئات الاستغلالية من المجتمع، فقد تمت محاربة التوجهات الفكرية التي تسير في فلك وجود العلاقة بين الاقتصاد والسياسة ونشطت المدارس الاقتصادية البحتة في تشجيع التوجهات الفكرية القائمة على تبرئة السلوك الاقتصادي من النتائج الكارثية التي تظهر سياسياً واجتماعياً، وتم استناداً إلى ذلك إلغاء مفهوم الاقتصاد السياسي وتعويضه بالاقتصاد في إشارة من الرأسماليين إلى كون هذا العلم هو علم تحقيق الثروة والغناء المادي لأصحاب المصالح، دون أن يكون لذلك تأثير على الجوانب

الاجتماعية، وإلقاء مسؤولية الفقر والتقهقر الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية عن عاتق الرأسماليين.

تعتبر المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية من أقوى المدارس التي قدمت الأفكار التبريرية للأفعال الرأسمالية، فهي التي دعت إلى حرية الفرد في سلوكه الاقتصادي وإلى عدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، لأن الدولة بنظرها تعتبر مستثمراً سيئاً للغاية، ولا يمكن لها أن تحقق نتائج اقتصادية جيدة من نشاطاتها الاستثمارية. وفي سياق تبريرهم للاستغلال الطبقي اعتمد الكلاسيك على قانون الأجر الحديدي للعمال والمحدد بمستوى الحد الأدنى للمعيشة، أو ما يمكن تسميته بمستوى أجر الكفاف، حيث لا يمكن تجاوزه – برأي الكلاسيك- بحكم العلاقة الطبيعية بين تكلفة المادة وسعرها في السوق.

لقد حاول الكلاسيكيون ومن بعدهم الكلاسيكيون الجدد من خلال طروحاتهم إثبات مسؤولية الطبقات المسحوقة من المجتمع عن معاناتهم الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي انتفاء مسؤولية الطبقات الرأسمالية عن تلك المعاناة. فما يحققه الأغنياء من مكاسب هي نتيجة منطقية لسيادة القوانين الاقتصادية التي ترتقي إلى مستوى القوانين الطبيعية، وتلعب تلك القوانين دوراً حتمياً في خلق المنافذ لتصريف المنتجات من جهة (تفاؤلية ساي في المنافذ)، ولخلق فائض سكاني غير قادر على الارتقاء إلى مستوى الإنسان الطبيعي المتمكن من تأمين الحد الأدنى للمعيشة على الأقل (تشاؤمية روبرت مالتوس). لذلك ستقوم القوانين الطبيعية بالاصطفاء الطبيعي الذي ينص على البقاء للأصلح سواء من خلال الكوارث الطبيعية أو الحروب وانتشار الأوبئة وغيرها لتحقيق التوازن في جانبي العرض والطلب في ظل سيادة المنافسة الكاملة في السوق.

جدير بالذكر أن تشاؤمية روبرت مالتوس (القس الإنكليزي) لم تأت من فراغ كما لم تأت من قواعد علمية دعته إلى ما قام به ضد الفقراء، وإنما كانت وسيلة من قبله لإعادة دور الكنيسة الذي بات شبه منته بعد انقضاء عصر الإقطاع في أوروبا، حيث وجد أن تبريره للسلوك الاستغلالي للطبقات السائدة في المجتمع في ظل النظام الرأسمالي قد ينتج عنه تحالف قوي بين السلطة السياسية والكنيسة كما كان عليه الواقع في عصر الإقطاع، إلا أنه لم يكن صائباً في ذلك لأن المنظومة الرأسمالية، ومن أجل تطوير بنيتها التحتية والفوقية، استفادت من منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية المتناقضة تماماً مع طروحات الكنيسة، التي حاربت استخدام العقل والمنطق في بداية تكوين النظام الرأسمالي.

على الرغم من محاولة الكلاسيكيين فرض رؤيتهم الاقتصادية برؤى علمية تبرر لهم الانفصال بين السلوك الاقتصادي والنتائج السياسية والاجتماعية الناجمة عنها، إلا أنهم لم ينجحوا في عملية الفصل تلك وأوقعوا أنفسهم في تناقضات علمية، عندما ميزوا بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية، وهو تمييز صحيح علمياً، إلا أنه يناقض مبرراتهم الاستغلالية، لأن التمييز بين القيمتين يحدد التكلفة والعوامل المكونة لها، والتي لا تتحدد فقط بالجهد الإنساني المبذول فيها، كما يراه الكلاسيكيون، بل تتدخل فيها عوامل أخرى. كما أن الرأسمالي يمكن له أن يحقق أرباحاً هائلة نتيجة تنازله عن السلع بأعلى من قيمتها التبادلية. وهنا تتحقق ظاهرة الاستغلال وظهور الشركات الاحتكارية التي تؤدي إلى استبعاد الشركات التي لا تتمكن من المنافسة من السوق، وبالتالي تحقيق المزيد من الاستغلال.

تعتبر المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية من أقوى المدارس التي قدمت الأفكار التبريرية للأفعال الرأسمالية، فهي التي دعت إلى حرية الفرد في سلوكه الاقتصادي وإلى عدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية

صحيحٌ أن المنظومة الرأسمالية استطاعت منذ ولادتها الترويج لنفسها، والبحث عن الآليات التي تساعدها على الاستمرار والاستقرار، إلا أنها لم تستطع أن تنجو بنفسها من الأزمات الدورية الملازمة لها نتيجة إطلاق العنان لقوى السوق وتركها غير منضبطة. وعوضاً عن إجراء الدراسات والتحليلات الجذرية التي تؤدي إلى تقويض دور السوق وكبح جماحه وفضح دوره في الأزمات الاجتماعية، كالفقر والبطالة، تسعى هذه المنظومة إلى تطوير دور السوق لإشباع نهم الرأسماليين وطموحاتهم المادية التي تتجاوز كل حدود المنطق. وما أفكار المدرسة الليبرالية الجديدة إلا نسخة جديدة ورديئة عن أفكار المدرسة الكلاسيكية، حيث أنها تدعو إلى تطبيق مبدأ الحرية الاقتصادية. وهي لا تعني في ظروفنا العالمية الراهنة سوى انقلاب عسكري لقوى السوق على السياسيين والاجتماعيين، والترسيخ لمبدأ دكتاتورية الأسواق، هذه الدكتاتورية التي تجاوزت حدود الدول، وتمكنت من مراقبة سلوك الحكومات وتهذيبها وفقاً لمفهومها. لذلك ظهر إلى جانب مفهوم السوق والقوى المنظمة له، مفهوم جديد يخص الدول التي تمتنع عن تسريب هذه الدكتاتوريات إليها، وهو

مفهوم الدول المارقة والداعمة للإرهاب وغيرها، حتى وإن كان هذا الأمر صحيحاً، فإن ذلك لا يبرر قطعاً فتح الأبواب على مصراعيها لدكتاتورية الأسواق.

تعطي الأزمات الاقتصادية والمالية العالمية مؤشرات حقيقية عن جوهر الأزمة الدائمة للنظام الرأسمالي واستمرار هذا النظام في ظل سيطرة تناقضات من قبيل التضخم والانكماش، البطالة والعمالة، الحرية السياسية والتقييد الاقتصادي (طبعاً لصالح الاحتكارات الكبيرة والشركات المتعددة الجنسيات). توضح هذه المؤشرات بدورها السلوك غير الرشيد الذي يمارسه الرأسماليون، والذي يؤدي إلى خلق نتاجات فكرية جزئية ضمن الدائرة الواسعة للتناقضات التي تقوم عليها المنظومة الرأسمالية، ولا يمكن لتلك النتاجات أن تحقق حالة ثورية في طبيعة الفكر السائد، وبالتالي تسقط في هاوية الدوران في الحلول المتجزئة للقضايا التي تحتاج إلى الحلول الجذرية، كقضية العدالة الاجتماعية، أكبر القضايا التي تواجه المنظومة الرأسمالية في مرحلة العولمة الاقتصادية والترسيخ للفكر الليبرالي الاستغلالي بطبيعته، وهي تعاني في الوقت ذاته من الإهمال في مراكز القرار التي تتحكم بالسوق الرأسمالية، التي تركز جل جهودها في بناء نماذج تعظيم الأرباح، دون منح الأهمية للنتائج الاجتماعية السلبية التي يولدها هذا الفكر.

المنظومة الرأسمالية استطاعت منذ ولادتها الترويج لنفسها، والبحث عن الآليات التي تساعدها على الاستمرار والاستقرار، إلا أنها لم تستطع أن تنجو بنفسها من الأزمات الدورية الملازمة لها نتيجة إطلاق العنان لقوى السوق وتركها غير منضبطة

ثانياً- بيروقراطية الاشتراكية المشيدة أهلكتها

نتيجة المعاناة الاجتماعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبعد أن قدم الكلاسيكيون الجدد تحليلاتهم التبريرية لجميع السلوكيات الاستغلالية للمنظومة الرأسمالية، وبالتالي إعلان عدم مسؤوليتها عن النتائج الكارثية للعلاقات الاقتصادية القائمة. ظهرت من صلب تلك العلاقات الإستغلالية منظومة فكرية متطورة، شكلت خروجاً قوياً عن المألوف في عالم الفكر الاقتصادي السائد في حينه، فلم تقم هذه المنظومة الفكرية الجديدة بانتقاد الفكر الكلاسيكي الجديد فحسب، وإنما قامت بمعالجة ثورية انقلابية للواقع الذي كان يفرض حاله، واعتبرت أنه بقدر ما تتعقد درجة الاستغلال الذي تمارسه الفئات الرأسمالية، تتهيأ الظروف لإحداث الثورة الشاملة على أساس القضاء النهائي على الاستغلال من خلال استبدال العلاقات الاقتصادية القائمة على الملكية الخاصة بعلاقات اقتصادية جديدة قائمة على أساس انتفاء الملكية الخاصة، واحتكار الدولة للتملك، لأن الملكية الخاصة هي سبب الاستغلال الذي تعانيه الطبقات الفقيرة في المجتمع، في الوقت الذي تشكل فيه تلك الطبقات مصدراً أساسياً للثروة وذلك لكونها هي التي تخلق القيمة المضافة في العملية الإنتاجية.

كما نعلم فقد حقق التطبيق العملي للفكر الماركسي الداعي إلى المجتمع اللاطبقي نتائج اقتصادية إيجابية في المراحل الأولى من عمره، إلا أنه وبسبب السيطرة المطلقة للحكومات على جميع المفاصل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، اتسعت ظاهرة البيروقراطية الإدارية، والتي استمدت قوتها من البيروقراطية السياسية. وقضت على العائد الاقتصادي عبر منح الأولوية للعائد السياسي للنشاط الاقتصادي. وقد أدى هذا الأمر إلى انسداد أفق التطور الاقتصادي الذي اصطدم بصورة متواصلة بالعوائق السياسية التي نجمت بالدرجة الأساسية عن توسع الضغط الأمني داخلياً وتوسيع مناطق النفوذ خارجياً، عبر صراع التسلح الذي أدى إلى استنفاذ القوى في المنظومة الاشتراكية وانهيار الدول المتبنية لهذا النهج الاقتصادي والسياسي كأحجار الدومينو.

فالتجربة السوفياتية وشقيقاتها الاشتراكية أصابها الفشل وسقطت أمام سطوة رأس المال الغربي وعزيمته القوية. ولم تتمكن من حل معضلة التناقضات الاجتماعية على الرغم من نجاحها النسبي في إقامة المجتمع اللاطبقي بفضل سيطرة القوة الأمنية والمركزية الشديدة في إدارة الاقتصاد والسياسة، لا بفضل ترسيخ مبدأ الديمقراطية الناقدة والمصححة للانحرافات في مسار عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

فإذا كانت هذه المعادلة الموضوعة سوفيتياً لإدارة الاقتصاد قد حققت نتائج إيجابية في بعض النواحي، وخاصة بالنسبة لتكلفة المواد وبالتالي أسعارها في السوق، فإنها أدت في الوقت ذاته إلى تطور المنظومة البيروقراطية لدرجة بلغت حدوداً يستحيل احتمالها، وتحولت الديمقراطية بتأثير من تلك البيروقراطية إلى مفهوم غريب عن المجتمعات اللاطبقية، وكأن أمر تلك المجتمعات بات متعلقاً فقط بالحصول على لقمة العيش، دون الإهتمام بمشاعرهم الإنسانية، حيث أصبح الإنسان مبرمجاً، حتى في نقاهاته ورحلاته السياحية، مركزياً.

فهو يسير وفق الأنظمة والبرامج الموضوعة من قبل هيئات تخطيط الدولة، صاحبة العبء الأكبر في كل مجالات الحياة، بما فيها الحياة العائلية بكل مفرداتها.

طبيعيٌ أن تؤدي حالةٌ كحالة الدول الاشتراكية المشيدة إلى اصطدام التجربة الاقتصادية فيها بعوائق كثيرة، تعرقل مسيرتها في بناء الأمة الديمقراطية التي تعتمد على الحاضنة الشعبية بمختلف انتماءاتها. ويأتي تراجع القناعة الشعبية بالتجربة في مقدمة تلك العوائق.

ثالثاً- ماذا بخصوص اقتصاد السوق الاجتماعي؟

شكلت تجربة اقتصاد السوق الاجتماعي حالة فريدة في مسار التطور الاقتصادي العالمي، إذا ما تم النظر إليها من زاوية اهتمامها بالقضايا الاجتماعية، إلا أننا قد نصاب بالدهشة عندما نكتشف أنها قد دافعت عن تطوير المنظومة الرأسمالية بخصوصيتها الاستغلالية المتطرفة في القرن العشرين، وتمكنت من حمايتها بصورة فعالة، وخففت من حدة آثار أزماتها الدورية.

إن الفكر الذي أسس لاقتصاد السوق الاجتماعي ظهر من صلب المنظومة الرأسمالية، في وقت كانت فيه الأخيرة تعاني من أخطر أزماتها الاقتصادية (أزمة الكساد العالمي الكبير خلال الفترة ١٩٢٩-١٩٣٢)، واتسمت تلك الأزمة بطابع انعدام الطلب، مما أدى إلى انهيار كبريات الشركات في أمريكا وأوروبا. في حين كانت الثورة البلشفية في أوج عطاءاتها وتجني ثمار خطتها الخمسية الأولى في الاتحاد السوفياتي وتلقى ترويجاً قوياً في الغرب الأوروبي. وقد اضطر منظرو الفكر الرأسمالي في ظل تلك المعطيات إلى أن يعملوا على جبهتين، تمثلت الأولى في المطالبة بتدخل الدولة في الحياة الاقتصادية لخلق الطلب الفعال، وبذلك تم إطلاق رصاصة الرحمة على الفكر الكلاسيكي الداعي إلى الحرية الاقتصادية للفرد. وتمثلت الثانية في تحويل العلاقة العدائية بين الطبقتين الرأسمالية والعمالية الناجمة عن استغلال الأولى، والتي ترى الماركسية أن حلها في إزالة المجتمع الطبقي من الوجود، أي القضاء على الرأسمالية، إلى علاقة ندية تُحترم فيها الملكية الخاصة والمنافسة، وتمنح بعض الحقوق للعمال، بما فيها حق التظاهر والإضراب عن العمل.

لقد استطاع منظرو الرأسمالية منع الزحف الشيوعي باتجاه الغرب بعد طرحهم لفكر اقتصاد السوق الاجتماعي، وتبنيهم للقضايا الاجتماعية الناجمة عن الاستغلال الرأسمالي، والبحث عن الحلول التي تؤمن تحسين المستوى المعيشي للطبقات المسحوقة من المجتمع إلى جانب استمرار الملكية الرأسمالية لوسائل الإنتاج بكل قوتها. وبهذا الشكل أكد هؤلاء المنظرين حمايتهم للنظام الرأسمالي من الانهيار الذي كاد أن يتحول إلى حقيقة نتيجة انسحاق الطبقة العاملة تحت وطأة شدة الاستغلال الذي أوقف الطلب الفعال على المنتجات بسبب عدم اقتران الرغبة بالقدرة على الاقتناء لإشباع الحاجات. لذلك كانت الدول الرأسمالية الأكثر تطوراً، كبريطانيا وألمانيا الغربية والدول الاسكندنافية هي الدول التي تبنت اقتصاد السوق الاجتماعي. وأظهرت قناعاً تجميلياً للحداثة الرأسمالية في مرحلة صعود الاستغلال الرأسمالي بدرجات خطيرة، وخاصة في مجال الاقتصاد المالي. فقد اجتمع النقيضان، الليبرالي الأليف، الذي يشكل المظهر الخارجي للقناع، مع التوتاليتاري الوحشي المتخفي خلف ذلك القناع.

أصبح التظاهر والاعتراض حقاً مشروعاً بفعل القانون، إلا أنه في الوقت ذاته أصبح الاحتكار في الأسواق وتسريح العمال والتهرب الضريبي وتلويث البيئة كلها قضايا مألوفة ومقبولة واقعياً، حتى وإن كان البعض يرفضها أخلاقياً

أصبح التظاهر والاعتراض حقاً مشروعاً بفعل القانون، إلا أنه في الوقت ذاته أصبح الاحتكار في الأسواق وتسريح العمال والتهرب الضريبي وتلويث البيئة كلها قضايا مألوفة ومقبولة واقعياً، حتى وإن كان البعض يرفضها أخلاقياً، ولا يمكن أن نقدم تفسيراً صحيحاً لفشل مؤتمرات قمة الأرض في كيوتو اليابانية وريودي جانيرو البرازيلية إلا إذا تم فهمها على أنها نتيجة موضوعية لسيطرة النهم الرأسمالي على حيثيات المؤتمرين، وبالتالي ترتيب القواعد الأخلاقية الضابطة للشأن الإنساني في العالم وفقاً للمصالح التي تفرضها القوى الرأسمالية العالمية في المركز، حيث لا يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن توافق على الحد من إطلاق غاز أول أوكسيد الكربون للحد من تلوث البيئة، لأن في ذلك آثاراً اقتصادية سيئة على المصالح الأمريكية. فالمصالح الاقتصادية الرأسمالية تمنع بصورةٍ واضحة أو مبطنة الغوص في أعماق المشكلات الإنسانية بدءاً بقضايا حقوق الإنسان الأساسية وانتهاءً بالقضايا التي تعد ثانوية.

هذه الحقيقة تضع المرء في صورة الواقع الناجم عن تبني اقتصاد السوق الاجتماعي، وفشل التمكن في ظل هذا الفكر من التوصل إلى تطبيق مفهوم الديمقراطية لتكوين الأمم الحضارية والديمقراطية عوضاً عن الأمم الحداثوية الرأسمالية التوتاليتارية.

رابعاً- إذاً ما الحل؟

الحقيقة أن النظام الرأسمالي طور عملية الإنتاج، وحقق بناء على ذلك معدلات نمو مرتفعة وخاصةً في السنوات الأخيرة، إلا أنه لم يستطع بموازاة ذلك ترسيخ مبدأ العدالة الاجتماعية، وتطوير مفهوم الديمقراطية ليتجاوز الأطر الضيقة المرسومة له في مراكز القرار الرأسمالية، حيث أن الديمقراطية المزعومة هي ديمقراطية ناقصة تحتكم إلى إرادة السوق والطبقات الاستغلالية في المجتمع الرأسمالي.

وجدير بالذكر أن الحداثة الرأسمالية الغربية تسير في نهج زيادة الاستغلال وتوسيع دائرتها باتجاه مختلف أصقاع الأرض بأساليب أكثر تطوراً. والعولمة بمختلف تجلياتها تمهد الأرضية الصلبة للاستغلال العالمي من خلال الاستفادة من منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية، التي يفترض أنها تساعد في عملية بناء المجتمعات والإيكولوجيا وتطورهما نحو حالات راقية ولااستغلالية، وتقضي على الفقر وتدهور البيئة في جميع المجتمعات.

تعددت الأطروحات الساعية إلى إنقاذ البشرية من هول الاستغلال في مرحلة العولمة وحدث نمو في التجمعات المناهضة للعولمة والدوائر الاستغلالية المتطورة، إلا أن تلك الأطروحات لم تتمكن من تقديم بدائل حقيقية تساهم في إحباط النشاط الاستغلالي على الصعيد العالمي.

يرى بعض المفكرين أن الحضارة الرأسمالية الغربية لم تبدأ فجأة في القرن الخامس عشر، وإنما هي امتداد لحضارة تمتد لخمسة آلاف عام، مهدها ميزوبوتاميا، فالحضارة بدأت من هذه المنطقة وانتقلت عبر مراحل عديدة لتصل إلى أوروبا.

ولم تكن منطقتنا مجرد تابع للمركز الرأسمالي الأوروبي الذي نعرفه اليوم، بل إن ميزوبوتاميا كانت مصدر غذاء وغنى على مدى أكثر من خمسة عشر ألف عام، فلماذا تراجع دورها اليوم؟

القضية الأساسية هنا هو جري الرأسماليين وراء الربح، لذلك تظهر قضية البطالة أو ما يسمى بالفائض السكاني، وينتشر الفقر، لأنه حسب المعايير الرأسمالية الحديثة يمكن ولادة المال بالمال ولا حاجة إلى تنمية الزراعة أو حتى بعض الصناعات. وبهذا الشكل تبقى الرأسمالية مسيطرة على المواقف في المجتمعات الحداثوية.

يطرح السيد أوجلان المجتمع اللارأسمالي في مواجهة المجتمع الرأسمالي، ويعتبر المجتمع اللارأسمالي المجتمع الذي تحترم فيه الملكية الخاصة بالدرجات الوسطى، ولا يهدف إلى تحقيق الربح من الربح إلى جانب إهمال بعض النشاطات الاقتصادية الأساسية كالزراعة.

فالاقتصاد المطلوب لتحقيق مفهوم المجتمع اللارأسمالي هو الاقتصاد الذي يساهم في تطوير مفهوم الأمة الديمقراطية، حيث تمنح الأولوية للعملية الإنتاجية الهادفة إلى تحقيق احتياجات المجتمع المادية والمعنوية وتحبط سوء الاستغلال الممارس من قبل الرأسماليين.

وعليه ولبناء الأمة الديمقراطية من خلال التنمية الاقتصادية، تطرح بعض المفاهيم نفسها من أجل أن يتم الترسيخ لها، لعل أهمها:

١- لا يعتبر أصحاب الورش الصناعية والمزارعون والمنتجون من الرأسماليين.

٢- ليس صحيحاً أن وجود فائض سكاني هو من أجل زيادة عرض القوة العاملة، وبالتالي استرخاصها، وإنما يعود السبب في ذلك إلى جري الرأسماليين خلف النشاطات الاقتصادية والتي تحقق الربح الهائل كما هو حال المضاربات المالية.

٣- إن العديد من المفاهيم الاقتصادية، كنمط الإنتاج الآسيوي هي مفاهيم تؤدي إلى تضييع الحقائق الاقتصادية.

٤- إن الاهتمام بالبيئة الإيكولوجية لا يتم إلا عبر تنوع النشاط الاقتصادي، ومحاربة عملية إخراج الاقتصاد من مفهومه الحقيقي والذي يركز على تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية، حتى مع البيئة.

إن كل ما سبق لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إدراك أن الرأسمالية ليست اقتصاداً وإنما هي إخراج للاقتصاد من مفهومه وتحويله إلى مفهوم جديد هو المضاربة وتحقيق أقصى الأرباح دون جهود، وبالتالي القضاء على المجتمع والبيئة والسلطة والسياسة المعادلة والعلم وسواه.

مركز روج آفا للدارسات الاستراتيجية

« فائق زورو

شروح من الفلسفة الأوجلانية

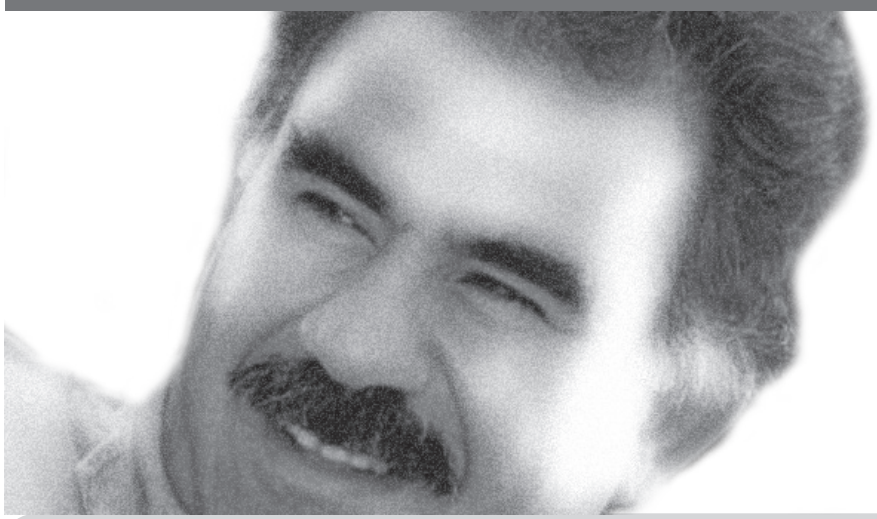

مقدمة

التطورات الجارية منذ سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفيتي وحتى الهيمنة شبه التامة للإمبريالية على مساحات واسعة من المجتمع تبدو وللوهلة الأولى تأكيداً على أن النظرية الماركسية بمختلف فروعها غير صالحة للاقتداء بها- على الأقل ـ لقيادة المجتمع أو أنها ليست السبيل الأمثل لفهم التطورات الحاصلة في بنية المجتمعات.

لا نحاول تقديم بحث تاريخي عن الظروف السابقة لولادة الماركسية ولا البحث في النظرية ولا في فروع المعرفة الإنسانية ولكن لتقديم صورة واضحة عن أي قضية لابد لنا أن نرجع بضع خطوات إلى الوراء ومن ثم التقدم خطوة خطوة منها لتبدو الصورة واضحة لدى الغوص في مختلف جوانبها فيما بعد، على هذا الأساس نجيز لأنفسنا الحق في تبيان المصادر الثلاثة للماركسية ما هي هذه المصادر؟ وما هي فروع هذا النهر؟ وأين توقف كل منها؟ وهل هناك في أعتاب الألفية الثالثة مفكرين يرشدون البشرية إلى الطريق الصحيح ويتبعون المصادر الثلاثة للماركسية وإذ نشير إلى الطريق الصحيح في مصادر النظرية الماركسية فهذا دليل واضح في أنه لدينا إيمان مطلق بأن الماركسية هي الطريق الصحيح رغم ما أصابها من تشوهات على يد الأصدقاء والأعداء، هل لدينا الآن ممثلون لذلك الطريق الذي لابد للبشرية من السير عليه للوصول إلى بر الأمان ؟

لا نبحث في جدال الأعداء هذا ليس مجال بحثنا، ذلك أمر انتهى من تاريخ الفلسفة ونعني بها الصراع المرير بين المثالية والمادية، ولكن الأصدقاء الذين كانوا على سبيل المثال أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي السابق كيف ساهموا في تخريب النظرية ووقفوا في صف الأعداء بل أصبحوا أعداء للبشرية التي كانت ترى خلاصها فيهم أين هم الآن من كانوا يمثلون النظرية؟، على أي حال لنعود إلى بحثنا الأساسي...!

إن مصادر الماركسية هي الفلسفة الاقتصادية والاشتراكية كما هو معروف فإنه خلال سير التطور التاريخي وخاصة في النصف الثاني من القرن الماضي، يبدو وكأن عقماً بل انسداداً قد أصاب تلك المصادر.

أن الأهمية الحقيقية والطابع الثوري للماركسية يقومان بالضبط في أن الماركسية قد حولت الاشتراكية من طوباوية إلى علم وذلك عندما أكمل ما قام به العالم ريكاردو باكتشافه سر التراكم الرأسمالي والذي يجعل الرأسمالي أكثر ثروة وهذا السر هو قانون القيمة الزائدة كما هو معروف فأن كافة العلاقات الرياضية والاكتشافات العلمية تكون صالحة الاستعمال في كل وقت وحين بل وتصبح أرضية قوية لمواصلة السير العظيم لبناء صرح الحضارة الإنسانية الذي يجب أن تصعد إلى الأعلى دائماً فى سلم المعرفة. أما الفلسفة التى طورتها الماركسية بدءاً من هيغل الذي قدمها على

مهمة علم الاقتصاد تتلخص في البرهنة على أن عيوب النظام الاجتماعي التي تظهر ناتجة عن أسلوب الإنتاج القائم هذا أولاً أما ثانياً فأن علم الاقتصاد يكشف عناصر التنظيم الجديد داخل الشكل الاقتصادي المتفسخ

أن العالم بكل ما فيها هي على شكل عملية في حالة مستمرة من التطور والتحول. دون أن يفلح في كشف الترابط الداخلي لهذه الحركة والذي كان من نصيب ا لما ر كسية التي تدل على أن المبادئ لا تستخلص من التفكير بل من الطبيعة والعالم الخارجي وأنها لا تكون صحيحة إلا بقدر ما تتطابق مع الطبيعة والوجود بشكل عام، وبالتالي لا يمكن بناء العالم الواقعي من الأفكار أو من المتحولات الموجودة منذ القدم.

وبناءً عليه فإن الاكتشافات العلمية آنذاك كاكتشاف الذرة وقوانين تحول الطاقة وعلم الأجنة ومختلف الاكتشافات الخاصة بالعلوم الطبيعة قد أثبتت أن التطور الديالكتيكي قد توسم الأمور بطابعها حتى في قوانين تطور المجتمع والذي يفرض على القديم أن يخلي مكانه للجديد إما طواعية أو بالقوة، فأن البروليتاريا قد دخلت إلى الساحة كقوة ثالثة من أجل السيطرة كما نوه أنجلز.....

أما بالنسبة للاقتصاد السياسي والذي يعني علم قوانين إدارة الإنتاج وتبادل الخيرات المادية في المجتمع أن إدارة الإنتاج وتبادله تؤثران في بعضهما البعض ويتبين ذلك في رسم الخط البياني الاقتصادي والفوارق الطبقية تظهر مع الفوارق في التوزيع وبذلك ينقسم المجتمع إلى طبقات مسيطرة ذات امتيازات وأخرى محرومة ولكي تبقى الأمور لصالح الطبقات السائدة في كل وقت قدر الإمكان أوجدت أدارة تحكم بموجبها على المضطهدين وهذه الأداة هي الدولة.

إن مهمة علم الاقتصاد تتلخص في البرهنة على أن عيوب النظام الاجتماعي التي تظهر ناتجة عن أسلوب الإنتاج القائم هذا أولاً أما ثانياً فأن علم الاقتصاد يكشف عناصر التنظيم الجديد داخل الشكل الاقتصادي المتفسخ وحالما يظهر الغبن والامتعاض في مجتمع ما فإن هذا يعني أن الأمور وصلت إلى حد لا يطاق وبذلك تبدأ العناصر الجديدة بالظهور وتتشابك الأمور مع بعضها ويعبر المستغلون عن سخطهم من النظام القائم وخاصة في عدم التوزيع العادل للإنتاج هكذا كانت الأمور في النظام الإقطاعي وهكذا صار في العهد البرجوازي وبالطبع الفضل يعود إلى ماركس في كشف تناقضات البرجوازية الأوروبية آنذاك أي منذ القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، باختصار هكذا كانت الأمور عشية ثورة أكتوبر ١٩١٧م وتحققت نبوءة أنجلس فأن الطبقة التي دخلت على الخط من أجل السيطرة وأعني بها الطبقة العاملة ها قد سيطرت على أكبر بلد أوروبي وأفقرها آنذاك بقيادة لينين وبدأت عملية بناء الاشتراكية بعد لينين وكما سماها القائد عبد الله أوجلان بالاشتراكية المشيدة التي دامت زهاء سبعين سنة وسقطت كما تسقط أوراق الخريف ما هي الأسباب من وجهة النظر الفلسفية والاشتراكية والاقتصادية. هذا ما سنبحثه في الفصول القادمة.....

الفصل الأول

كما نوهنا في المقدمة لا نحاول تقديم بحث تاريخي ذلك لسبب بسيط وهو أنه بإمكان أي كان قراءة ما يراه مناسباً وذلك عن طريق شبكة الانترنت أو أي جهاز كومبيوتر يحوي مثل هذه السرود ما نحاول القيام به هو الرجوع بضع خطوات إلى الوراء على صعيد النظرية لإعادة صياغتها لتلاءم الواقع وتحل محل النظرية التي كانت ثورية في بداية القرن السابق لذلك فإعادة كتابة ثورة أكتوبر عام ١٩١٧م ممكنة دائما وذلك بقدر ما أن هذا التاريخ ليس محض أحداث تسرد ووقائع تسجل ومواقف تدان أو تبرر، على حد قول جورج طرابيشي في مقدمة كتابه» ماركسية تروتسكي» ولكن لتبيان مدى تطابق النظرية الماركسية على أرض الواقع على يد وريث ماركس العملي مهندس تطبيق الماركسية في روسيا ألا وهو لينين، وبرحيل لينين جرت مجموعة من الأحداث الدراماتيكية كانت ترجمة لجملة من القوى المتصارعة طبقات وأحزاب ورجال ظهرت على شكل تناقضات بين البروليتاريا والفلاحين وبين الحزب والطبقة بين الطليعة والجماهير وأخيراً بين النظرية والممارسة ومنذ أن رفعت القيادة السوفيتية آنذاك شعار «السلام العالمي» بنهاية الحرب الإمبريالية الثانية ظهرت الدولة السوفيتية القطب الآخر للتوازن العالمي بين المعسكرين الإمبريالي والاشتراكية المشيدة التي تقاسمت مع شريكتها أمريكا مناطق النفوذ في العالم ولتاريخ الثورة الكوبية وخلافات الثوار وخاصة تشي غيفارا مع الاشتراكية المشيدة باع طويل في ذلك لقد خان المعسكر الاشتراكي الكثير الكثير من الحركات التحررية هذا ليس سراً على أحد بعد الآن وأكثر الشعوب المقهورة التي تعرضت للغبن والنسيان والإحباط كان الشعب الكردي وخاصة في عام ١٩٧٥م عندما أدار حلف وارسو ظهره للحركة الكردية في العراق آنذاك وقبلها لجمهورية مهاباد ومن ثم لحركات التمرد في تركيا والطريف في الأمر أن الأحزاب الشيوعية العالمية المعترف بها من قبل الاتحاد السوفيتي قد أصبحت تلعب دور راسبوتين في تقسيمات الحركة الشعبية في العالم وبالتالي ساهمت في قمعها كالثورة البوليفية وغيرها.....

وهكذا كان القائد عبد الله أوجلان الوحيد الذي قام بنقد المعسكر السوفيتي والذي أطلق عليها أسم الاشتراكية

المشيدة وذلك في كتابه الصادر عام ١٩٨٨م باسم الاشتراكية المشيدة وقضايا الاشتراكية الراهنة في وقت كان فيه مجرد النقد ولو ببضع كلمات للاتحاد السوفيتي جريمة لا تغتفر ويصدر بحقه صك الحرمان ولكن هذه الإجراءات لم يمنع فيلسوف بمستوى القائد أوجلان من مواصلة النقد إلى أن ثبتت وجهة نظره أخيراً. وفي الحقيقة فأن هذا الفيلسوف الذي ظهرت آراءه من سجنه لم يكن متفرغاً كفاية ليقوم بالتحليل الخلاق للقضايا الراهنة للماركسية عامة بسبب انشغاله بقيادة الثورة المسلحة في شمال كردستان، ولكن على أية حال فأنه أعطى ثمرة مجهوده شبه كاملة ليس فقط في النظرية الماركسية بل وفي الإمبريالية على حد سواء.

إصداراته التي يسميها مرافعات. قد قام القائد أوجلان بطرح الماركسية أرضاً ليس بسلاح النقد بل كشيء غير قابل للاستعمال تماماً كما فعل فور باخ بصاحبه هيغل يظهر التباين واضحاً في موقفيهما من مختلف القضايا من خلال أن ماركس يصف الموجود بما هو موجود وأوجلان يصف الوجود كما يجب أن يكون عليه، أن ماركس وأنجلس وصفا مختلف القضايا الفلسفية والاقتصادية والسياسية والاشتراكية بشكل خلاق ودقيق ومتواتر أي من منظور ديالكتيكي صحيح ولكنهما أيضاً وقعا ضحية نهجهما الذي رسماه ووضعا له نهاية ألا وهي دكتاتورية البروليتاريا. ووفرا لها من المنظور التصوري كل دعائم القوة على اعتبار أن دكتاتورية البروليتاريا تعني نهاية سعيدة للبشرية جمعاء وذلك من خلال الاشتراكية والديمقراطية أولاً ومن ثم إرساء دعائم النظام الشيوعي تحت شعار»الكل بحسب عمله ولكل حسب حاجته» وبذلك يكون قد تم تحقيق العدالة الأبدية ويتم الوصول إلى الحقيقة المطلقة التي لطالما حارباها لدى الفيلسوف هيغل. يدرك المتتبع لتاريخ الثورات البرجوازية الأوروبية أن هؤلاء الذين حاربوا النظام الإقطاعي آنذاك وأعني بهم البرجوازية الأوروبية قد نادوا بضرورة إرساء مملكة العقل والعدالة الأبدية والمساواة أمام القانون، وبذلك أصبحوا طلائع كافة الشرائح الذين كانوا يعانون من جور وتعسف النظام الإقطاعي بمن فيهم العمال والفلاحين أي أصبحت البرجوازية تعمل بالنيابة عن العمال ومختلف الشرائح الأخرى أبان الثورة ولكن كما هو معروف تبين زيف ورياء البرجوازية بعد تسلمها السلطة في فرنسا وألمانيا وانكلترا وأصبح الوضع لا يطاق من جديد وهكذا.

من مآثر أوجلان الأساسية هي تجاوز الماركسية فتتركز في أنه» رفع الطاقية وكشف المستور « كما قال، عندما أعلن أن لا أحد يشك بصدق ثورية لينين لكنه مع الأسف وقع في فخاخ السلطة. وكدح خلال تسع سنوات في السجن الانفرادي وحتى الآن، وعمل على تبيان ماهية السلطة التي تجعل من أعظم الثوار أكثر البشر دموية وجشعاً وتسلطاً أنها» السلطة» وأسهب في شرح ماهيتها وهرميتها من العهد السومري إلى الآن مبيناً الأطوار التي تحولت بها والأسماء التي اتخذتها ولكن ماهيتها تبقى هي لا تتغير.

لكننا لا نحمّل دعاة دكتاتورية البروليتاريا (ماركس، أنجلس ولينين) وزد عدم بلوغهم مستوى هذا القرن» الألفية الثالثة» أقول مستوى هذا القرن بكل ما تحمله الكلمة من معنى أي من النواحي العلمية والقفزات الهائلة للبشرية في الاكتشافات العلمية التي توصلت إليها كانوا عباقرة زمانهم ولكن التاريخ تجاوزهم.

أن الاكتشافات الهائلة التي حدثت في مختلف مجالات العلوم كان لابد أن تلقي بظلالها على قضايا علم الاجتماع والقوانين التي تسيّر المجتمع أيضاً.

لسنا هنا بحاجة للتذكير بأن الماركسية عاصرت ثلاثة اكتشافات هائلة وهي اكتشاف الخلية وقانون تحول الطاقة والداروينية وأدركوا ما يلي ما دام العلم يتطور من براثن القرون الوسطى الأوروبية فأن علم الاجتماع لابد له من السير مع هذا التطور جنباً إلى جنب وهكذا بدأت الطبقة العاملة تعمل للسيطرة حسب أنجلس في» ضد دوهرنج».

أما اللينينية فقد عاصرت ثورة هامة في الفيزياء كما هو معروف لذلك قال أن القوانين العلمية تسير على علم الاجتماع مثلاً: كما أن هناك قانون الفعل ورد الفعل فهناك قانون يسمى الصراع الطبقي حسب تعبيره وكان الصراع الطبقي سيبقى سمة العصور كلها من أجل نيل كرسي السلطة

أما في العصر الحالي عصر القائد عبد الله أوجلان فأن الاكتشافات في مختلف المجالات قد بلغت حدوداً طردية بعيدة، بدءاً بالشبكة العنكبوتية التي جعلت من العالم قرية صغيرة اعتماداً على أي جهاز كمبيوتر وإلى الخارطة الوراثية والاستنساخ وما إلى ذلك.

أصبحنا مقيدين بمقولة» نمط التفكير الأوروبي» أو أسلوب التفكير العلمي، أصبح العلم اليوم استمراراً للدين أي بنفس القدسية كما نوه أوجلان. قد يكون من المفيد البحث عن القوى التي تقف وراء حوافز الشخصيات التي تطفو أسمائها على السطح والمسّاهمة في إحداث تغيرات كبرى في التاريخ، لدى الحديث عن دور لينين في ثورة أكتوبر لا شك في أن الحوافز التي حركت الشعب الروسي كانت من القوة والاندفاع تفوق الحوافز التي حركت لينين بإبعاد كبيرة لكن يا ترى لو بقي لينين عشرين سنة أخرى على رأس الهرم هل كانت التروتسكية أو الستالينية ستظهر. إن هذا السؤال يطرح على أية حال أو لو بقي الأسكندر المقدوني في الشرق عقداً آخر من الزمن فهل كانت أوضاع المنطقة بكل تقسيماتها ستأخذ الشكل الراهن وكذلك الثورة الروسية هل كانت ستنهار بعد لينين مباشرة. مما سبق أعلاه إذا كنتم توافقونني الرأي، أليس هناك شخصيات عظام في التاريخ نسميهم بالطفرات التي تصيب المجتمعات وتظهر في أضعف حلقات المجتمع والقائد عبد الله أوجلان واحد منهم من دون شك. أن الوضع العام للعالم الحالي في الألفية الثالثة يشبه أعوام ١٩٠٥-١٩٠٧م حيث الانحطاط وفساد المعنويات

نحن إذ نقدم الفلسفة الأوجلانية لا نعني بها أنها تحل محل الفلسفة الماركسية المادية الديالكتيكية بل أنها الجواب الواضح على ممارسات الإمبريالية وكشفها وفضحها وبالتالي إيجاد الحلول للخروج من الفوضى السائدة نحو طريق الخلاص بدلاً من الضلال الذي تسير فيه البشرية

و ا لا نشقا قا ت والعهر السياسي واشتداد الميل إلى التصوف وإنكار سنين التطور في ا لطبيعة والمجتمع.

ونحن إذ نقدم الفلسفة الأوجلانية لا نعني بها أنها تحل محل الفلسفة الماركسية المادية الديالكتيكية بل أنها الجواب الواضح على ممارسات الإمبريالية وكشفها وفضحها وبالتالي إيجاد الحلول للخروج من الفوضى السائدة نحو طريق الخلاص بدلاً من الضلال الذي تسير فيه البشرية.

كانت الامبريالية في القرن التاسع عشر قد بدأت تتحول إلى رأسمالية احتكارية وهي على طول القرن العشرين والواحد والعشرين قد ترسخت بكامل أوجهها إلى احتكارية شاملة في كل مناحي الحياة وهي تبحث بشكل دائم عن الوسائل اللازمة لإدامة هذا الاحتكار على كل الأوعية الشعرية للمجتمع، على شكل رأسمالية تمويلية.

فأن مأثرة القائد أوجلان الثانية هي فضح ودراسة تلك الوسائل التي بها تحاول الامبريالية ترسيخ احتكارها ووسائلها الأساسية هي الثالوث الصناعي المتمثل في صناعة الجنس وصناعة الرياضة وصناعة الثقافة والفن كما بين القائد أوجلان.

أن هذه الوسائل لم تكن الامبريالية قد ابتدعتها إبان الفترة التاريخية الذي كان فيه ماركس على قيد الحياة بل أنها تحدث الآن ويعود الفضل إلى أوجلان في كشف تلك الوسائل وباعتبارنا لا ننسخ حرفياً ما كتبه لذلك ندعو القارئ إلى مراجعة مرافعات القائد أوجلان- إذا كان يهمه بالطبع - للوقوف بشكل أعمق على معرفة تلك الوسائل.

أننا لسنا من أنصار النزعة الذاتية في السوسيولوجيا ومدركون بأن للجماهير دور حاسم في التاريخ وفي تطور المجتمع البشري وخير مثال على ذلك أن الثورة الديمقراطية الكردستانية بل على العكس ازدادت قوة وعزماً رغم اعتقال قائد الثورة عبد الله أوجلان

أما مأثرة القائد أوجلان الثالثة والدالة على صحة وجهة نظره كناطق باسم هذا العصر فهو تأكيد على أن قوى السلطة العالمية المتمثلة بالولايات المتحدة الأمريكية قد اقتاتت على نظام الاشتراكية المشيدة أو حركات التحرر الوطني اليسارية طيلة القرن العشرين أي بمعنى أن أنظمة الاشتراكية المشيدة وأنظمة الدول التي تحررت بفضلها هي ذاتها ومتوافقة بل وعلى نفس البعد من قضايا شعوبها من النظام الامبريالي ولدى انهيار المنظومة الاشتراكية أصبح النظام الرأسمالي يبحث عن عدو آخر يقتات علية فأتجه صوب الشرق الأوسط نحو الحركات الراديكالية وما زالت وأننا على يقين الآن بأنهم يحضرون لأنفسهم عدواً آخر بعد إيران وربما هذه المرة تكون الصين.

لماذا هذا النظام يبحث دائماً عن عدو فهذا واضح من سياسات ممثليهم وأي متتبع اعتيادي للأخبار اليومية لا يرى مشقة في فهم لماذا يطالب وزير الخارجية أو الرئيس الأمريكي من الكونغرس مليارات الدولارات وذلك لسد فواتير حروبهم في الخارج» وكرمى لعين النظام» وليبقى النظام قائما يلزم النقود ولجمع النقود يلزم ذريعة والذريعة هي الفلسفة الإلهية للنظام وهذه الفلسفة هي القيام بتخويف الشعب بأن هناك تروتسكي يتربص بهم خلف الباب أو بن لادن موجود كسيف ديموقليس على أعناقهم ولردعه ومحاربة بن لادن أو تروتسكي يلزم المال والسلاح وكما هو معروف فأن شركات تجارة وصناعة الأسلحة هي وراء الإتيان بالرؤساء إلى البيت الأبيض منذ عهد رونالد ريغان وحتى الآن وهكذا كل الحكومات السائرة في فلك النظام تتسابق على شراء الأسلحة ليبقى النظام سائدا أطول مدة ممكنة لذلك.

على الجبهة الديمقراطية العالمية أن تطور أكثر الأساليب ديمقراطية لمواجهة النظام كالاحتجاجات والمسيرات وتقوية الأحزاب ذوي الصفة الديمقراطية وعدم اللجوء إلى السلاح والعنف لمواجهة النظام إلا بقدر الدفاع الذاتي المشروع هذا من جهة ومن جهة أخرى القيام بثورة ذهنية لفضح ممارسات النظام ومواجهة وسائل إعلامه وقبل الحديث عن الثورة الذهنية الأوجلانية، ننوه هنا بأن عدم الإصرار على العنف لمواجهة النظام ونعني به العنف المسلح لإرغامه على تقديم التنازلات واعتبار ذلك الرد الأمثل والوحيد أو اللغة الوحيدة التي تفهمها الدكتاتوريات، أن هذا لا يعتبر الوقوع في درك الانتهازية على غرار بعض أجنحة الحزب الديمقراطي الألماني جناح كاوتسكي.

مأثرة القائد عبد الله أوجلان حول قضية الثورة الذهنية مأخوذة من كتابه المعروف باسم» دفاع عن الشعب»

أن المادية العلمية الطبيعية تؤلف أساس بناء المعرفة الإنسانية وليس البناء نفسه لأننا لا نعيش فيها وحدها أي في الطبيعة بل أننا نعيش أيضاً في المجتمع الإنساني وهذا أيضاً له تاريخ تطوره وعلمه، فالمهمة إذا توفيق علم الاجتماع مع الأساس المادي الذي هو علم الطبيعة وإعادة بناءه على هذا الأساس كما يرى فور باخ.

ولكن القوانين التي تؤثر في الطبيعة تختلف في نقطة هامة عن قوانين تطور المجتمع وهي أنه في الطبيعة الموضوعية تظهر قوى عمياء تؤثر في بعضها البعض والنتيجة هي القوانين الطبيعية وبدون أن يكون هناك هدف

واع في جميع الصدف الطبيعية ولا في النتائج المرتجاة فيما بعد.

ولكن في النهاية يبدو وكأن هناك انتظام داخل هذه الصدف أما في المجتمع فأن الناس الذين يعملون يضعون نصب أعينهم أهدافا معينة يسعون إلى تحقيقها ويعملون بتأثير العاطفة والعقل أو بالتفكير ولا يقومون بشيء دون تخطيط أو نية سابقة فيها ولكن أيضاً لا يمكن التحكم في النتائج أي أنها تظهر وعلى الأغلب ليس بالمستوى المطلوب.

أن الاصطدامات في أهداف الناس المنفردة والمتناظرة تؤدي إلى نتائج غير متوقعة تماماً كما في الطبيعة وأخيراً تظهر قوانين تطور المجتمع على خلاف الأهداف الموضوعة حسب أنجلس ويسمى أيضاً بالحتمية التاريخية.

أما مأثرة أوجلان فهي أنه لم يقل قط بأن الحتمية هي التي تفرض هنا أن هناك مسافة الفوضى البينية لدى كل محاولة لعمل ما واصطلاح المسافة البينية جديد في علم الاجتماع هذا العلم الذي ينتقده القائد أوجلان في شخص أغلب علماء علم الاجتماع الذين تحولوا إلى مجرد أدوات تحت تصرف السلطة تماماً مثل بقية العلماء الذين يسيرون في فلكها ويخضعون محصلاتهم العلمية في السوق للعرض والطلب عليها وما العالم الذري الباكستاني عبد الأمير خان سوى رمز هذه العملية المبتذلة.

هنا يتساءل القائد أوجلان أنهم «العلماء» بإمكانهم أن يقسموا الشعرة إلى أربعين جزء طولياً وليس بإمكانهم إيقاف هذه الأهوال والمآسي التي تتعرض لها البشرية على يد عناصر السلطة.

لذلك يدعو إلى إعادة بعث مآثر هؤلاء الذين كانوا على هامش الحياة باعتبارهم بعيدين عن السلطة كالحلاج والسهروردي وماني وغيرهم في الشرق وفي الغرب والاقتداء بعظماء عصر النهضة الأوروبية.

اعتبرت الأوجلانية أن الثقافة الآن تصنع كما تصنع الشوكولاتة وكذلك الرياضة والجنس ولإعادة الأمور إلى نصابها لابد من التعرف على الثقافة المصنعة من قبل الرأسمالية والنابعة من الذهنية الأوروبية التي عملت بل وساهمت في اعتبارها بمثابة دين القرن من حيث حقيقتها الوجودية الصوفية الباطنية أنها مدرسة في الفكر والعقل الأوروبي ويلعب الأسلوب العلمي دوراً بارزاً في هذا النظام. أن تحليل الرأسمالية منذ القرن السادس عشر وحتى الوقت الحالي تعتبر مأثرة كبرى من مآثر الأوجلانية وهي تجاوز الماركسية شكلاً و مضموناً. أن الرأسمالية قد قطعت سير التطور الطبيعي للحضارة الإنسانية إبان القرن السادس عشر ومنذ ذلك الحين بسطت سيطرتها على كافة الأوردة الشعرية في المجتمع وهذه الأطروحة هي الميدان الذي كلفت القائد عبد الله أوجلان أعمال فكر قاسية.

أن الماركسية قد شهدت ولادة الرأسمالية بالاعتماد على قانون القيمة الزائدة وفائض الإنتاج ولا شك في ذلك لكن للتاريخ دور لا يستهان به كما نوه القائد أوجلان فقد مضى على ولادة الرأسمالية أربعة قرون من الزمن ولا يزال يستمر.

أن البحث عن الأدوات والطرق والبدع والأساليب التي استخدمتها الرأسمالية في شخص مفكريها لإطالة عمرها وسبل مواجهتها وتفتيتها وبالتالي تقوية الجبهة الديمقراطية العالمية لتشكيل أطروحة حياتية جديدة للمجتمعات هي المهمة الأسمى التي قررت الفلسفة العصرية التقدمية الآبوجية اتخذتها هدفاً، هذه هي إحدى سمات العصر الحديث وإذا كانت الدوائر الرسمية الدولتية تتنكر لها وتعتمها ولا تجعلها في متناول الرأي العام العالمي فأن هذا نابع من طبيعتها بالذات- السلطة - وفي التاريخ الكثير من الأمثلة المشابهة وإذا كانت الرأسمالية لا تُعرف فقط بأساس نشؤها- القيمة الزائدة - وسيكون التعريف ناقصاً فأن الأوجلانية أوضحت الآليات والأساليب الأخُرى للتعريف وهي تبدأ بالزمان والتاريخ والفلسفة والدين وحتى الجغرافيا. أن الإيحاء بأنها سرمدية وهي محور الحياة وبكونها صاحبة الكلمة الأخيرة للتاريخ لا يعني سوى تكرار للميثيولوجيا القديمة بأسلوب عصري وبالمقابل لا يجب اعتبارها راسخة لا تتغير أبتكرها فعل وعمل موجهان من مركز واحد بمقدار كونها عبارة عن نشاط مجموعات انتهازية كانت غير معترف بها في تاريخ المجتمعات وأن هذه المجموعات لم تكن ذا تأثير لو لم تضع يدها على أهم الأشياء التي تحتاجها مجتمعاتهم وبدأوا يخضعون قوت المجتمع للعبة العرض والطلب، أنها مجموعات لم تكن شرعية على مر التاريخ بل كانت مصدر الازدراء والامتعاض وكانت متمردة على أخلاقيات وقيم مجتمعاتهم ولدى حلولهم محل النظام السلطوي المهيمن أصلاً ودخلت البشرية في ظلمات أحلك من ظلمات العصور الوسطى بآلاف المرات.

علماً بأن المآسي التي تعرضت لها الشعوب على مر التاريخ من إبادة واستعمار و استغلال وحروب هي من جراء حكم النظام السلطوي المهيمن منذ القدم أي قبل الرأسمالية ولذلك فأن حكم النظام الرأسمالي لا يعني نهاية وضياع البشرية ذلك لأن تاريخ البشرية شهد أعظم أشكال التضاد والمضاد أيضاً.

أن الإسهاب في شرح العقل كما أوردته الأوجلانية أو العقلانية ضمن الأبعاد الكونية الصغرى والكبرى وتموضعها في الجزيئات ما تحت الذرية وبالتالي إكساب صفة العقلانية على العوالم الفيزيائية والبيولوجية على حد سواء لا يفيدنا بشيء ذلك لأننا نقدم شروحاً مبسطة في الفلسفة بحد ذاتها وبالتالي فأن الإيغال في شرحها ومحاولة منا بتقديمها مبسطة يلزم مراجع وإسهاب لسنا بمستواها الآن.

على أية حال فان القول بأن المجتمع الغربي يملك

خاصية عقلانية أي كما يقال بأنهم استخدموا العقل وخلقوا العلم وجعلوا من العلم قوة يستفيدون منها في السيطرة على الغير وخلال سير التطور الطبيعي للجماعات الإنسانية فإن الذكاء العاطفي هو الحاكم والذي يتميز بالعمل بردود الأفعال وتعتبر الفطرة أقدم أنواع الذكاء.

ومن مميزات الذكاء العاطفي أنه يلبي وظيفة الحماية بأفضل الأشكال وهذا هو الجانب الهام فيه أي حماية الحياة فأن تقدير الحياة مرتبط بمستوى تطور الذكاء العاطفي إلى أن وصلت الجماعات البشرية إلى لغة التفاهم عبر الاصطلاحات بدلاً من الإشارات وهذه ثورة عظيمة في التاريخ البشري وخاصة مع وصول البشرية إلى تركيب الجمل اللغوية وهذا ما فتح الباب للتفكير بشأن الأحداث وبالتالي أدت إلى بروز الفكر التحليلي الذي به يستطيع الإنسان أن يكون عالماً من التطورات والخيالات والأوهام. وصلت البشرية آنذاك إلى نصب الفخاخ والمصائد وحَبّك المؤامرات والدسائس وهذا أدى إلى ظهور المشاكل داخل المجتمع ولذلك أوجد المجتمع الأخلاق مبدأ للتنظيم.

تلتقي الأوجلانية والماركسية على أساس أن الصراعات المثيولوجية والدينية ليست في جوهرها سوى صراعات اقتصادية وسياسية وأن بدت مستورة دينياً إلى حين ظهور الذهنية الرأسمالية، على أساس أن البروتستانتية توافق البرجوازية الصاعدة والمعارضة للكاثوليكية الإقطاعية.

إن كل معاني الحياة ومراحل تطورها تبرهن بأنٍ التطور والتغيير ينبعان من النشوء لذلك كونت تكاملاً مذهلاً في مختلف تصنيفات الفكر المثيولوجية والدينية والفلسفية والعلمية وكل هذه التصنيفات لا يمكن إنكارها، فمنها ما لجأ إلى أساليب المثيولوجية وأخرى لأساليب دينية وفلسفية لكن العلم وحده يتميز دون غيره من التكاملات بالضوابط المُثلى قد سلّط الضوء على ديناميكيات النشوء بنسبة هامة.

أما المأثرة الهامة لدى شرح الفلسفة الأوجلانية فهي تُمكنّها من الإمساك بناصية الأركولوجيا إذا صح التعبير فهي من هذه الناحية تتجاوز الماركسية كثيراً بل وتختلف عنها أيضاً وتلتقي مع مؤلف مورغان العالم الأمريكي في بحثه الشامل» المجتمع القديم» مع وجود فارق بطبيعة الحال فإذا كان مورغان قد أوجد القوانين التي كانت سارية في المجتمعات القديمة وطبعاً المفهوم المادي عن التاريخ وتوصل إلى نفس النتائج التي توصل إليها ماركس بدءاً من القارة الأمريكية فإن أوجلان يبدأ من المجتمع السومري معتمداً على الأبحاث الأركولوجية التي أثبتت أن تاريخ البشرية بما يتضمنه من تأويلات فكرية وحضارية ودينية ومثيولوجية قد انبثقت من منطقة بلاد ما بين النهرين أي ما تسمى بمنطقة» ميزوبوتاميا» وإذا كانت الماركسية تعتبر أن المسيحية هي نتيجة الخلط بين اللاهوت القديم والفلسفة الإغريقية أو ذلك المزج بين الديانة اليهودية والفلسفة الإغريقية المبتذلة كما كتب أنجلس في مؤلفه» فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية» فأن الأوجلانية تعتبر أن الأديان وقبلها القوالب الدينية بكل قوم وعشيرة بما فيها أصنام النمارذة وديانة التوحيد المجردة مع ظهور إبراهيم الخليل على مسرح التاريخ منذ ما يقارب أربعة آلاف عام والمنبع الأساس للميثيولوجيا وكذلك للدين والمدنية هي منطقة ميزوبوتاميا وإذا كان علم التاريخ المقارن والأبحاث الأركولوجية واللقى الأثرية تثبت ذلك فأن هذا يدل على منطقة عذراء من فكر ماركس من جهة ومن جهة أخرى يتوجب إعادة تقويم وتصويب الكثير من الدراسات والنظريات ذات الصلة وللدخول من أبواب المدن السومرية وصولاً للخروج إلى الفهم المادي للجماعات البشرية التي كانت تعيش على شكل كلان في حواف جبال طوروس وزاغروس ومنها إلى باقي أرجاء المعمورة لقد أعطى مورغان وصفاً دقيقاً لنهاية وتحلل الإمبراطورية الرومانية التي بنت حقها من الوجود على صيانة النظام في الداخل وعلى الحماية من البرابرة لكن نظامها كان فوضى شريرة وإذا البرابرة الذين كانوا يدعون حماية المواطنين منهم ينتظرهم جميع الشعوب المنضوية تحت نير الإمبراطورية الرومانية كمنقذين

لكن الأوجلانية مع إعطائها نفس الوصف تقريباً لسيادة الرأسمالية والتي سماها إمبراطورية الفوضى لا تجد أنصار سلطة أخرى كمنقذ للبشرية بل تدعو إلى بناء كلانات قديمة بأساليب وطراز حديثة عصرية بذلك يكون خلاص البشرية النهائي والوضع العام في منطقتنا لا يختلف عما ورد أعلاه ويكفي إيراد مثال واحد من الأمثلة العديدة فإن الشعب الجزائري الذي قدم مليون شهيد لطرد الاستعمار الفرنسي من أرضه والأيتان بحكومة وطنية التي كانت في مرحلة التمرد تدعي بأنها المنقذ للشعب من براثن الاستعمار فإن نفس الحكومة هي سبب لجوء المئات بل الآلاف من الشباب الجزائري إلى أرض فرنسا هربا من الجوع والفوضى والحظي بالهدوء والحرية وأحيانا يغرق البعض منهم في الطريق عبر البحر إلى هناك هؤلاء هم أبناء الشهداء الذين ساهموا بدمائهم في إخراج الاستعمار أن هذا المثال وغيره الكثير يؤكد صحة النظرية الأوجلانية وروعتها في وصف أساس السلطة وذلك عندما يكون الهدف من أي ثورة هو استلام السلطة وبالتالي السيطرة على مقاليد الأمور من السلطة السابقة» السلطة تبقى سلطة من يكون المسيطر لا يهم». كما أنها في الوقت نفسه تبين مدى عقم الماركسية في هذا المجال وأعني به طبعاً مجال السيطرة والسلطة عندما تقول بأنه ينبغي للقوى الجديدة وسواء في الثورة الديمقراطية أو الثورة التحررية الوطنية أن تستولي على السلطة فأن المبادئ سوف تُنسى ويبقى مستلم السلطة خادماً لها سواء جاء من حركة ديمقراطية أو أي حركة تحررية كما يؤكد القائد عبد الله أوجلان وكما هو واضح خلال سير التاريخ.....يتبع.

العقد الاجتماعي الجديد في العهد الديمقراطي الجديد

«زسيهانوك ديبو

ملخص

إن جوهر اشتقاق الشرعية الثورية في مرحلة التأسيس للإدارة الذاتية الديمقراطية و التي تمثل روح الأمة المجتمعية الديمقراطية ، يمثل الضمان الأنسب للعقد الوطني السياسي لكل المكونات المنتمية للمجتمع السوري الحديث سيّما و هو على أعتاب التأسيس، أو محاولة الخوض لتأسيس الجمهورية السورية الثالثة (مرحلة التأسيس هذه مرهونة بحجم و بمنشأ التسويات و التوازنات الداخلية و الإقليمية و العالمية، و في الوقت نفسه مرهونة بصراع أيديولوجي متمم مع لعبة الأمم على نحو فاضح مع الرغائبية الدولتية و مصالح القوى و الأيديولوجيات التي تروضها، و لو كانت على أنقاضها المتداعية، و من جهة أخرى بصراع أيديولوجي منبته الشعب و تطلعاته إلى التغيير الذي يلزم من أجل أن يكون هذا الشعب سيد نفسه).

بعد فشل الجمهوريتين: الأولى و التي نشأت بعد الاستقلال و امتدت حتى عام ١٩٥٨ - الوحدة مع مصر - و الجمهورية الثانية التي قضت على الأولى و امتدت حتى الأيام الأولى للحر اك الثوري الرفضي المجتمعي لقيود نمطية الحكم الشمولي القوموي، أصبح من اللازم البحث قصيّاً عن البديل الثوري الذي يضمن عدم الانزياح، فكانت الحاجة إلى عقد اجتماعي جديد أشبه بحاجة الإنسان إلى اختراع يضمن تطوره وتبدله و الارتقاء و النهوض الجمعي و البشري الممكن، لذا كان العقد الاجتماعي المولود في كانتونات الإدارة الذاتية الديمقراطية الثلاثة؛ والمأمول كعقد « متمدد» في الوطني السياسي السوري في الجمهورية الثالثة مرتبط أشد ارتباط بالنهضة المتوقعة من النهضة المجتمعية المتأصلة للحراك الرفضي لسلطات الاستبداد و من بعده قوى التسلط المستحدثة.

مرحلة التأسيس للجمهورية الثالثة ليست في حال مثلى بل ربما كان العكس تماما ، فقد ساهم النظام و غالبية فئات معارضته من خلال العنف و العنف المضاد، كما ساهم العنف المستشري في انحراف في المسار و تسارع في تعميق انقلاب العقد الاجتماعي للحراك، ولكن يبقى العقد الاجتماعي المتأسس في روج آفا بمثابة التصحيح للثورة و منعها من انحراف صميمي أو تقسيم طلاقيٍّ أو حتى هجوم رسمي خارجي متوقع أن يُمارس من قبل جهات يرعبها كنه الإدارة الذاتية الديمقراطية ، ولأول مرة في تاريخ الشرق الأوسط « قفز الشعب من مستبَد إلى سيادي، و تشكل مفهوم السيادة الوطنية، وتمت إعادة تشكيل مفهوم الهوية ، و بالتالي التغيير الذي نحتاجه.

فخ المركزية

التنميط في المفهوم القومي، و النمطية القومية في الدولة القومية بخصوص سوريا حديث؛ لم يبلغ المائة عام، علاوة على ذلك فإن كل الأشكال المركزية لا يمكن دوامها بهذا الشكل الاستبدادي، و مستقبل سوريا لا يمكنه الاستقرار من خلال إيلاج هذه المفاهيم الواحدة في الجسم الواحد لسبب بسيط لا يمكن للمستقبل تحمله و حمل وزره.

في علم الحساب البسيط يمكن فقط إدراك ماهية « الواحد» ، و الواحد هو المتناسب معرفيا مع العصبية التي تحدث عنها ابن خلدون ، و تحدثت عنها أيضا طبائع الاستبداد و المستبدون الجدد في المائة عام المنصرمة، و هو ما يتحدث عنه بعض من فقد الأمل بحركية التاريخ وبالتغيير، في زمن ادعاء ذهاب الأيديولوجية إلى غير رجعة، ولذلك نجده تفسيراً منهجياً مُلبّياً لأهداف دعاة المركزية (أينما تواجدوا)، وهؤلاء هم (النرجسيون الجماعيون) والمعتمدون على ثنائية الأكثرية والأقليات، والتراتب الهرمي، وهو وعي الجيل الذي تم تشريب عقله الباطني

بهذه السموم؛ ربما لهذا نجد أن يساريا يتعاطف مع كل قضايا الكون و ينسى كل اليسارية حينما يغدو الأمر متعلقا بالكردي وقضيته، فيتململ و يتذكر المواطنة « فقط «من أجل إعادة القمع و إعادة إنتاج السلطوية، و المنبوذ أي الممارس بحقه العنف ينبض في نوابض الارتداد و يتخذ المتوقع منه و هي وهم الدوائر المغلقة ، و في كلا الحالتين: قوى الهيمنة و توابعها المحليين و توابع التوابع يسعدها هذا الأمر.

لكن ماذا بخصوص الجولة الأولى من جنيف٢ سوريا- كردياً؟

« المدد الغيبي « أسلوب أو وسيلة فاضت بها خشبات مسارح روما و اليونان و اعتمدها كُتَّاب المسرح في الحضارات الإغريقية والرومانية، و مفاد هذه الوسيلة : أن تعقيدا حاصلا يطرأ على الحبكة الدرامية، و تحتمل في تلك اللحظة مخارج عديدة و تكون هذه المخارج غير متطابقة مع البدايات الناشئة، فَيُعتَمَد « المدد الغيبي « كطريقة تتوضع وفقها نهاية لائقة. و لعل التدقيق في سوابق اللاحقة، يشبه تراجيديا المسرح الإغريقي، لكن هذه المرة على الخشبة السورية، و النتيجة: الضحك لشدة الألم، فحقيقة الأمر أن المجتمع السوري تعرض لأبشع تمدد و تقلص في البنية المجتمعية، و أدت هذه التمددات القسرية إلى شقلبة الواقع المجتمعي، مرة عن طريق الدفع بالحراك الثوري إلى مسألة العنف و الفوضى و إيجاد جنيف١ كمدد غيبي، اعتبرت وفقها الحل الدامي، و من ثم و بعد حوالي العشرين شهراً تعرض المجتمع نفسه إلى عملية شد القهقري، و كنه هذا الشد هو العودة في الخراب، من أجل الزيادة في خلق النوابذ و نوابضها من أجل خلق عدم القبول، وعليه فإن عملية الترميم المجتمعي لن تكون مرفقة بأية تسوية أو مخرج سياسي يلون الأزمة وفق مقتضيات الحل.

يبقى العقد الاجتماعي المتأسس في روج آفا بمثابة التصحيح للثورة و منعها من انحراف صميمي

و الجانب الكردي الذي شارك في الجولة الأولى ظل جانبا و مجانبا للوقائع الأساسية، فلم يكن ظهوره في البدء و الوسط و الخاتمة سوى شواهد، كمثل الشواهد الشعرية في كتابة إنشاء عام، القضية الكردية في سوريا مثلها مثل أية قضية محورية، لا بد من إيجاد حل جمعي في العام السوري، و هذا مدخل الحل، وعلى العكس من ذلك لم يُشأ أن يتطرق إليها، لا من قريب و لا من بعيد، بل كانت حاضرة فقط خارج الرواق و خاصة حينما تكون الأمور متعلقة بالميديا و الظهور النرجسي، و النتيجة (سورياً- كردياً) و في الجولة الأولى كانت فاشلة بامتياز، و لا يمكن حتى القول إن الجولة الثانية مُمهدة لها في الأولى، فاختلاف العناصر، و المتطلب في مشاركة العناصر الفاعلة على المشهد السوري، أو احتمالية مشاركة الآخرين و خاصة من فئات المعارضة كهيئة التنسيق و احتمالية وجود وفد كردي واحد، و احتمالية مشاركة وفد من وحدات حماية الشعب كقوة عسكرية دفاعية أثبت النهج الثالث جدوى وجودها، حيث أن غالبية مكونات الشعب في روج آفا تتفق على الشرعية الثورية لوحدات حماية الشعب ال Y P G.... أصبحت مشاركة الفاعلين شرطا من أجل النجاح و الوصول بعد النجاح إلى التوافق و تصورات الحل. لكن ماذا سيحدث لو تم قبول الجميع للجميع و خاصة للممثلين الجدد؟

برامج....أهداف ....سلوك

إن الإدارة الذاتية الديمقراطية تؤكد اليوم و في كل الأيام وحدة سوريا أكثر، و هي بمثابة الإجراء الذي يُفنِّد تبعيات و تداعيات الانهيار الكامل للدولة السورية وانتقال النزاع إلى دول الجوار، و نموذج الإدارة الذاتية و التي اتفقت عليها المكونات في روج آفا و هي بصدد تشكيل دقائقها، هو نموذج ديمقراطي لإدارة المقاطعات الثلاث، و هي بذلك تسعى جاهدة كي يحتذى به في المناطق السورية الأخرى كسبيل من أجل الوصول إلى مجتمع سوري ديمقراطي تعددي و برلماني و تشاركي .

هذا الوعي الفتي الذي اتحد فيه، لأول مرة، اللوغوس والإيروس، أي العقل والعاطفة والوجدان والشعور، لدى فئة الشباب خصوصاً، اللاتي تصدين والذين تصدوا لـ (هجوم الغُزاة) المدعوم من التكتل القديم المعادي لإرادة الشعوب و بترسانة ميديائية قل نظير شراستها، و العقد الجديد في العهد الجديد؛ أثار الخوف والهلع لدى الفئات المحافظة في السلطة والمعارضة، على السواء؛ فبادرت الأولى إلى حصاره والثانية إلى احتوائه، الأولى فعلت و ما تزال تفعل من أجل إفشالها ، بكل ما امتلكت من ذهنية شوفينية ووسائل حربها المدمرة، والثانية حاولت وتحاول وأد الذهنية الثورية المتولدة وبسمومها الأيديولوجية، البعثية أو الإحيائية، السلفية والأصولية والجهادية، الأثنية منها والمذهبية؛ كما يقول الدكتور الجباعي.

و الذهنية الثورية التي تعتبر حاسمة في التغيير بالنسبة للشرق و سوريا و روج آفا، تشكل منها وعي يُناسب حالة الذهنية الثورية و يتناسب مع حداثتها الديمقراطية، وهذا الوعي أحدث انتقالا عميقا في الشخصية في روج آفاييه كردستان و بكل مكوناته و الانتقال يبدو واضحا

من المرحلة الثانية (مرحلة التطور الطبيعي) المرهونة بالتأثيرات الكونية و التقنية منها على أشد الخصوص (مرحلة الترابية)، إلى مرحلة نوعية تشكل فيها الوعي و اتحد فيه اللوغوس و الايروس، أي العقل و العاطفة ، و هذا ما يجب تسميته (بمرحلة التنين) حيث يتوضح فيها الإطار العام للشخصية النوعية المرتبطة بالذهنية الثورية لدى كل الفئات العمرية و خاصة فئة الشباب و التي وجدت محلا لها في حركة الحرية في مواجهة الفئات المحافظة سواء في السلطة أو المعارضة؛ أيديولوجية الأمة الديمقراطية في مواجهة أيديولوجية الحداثة الرأسمالية و قوى الأوليغارشية و المتعوبة و المتزعمة في رؤوس حربتها المحليين: البعثية و السلفية و الأصولية و المتهافتين المحسوبين قوميا (شهود يهوه الجدد – الكرد المستعربين).

إن أبرز المهمات قبل هذه الرؤى كلها العمل سوية من أجل تشكيل (الهوية الوطنية) و التي ما زالت متبعثرة و ما زالت تصطدم بالتأدلج العروبي و التسيس الإسلاموي كأهم عاملين و أصل مشكلة نقص الاكتفاء الذاتي السورية في تكوين الهوية الوطنية. و المعياران الأساسيان من أجل تلمس الهوية الوطنية السورية يكمنان في مدخلين:

أولهما: شكل و صيغة الإدارة في سورية المستقبلية و التي لا بد أن تكون على صيغة الدولة السورية الحداثوية الديمقراطية و المتمدنة.

ثانيهما: إيجاد حل ديمقراطي و دستوري للقضية الكردية في سوريا وفق ماهية الأمة الديمقراطية و التي تؤكد محددات الحل الديمقراطي للمسألة القومية لكل القوميات، و من بينها القومية الكردية وعلى أساس (كلية المفهوم) الشعب و الأرض، و هذا بدوره يتناسب مع المعايير و المعاهدات الدولية.

المشاركة المعبرة والضامنة والعادلة للوفد الكردي في جنيف٢ كجزء أساس للمعارضة الوطنية السورية و كممثل لكل المكونات المجتمعية ومؤسساته المدنية في مناطق الإدارة الذاتية الديمقراطية. و هذه الإدارة جزء أساسي من الإدارة العامة في دمشق و التي ستتشكل من أجل بناء مجتمع ديمقراطي وتعددي ومتمدن في سوريا. و لا يمكن تحقيق هذا إلا من خلال قيام المرأة بدورها في بناء مجتمع متمدن و عصري معبر عن الإرادة المجتمعية والإسهام في تحقيق الأمن و السلام في سوريا المستقبلية.

لكن كيف؟

من أجل الوصول إلى هذا الهدف لا بد من توافر نقاط تكون ضامنة للحل من أجل تنفيذ ما يلي:

١. تعريف مؤتمر جنيف٢ و الذي يتضمن المفاوضات والوضعيات السابقة للأزمة السوية قبل انعقاد المؤتمر و الوضعيات التي تلحق المؤتمر ضمن الأرضية الحقوقية التي تضمن عدم انزياح القرارات الصائر إليها من قبل المؤتمرين.

٢- الاتفاق الذي سينشأ سيكون مدعوماً بالرغبة الدولية الراعية للمؤتمر و المتوافقة في الوقت نفسه لإيجاد الحل و آليات الحل ضمن أرضية قانونية و إطار قانوني سياسي للحل الديمقراطي.

٣- المفصلين الأوليين سينجم عنهما بالتأكيد «كيفيات قانونية للحل « من أهمها:

أ- تشكيل إدارة موسعة بصلاحيات تنفيذية كاملة

ب- تشكيل هيئة تحكيم مشتركة (سورية و دولية) لمتابعة و تصويب المرحلة الانتقالية.

٤- لأننا ندرك تماما أن الوضع السوري الحالي مقلق لأبنائه و للأسرة الدولية خاصة من الجوانب المتعلقة بالأمن و السلام، ولأن مناطق الإدارة الذاتية تتمتع حتى هذه اللحظة بنوع متقدم من الأمن مقارنة بمثيلاتها من المناطق السورية، ومن المهم هنا التأكيد على الدور الوطني الذي لعبته وحدات حماية الشعب Y P G في مجالي السلام و الأمن لذلك من الضروري أن تكون هذه المؤسسة الوطنية موجودة في كل مراحل الحل، سيّما أن وحدات حماية الشعب هي جزء من الجيش السوري الوطني.

إن الإدارة الذاتية الديمقراطية تؤكد اليوم و في كل الأيام وحدة سوريا أكثر، و هي بمثابة الإجراء الذي يُفنّد تبعيات و تداعيات الانهيار الكامل للدولة السورية وانتقال النزاع إلى دول الجوار

الجمهوريات الثلاث: سورياً

من المهم التوضيح أنه قد يكون الحل الكلي(سوريا- كرديا) غير وارد بشكل كلي على دفعة واحدة وفي أي مكان، بل على العكس فإن اعتماد المتدرج في الحلول له جوانب إيجابية أكثر بكثير من جوانبه السلبية من أهمها الصلابة في البناء بسبب التدرج الزمني نفسه، ووفقا لما تقدم فإن الحل السوري كردياً يُعتَبرُ غالباً أن القضية الكردية تبتدأ بالاتفاق المجتمعي في سوريا و أن أساسيات حل القضية الكردية في سوريا محددة بالاتفاق أساسا على عدة مناحي:

- بداية تشكل الدولة السورية: واعتبار أن اتفاقيات سايكس بيكو و فرساي و أخيراً لوزان٢ و التي أطاحت بالرجل المريض و في الوقت ذاته بتطلعات شعوب الشرق الأوسط و من بينهم الشعب الكردستاني، و أن كردستان وحدها دفعت الثمن الأكثر تضررا خاصة في ابتلاع جغرافيتها، و لكن الكرد و في كل الأجزاء و خاصة في

سوريا دافعوا عن بلادهم و قيمهم و الأمثلة في هذا المنحى كثيرة جداً. هذه النقطة التي لا يستطيع الشركاء إدراكها، و ربما لا يستسيغونها مطلقا، مع العلم أنها تُشكّل الضرورة الابستيمية المجتمعية من أجل النهوض الديمقراطي و إحداث عملية التغيير.

- الجمهورية السورية الأولى و الثانية: إن أنظمة الاستبداد المتعاقبة على الحكم على الشعب السوري لم تجلب معها سوى الدمار المجتمعي و لكل أبناء الشعب السوري، والأيديولوجية الحشدية التي استعملتها هذه الأنظمة فرقت بين أبناء البلد الواحد، واتخذت و بالمفهوم السلبي موزاييك سوريا و عد مسألة التنوع الطائفي و القومي بمثابة نقاط ارتكاز بالنسبة لهم وفق المفهوم السلبي، وهذا باعتقادنا سبب فشل المحاولات الجمعية و المدنية في كل اختبار يحاول بناء سورية عصرية ديمقراطية تعددية، خاصة أن الكرد و المناطق الكردية شهدت في هذا المنحى ثورات تضامنت مع نظيراتها في الداخل و الساحل من أجل طرد المستعمر آنذاك.

- الجمهورية السورية الثالثة: الحل السوري يبتدأ ديمقراطيا، و أية تسوية سياسية تفتقر إلى المضمون الكلي الديمقراطي ستكون فقط تسوية متعثرة، و ربما تستند إلى المزيد من العنف، عندما تقتنع الأطراف المشاركة في جنيف٢ بأن مفتاح الحل الديمقراطي في سوريا يكمن في الخطوة الحقيقية و المتعلقة بحل ديمقراطي حقيقي للقضية الكردية في سوريا و النظر إليها من ثابتي: الأرض والشعب، و غير ذلك هو حل منقوص، و أي حل منقوص في هذه اللحظات الحرجة هو استدامة للعنف طالما هناك ديمومة لعناصر الحشد الانفجاري. وعلى المفاوض الكردي أن يدرك بأنه واحد من أصل مجموعة متنافرة سيساهمون مجتمعين في خلق ظروف التحول أثناء و بعد جنيف٢. و لعل أبرز سمات التحول هو وقف العنف المجتمعي، و كل المظاهر المتعلقة بهذا العنف، و هنا من المهم الإشارة إلى صيغة جنيف الأولى و عدها صيغة مناسبة للحل السياسي، و لكن من الضروري إجراء بعض التعديلات عليها بما يناسب مسألة التمثيل في الوفود المشاركة و مسألة التمثيل في الحكومة الانتقالية المزمع تشكيلها في فترة لاحقة، و كل ما تقدم و كل ما يؤخذ بعين الاعتبار بخصوص الإدارة الذاتية المتشكلة و بكانتوناتها الثلاثة أعتقد أنه سيكون مدخلاً مناسباً للحل الديمقراطي في سوريا.

ووفق ما تقدم أعتقد أن المطلوب وطنياً، و في هذه اللحظات أن تتوفر القناعة الكاملة في دعم الإدارة الذاتية الديمقراطية و بكانتوناتها الثلاثة (وطنياً)، وعلاوة على ذلك أن تحظى هذه الإدارة بالدعم و بالرؤية الإيجابية للإدارة المتشكلة، سيّما أنها تلبي الوضع المجتمعي وإرادته في تقرير مصيره من خلال هذه الإدارة الذاتية.

التسوية السورية التاريخية تبدو بعيدة نوعا ما ، على الأقل في جنيف ٢ بسبب تعنت السلطة و تعنت وفد المعارضة و الشخصيات الكردية الملحقة بالوفد؛ و التي حاورتها في الجولة الأولى، والتسوية «السياسية» التي تطرحها القوى الخارجية، أقرب إلى هدنة منها إلى صفقة تاريخية، فقط لملتزمي الخط الثالث تعتبر بالنسبة لهم تسوية ضمن الهدنة، و الهدنة هي وقف العداء بين المتحاربين، و الحرب في سوريا هي بوشاح السلطة، و السلطة في روج آفا لا مأوى لها ولا مسكن ولا مأكل، الكل متساوون في الأمة الديمقراطية كمطلب تغييري و كرؤية لفلسفة التعايش مرة أخرى.

خاتمة

لأسباب مفهومة و لِدواع واضحة ؛ تُرَكز الحكومات الوطنية الرشيدة في العالم كلّه على مسائل الأمن و السلام، و أي خلل ينجم عنها له تأثيرات مباشرة على البنية التحتية المجتمعية و الثقافية، و الاقتصاد السياسي الجمعي والدولي على رأس هذه التأثيرات .

الأنظمة المتكسرة في الشرق ، و الأنظمة التي تلتها لا تعير اهتماما كافيا لهذه المسألة و هي مُلحَّة في المدى القصير (الاقتصاد و الأمن) أبرز قضايا المرحلة . و المتكسرة من الأنظمة و ما تلتها أيضا لا تعير أي اهتمام لمسألة الديمقراطية التوافقية و إشراك جميع الأطراف في أية تسوية سياسية. و عليه فإن المسألة الأخيرة (الديمقراطية) ستكون بمثابة الروح في جسد الاقتصاد و الأمن و السلم ، سواء بالنسبة إلى شعوب الشرق أو شعوب العالم كله .

الفيلسوف الهولندي دسيدريوس إراسموس، من رواد الحركة الإنسانية في أوروبا، في كتابه «مديح الحمق» يخاطب بعض الذين تاهوا عن الطريق الحقيقي قبل أكثر من خمسمائة عام قائلا لهم :

«إننا نتقدم، و لو كنت عاقلا لسارعت بالمجيء إلى هنا».

و يمكن أيضاً أن نقارب الوضع السوري و الذي يشبه مأساة هاملت لشكسبير؛ والتي تحولت في نهاية المسرحية إلى ملهاة، فخوف هاملت من الشر (الملك)، تبيّن أنه لم يكن خوفا، ربما مواربة أو قدرة فائقة على الصبر و التحمل، أو نضال ذاتي حقق عن طريقه النصر .

كل العجب من كل من يخاف في زمن الحرية؛ وبالأخص لمن يقرأ الإدارة الذاتية الديمقراطية، و ما زال متردداً خائفاً، مع العلم أن الخوف هو شعور قد يكون مجانبا للحقيقة، و مع العلم أيضاً أن الإدارة الذاتية الديمقراطية و كانتوناتها الثلاثة شعور في العمل، و كل العمل هو من أجل أمة ديمقراطية يخفت فيها العراك على أسس قوموية تضمن الميلان عنوة نحو الهاوية. و هذا مردّه الدوائر ، أصحاب الدوائر يخافون من كل شيء خارج دوائرهم. على العكس و بناءً على مفهوم التغيير تطل الأمة الديمقراطية بأبهى حالاتها للحل و لإدارة أفقية لمجتمع وحضارات أنهكتها السلطة العمودية في الشرق.

حلقات من دروس القاها السيد جميل بايك الرئيس المشترك لمنظومة المجتمع الكردستاني KCK في اكاديمية PKK للتدريب الايديولوجي.

تاريخ حركة الحرية الكردستانية بطليعة حزب العمال الكردستاني

الحلقة ١٩

كان المؤتمر الرابع مؤتمر تقوية الكريلا، وكان هدفه تطوير الكريلا لهذا السبب سمينا هذا المؤتمر بمؤتمر الكريلا، لأنه أن تمكنا من تقوية الكريلا حينها بالإمكان تطوير السرهلدانات بشكل أقوى، فهذا كان الدور الأساسي لهذا المؤتمر، وعلى هذا الأساس تم اتخاذ القرارات والسعي لتطبيقها في الممارسة العملية، ففي عام ١٩٩١ ولأول مرة اتخذنا قراراً بخطو خطوة هامة من الناحية العسكرية ألا وهي إنشاء معسكر رئيسي، فحتى تلك الفترة لم يتم اتخاذ قرار كهذا، تم خطو هذه الخطوة وفقاً لقرارات المؤتمر وكان من الواجب إنشاء هذا المعسكر في منطقة بوطان بالإضافة إلى خلق جميع آلياته، فلتطبيق هذا القرار في الممارسة العملية توجهت إلى منطقة بوطان في ذاك العام، إلا أن هذا لم يتحقق بالشكل التام في منطقة بوطان، لهذا السبب سعينا إلى إنشاءه في منطقة حفتانين، فالهدف والقرار كان أنشاء المقر الرئيسي في منطقة بوطان وإنشاء مقر آخر تابع لهذا المعسكر في منطقة حفتانين، ولكن لدى عدوتي إلى حفتانين لم يقم الرفاق بالتوقف على مسالة إنشاء المعسكر الرئيسي في منطقة بوطان بالشكل التام لهذا سعينا إلى إنشاء المعسكر الرئيسي في منقطة حفتانين وتحويل المعسكر في منطقة بوطان إلى معسكر مرتبط بهذا المعسكر،

ففي تلك الفترة استطعنا الحصول لأول مرة على جهاز لاسلكي «للمسافات الطويلة»، حيث اقتنى رفيق من كوباني جهازين وضع إحداها في ساحة الأكاديمية والأخرى أتى بها إلى منطقة حفتانين، حتى تلك الفترة لم نكن ندرك ونعلم ماهي طبيعة هذا الجهاز ولأي غرض يستخدم، لم نكن نقتنع بما يقوله عن هذا الجهاز بحكم المسافة الشاسعة بين المنطقتين أي بين منطقة حفتانين وساحة الأكاديمية في لبنان، حيث أن هذا الشخص هو الآخر لم يكن واثقاً من نجاح هذه العملية أي عقد الاتصال عن طريق هذا الجهاز، أتى بها للتجربة

أي أن نجح الأمر حينها نقوم باقتناء أعداد أخرى من أجل المناطق الأخرى، قام بالاتصال بساحة الأكاديمية وبالفعل رد القائد عبر الجهاز، اندهشنا لهذا الأمر، فنوعية المكالمة كانت جيدة جداً، حينها عقد القائد اجتماعاً لكل الرفاق المتواجدين في منطقة حفتانين عبر هذا الجهاز، وعَلى إثر هذه التجربة طلب بأن يتم اقتناء أعداد أخرى من أجل المناطق الأخرى كزاغروس وبوطان وآمد وغيرها من المناطق، لأننا كنا نجد صعوبة بالغة في عملية الاتصال بهم، كانت تأخذ فترة زمنية طويلة تمتد إلى عدة أشهر، فبهذا الشكل انتشر استخدام هذه الأجهزة في كل المناطق،

بالطبع تم الاستفادة من حرب الخليج بنسبة معينة، فلو كنا عملنا على تقوية وإكمال تلك التحضيرات بالشكل التام لكانت التطورات والمكاسب أكبر أيضا، ولكن رغم هذا الشيء استفدنا منها بعض الشيء أي حققنا بعض النتائج، حيث استطعنا تامين قسم من الحاجات العسكرية من أسلحة وذخيرة، كان هذا الشيء هاما بالنسبة لنا في تلك الفترة، إلا أن هذا أثر بشكل سلبي على بعض الأشخاص حيث بدأ يتولد لديهم نشوة النصر ويعتبرون أنفسهم أسياد على المناطق المسؤولين عنها، لهذا السبب كانوا يسعون إلى امتلاك أشياء لها مزايا وخصائص خاصة، بالطبع تم انتقاد مثل هذه التصرفات، أي أنه في تلك الفترة مع بدء توفر الامكانيات بدأ مرض السلطة المبكرة بالظهور بشكل سريع، لتوفر هذه الامكانيات طور صاري باران مفهوما ضمن قاعدة هذه الحركة، ألا وهو عدم الإحساس بالصعوبة التي تم معايشتها في سبيل تأمين هذه الامكانيات، أي الافتقاد إلى روح المسؤولية تجاه القيم المادية والمعنوية، لاقينا صعوبة بالغة للحد من تطور هذا المفهوم، فالشخص الكردي يفقد نفسه عندما يملك شيئاً نظراً للحرمان الذي يعيشه على الدوام يصبح جشعا، فتطور أمور جشعة كهذه في تلك الفترة لم يكن سببه سوء هؤلاء الأشخاص إنما لأنهم كانوا محرومين أي لم يروا أنهم يملكون اشياء من قبل، لهذا السبب لم يكونوا يعرفون كيفية التصرف بالإمكانيات التي يحصلون عليها، لهذا السبب كانوا يتصرفون بشكل خاطئ ولكن في الأساس لم يكونوا سيئين،

عندما توجهت إلى أوروبا أيضا رأيت نفس الشيء هناك، بقيت في أوروبا فترة عام ونصف تقريبا فالأشخاص الذين كانون يعيشون ويحيون الجشع لم يكونون أشخاص من أوروبا إنما هؤلاء الأشخاص الذين أتو اليها من الخارج، أي هؤلاء الذين أتو من أفريقيا ومنطقة الشرق الاوسط، لأنهم كانوا محرومين من كل شيء وبدخولهم أوروبا يرون توفر الامكانيات لهذا يسعون إلى امتلاك كل تلك الامكانيات بالطبع لا يستطيعون امتلاكها جميعا، فلعدم استنادهم إلى أسس صحيحة وثقافة سليمة ومقايس ومعايير يحيون وضعاً كهذا ويصبحون جشعين، حيث أن الرفاق الذي انضموا إلى عمليات الإضراب عن الطعام في السجون يعرفون هذه الحقيقة بشكل جيد، أي بعد انتهاء العملية أن لم يقوم الشخص بالتحكم بكمية الوجبة سوف تؤثر عليهم بشكل سلبي وحتى تصل في بعض الأحيان إلى فقدان الشخص لحياته، فهذا الشيء بدأ يتطور لدينا نحن أيضا في تلك المرحلة، أي فقدوا السيطرة على أنفسهم عند امتلاكهم هذا القدر من الأسلحة بعدما كانوا يلاقون صعوبة في تامين قطعة سلاح واحدة، فهذا المفهوم طوره صاري بارن ضمن الحركة، هذا المفهوم مازال يبرز وجوده في بعض المناطق، حتى أنه في الآونة الأخيرة وفي بعض معسكراتنا الرئيسية يتم اقتناء بعض الأسلحة الخاصة من أجل بعض الاداريين، بالطبع أن العدو لاحظ تطور هذه الظاهرة ضمن الحركة لهذا السبب هو الآخر استفاد منها، أي كان يقوم باقتناص الأشخاص الذين يحملون الأسلحة الخاصة أثناء الاشتباكات، ولكن بعد مضي فترة على هذه لاحظ الرفاق أن هذا التصرف خاطئ وينجم عنه نتائج سلبية تم التخلي عن هذا المفهوم، فهذا المفهوم هو المفهوم الذي طور التصفوية داخل الحركة وبالطبع كان مفهوما خطرا للغاية، توقفا جليا على هذا الوضع والمفهوم المتطور، كأن يتم خلق روح المسؤولية لدى جميع الرفاق مقابل القيم المادية والمعنوية التي يتم خلقها،

بالطبع حققنا بعض النتائج في حرب الخليج كما ذكرت آنفاً، وتم الاستفادة من الظروف والشروط المتطورة في تلك الفترة لتطوير الحركة وتقدمها، حيث أن ادعاء الدولة التركية التي تقول بأن هذه الحركة تطورت وتقدمت خلال حرب الخليج صحيح بعض الشيء، قمنا بتقوية الحركة من كل النواحي من ناحية الكريلا ومن ناحية السرهلدانات أيضا، حتى أن السرهلدانات التي تطورت في راأنيا في فترة الحرب تطورت من الجرأة التي اكتسبوها من حركتنا، لأن قوة الكريلا والسرهلدانات في شمال كردستان كانت تؤثر على الأجزاء الأخرى من كردستان أيضاً، حيث إنه لو لم يكن بهذا الشكل لما كان ستتطور سرهلدانات قوية بهذا الشكل حتى عند قيام الولايات المتحدة الأمريكية بمداخلة الخليج في جنوب كردستان، فهذه السرهلدانات التي تطورت في الجنوب كانت نتيجة تأثير السرهلدانات التي تطورت في شمال كردستان والحرب التي خاضتها

الكريلا، حيث أنها ساهمت في أن تكتسب المرتزقة الجرأة على القيام بالسرهلدانات ومن ثم انضم له الاتحاد الوطني الكردستاني فيما بعد، لهذا السبب لهذه الحركة دور كبير في التطورات التي حصلت في الجنوب ولا يمكن لأي أحد انكار هذا، ومن يقوم بإنكار هذا دليل على افتقاده للضمير، فالسرهلدانات التي تطورت في الجنوب كانت مرتبطة بالكامل مع السرهلدانات التي كانت تتطور والحرب الذي كانت تخوضها الكريلا في الشمال، لو لم يحدث هذا ما كان بمقدور الجنوب القيام بهذا العمل، حيث أن كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني كانا قد تركا أراضي الجنوب في عام ١٩٨٨، و في عام ١٩٩١ عندما قام صدام بالهجوم لم يكن هناك أي شخص من الحزبين المذكورين، تطور حركة المرتزقة في الجنوب لم يستند فقط إلى الثقة بالولايات المتحدة الأمريكية فهذه الثقة اكتسبوها من حركتنا، حيث قبل أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بمداخلتها أرسلنا صادق عمر وهو بدوره كان على علاقة مع هؤلاء المرتزقة في تلك الفترة، كنا نناقش مع رؤساء المرتزقة لم يكونوا سيئين، لهذا السبب فإن قيام المرتزقة بالسرهلدان في منطقة رانيا وقيام كل من صادق عمر وخالد باتمامها في منطقة زاخوا كانت نتيجة عمل ونضال حركتنا بالطبع، ربما يكون الاتحاد الوطني الكردستاني عقد علاقات معهم هناك فيما بعد وانضموا لهم، ولكن أن الثقة التي اكتسبتها المرتزقة كانت من هذه الحركة أي أن هذه الحركة اكسبتهم هذه الثقة، لأننا كنا نقوم بشرح المرحلة لهم على الدوام، كان صادق عمر لوجوده في منطقة كشان على علاقة مع المرتزقة كونه كان يتم تأمين الغذاء للعراق في هذه المنطقة بحكم الحصار المفروض عليه، فمرتزقة تلك المناطق كانوا يأتون إلى هناك والتقينا بهم جميعا وعقدنا معهم علاقات، فالجسارة التي اكتسبوها كانت مستندة إلى علاقتنا معهم ومناقشتنا معهم، أي لو لم نناقش معهم ما كان بمقدورهم خطو خطوة كهذه أبداً، ينبغي فهم كل هذه الحقائق بالتأكيد،

عند قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتلك المداخلة لم تتصور أن تقوم حركتنا من الاستفادة من هذه المداخلة، ولكن بعد قيامها بالمداخلة اتضح لها بأن حركتنا استفادت من هذه المداخلة، وحتى أنها لاحظت بأننا نقوم بتقوية وتطوير الحركة في كلا الجزئين الشمالي والجنوبي من خلال الاستفادة من هذه المداخلة فرأت أنه إن لم يتم وضع حد لتطور حركتنا في الجنوب سوف تفرض حركتنا سيطرتها على الجنوب بالكامل حيث كانت ترى هذا بكل وضوح، لأن قراءة التطورات التي كانت تجري في تلك المرحلة كانت تشير أو تتجه إلى هذه النقطة، وهذا كان يشكل خطراً وتهديدا لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية لأنها لم تقوم بالمداخلة من أجل أن يقوى حزب العمال الكردستاني، إنما كانت تسعى إلى تعظيم وابراز كل من الحزبين الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، إلا أن حزب العمال الكردستاني كان يتطور وبتقدم اكثر نتيجة الظروف والشروط التي خلقتها هذه المداخلة، وعلى وجه الخصوص في أعوام حرب الخليج أي ١٩٩١-١٩٩٢ كان حزب العمال الكردستاني يتطور بشكل ملحوظ وبات على وشك فرض سيطرته وتأثيره على كامل كردستان في كل الأجزاء وكذلك خارج الوطن أيضاً، وكانت الكريلا تقوى أكثر فأكثر وكذلك السرهلدانات أيضاً حيث كانت السرهلدانات تطور وتقدم الكريلا وكذلك الكريلا كانت تقوي وتطور السرهلدانات، وساهمت في خلق وحدة وطنية كردية، وكان نهج هذه الحركة يفرض

تأثيره على كل الأجزاء الكردستانية ويفرض حاكميته فيها، حيث كان حاكماً بالشكل التام في الشمال وكذلك في غرب كردستان أيضاً، ربما لم يكن يتطور بالشكل الكافي في شرق كردستان ولكن كان تأثيره يتطور بشكل تدريجي وكانت تخطو الخطوات في جنوب كردستان باسم PAK حتى أن تنظيمه توسع لتطال إلى دهوك والمناطق المجاورة له، بالطبع هذا التطور كان يشكل تهديداً أي انه لو لم يتم الحد من هذا التطور لربما كانت ستساهم في أن يفقد الحزبين مكانتها في المنطقة التي نشا فيها كما في المناطق الأخرى، ربما كانت هذه المرحلة أو الفترة هي أول مرة يخلق فيها وحدة وطنية كردية، فهذا التطور كان يشكل خطراً وتهديداً بالنسبة للحزبين المذكورين وكذلك بالنسبة للمستعمرين والولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، لأن هذا التطور كان يحطم التوازن المتكون على اساس تجزئة وتقسيم كردستان، وكان يهدد النظام المتشكل، حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتخذ من كردستان أساسا لها إلا أن هذه التطورات كانت تشكل تهديداً بالنسبة لها أيضاً، أي تحولت كردستان إلى أرضية مختلفة، لهذا السبب كانت تراها الولايات المتحدة الأمريكية تطوراً خطراً جداً، ومن الواجب الحد منها، حيث أن الحد من هذه التطور كان عن طريق الحرب التي اندلعت في عام ١٩٩٢ أي القيام بالمداخلة وتعتبر هذه مداخلة دولية بالنسبة لهذه الحركة،

كما هو معلوم تطورت مرحلة السرهلدانات والتي بدأتها نصيبين في عام ١٩٨٩، أي أن نصيبين هي من قادت هذه المرحلة، استشهد مجموعة من الرفاق في منطقة باكوك «بوزور حسين، سليمان أصلان ورفاق آخرين» فنصيبين تبنت هؤلاء الرفاق إلا أنه هذا التبني تحول إلى سرهلدان بعد مهاجمة العدو لهم لتحطيم هذا التبني، وتوسعت لتشمل منطقة الجزيرة بكاملها، أي انه بهذا الشكل تطورت مرحلة السرهلدانات إلى جانب الكريلا، كانت مرحلة قوية بكل معنى الكلمة، فهذه السرهلدانات ساهمت بتقوية الكريلا من كل النواحي وفي نفس الوقت اكتسبت القوة من الكريلا وقوت نفسها، فهذه ساهمت في ولادة يقظة كبيرة وخلقت شكل نضال لدى الشعب الكردي، وتحطم جدار الخوف لدى الشعب الكردي، ساهمت في خلق نهضة وخلقت تأثيراً كبيراً في كردستان وفي الاجزاء الأخرى، اكسبت الشعب الكردي معنويات وثقة ومعرفة كبيرة، لم ينحصر تأثيرها ضمن نطاق شمال كردستان فحسب إنما توسعت لتشمل جميع الاجزاء الكردستانية أيضاً، لهذا السبب بقيت هذه الحركة وحيدة في ساحة كردستان، وبهذا الشكل تحولت إلى هدف يتم استهدافه من قبل الجميع، كان هذا تطورا جديدا في تاريخ كردستان، وكانت يقظة ونهضة جديدة، كانت نهضة تستند إلى الحيوية والتجديد،

بالطبع أن تلك السرهلدانات لم تتطور من تلقاء ذاتها، فإن كانت قد تطورت في نصيبين وقامت نصيبين بقيادة هذه السرهلدانات فهي كانت نتيجة نضال القائد آبو والرفيقة «بنفش اغال» التي كانت تناضل في منطقة الجزيرة، كانت الرفيقة بنفش فتاة من الكرد الايزيديين، ولدت في ألمانيا أتت إلى ساحة القيادة تلقت فيها التدريب واتجهت إلى منطقة بوطان ومن هناك توجهت إلى جزيرة وهناك دخلت الفعاليات بين الشعب، متنت علاقتها مع الشعب في تلك المنطقة، كانت قد انضمت إلى فعاليات الشعب في غرب كردستان قبل أن تأتي إلى منطقة بوطان للتعرف على الشعب الكردي كونها ترعرعت في أوروبا، كانت رفيقة نقية جدا، فمن خلال شخصيتها ونضالها وأسلوب حياتها وأخلاقها أثرت بشكل كبير على الشعب، طورت في تلك المنطقة تنظيم الشعب، شكلت لجان، كانت تلك اللجان تقوم بإدارة النضال في تلك المنطقة وتطورها، هذه الرفيقة لم تحصر نضالها فقط في منطقة جزيرة إنما كانت توسع حلقة النضال لتشمل المناطق المجاورة لتلك المنطقة أيضاً، عقدت علاقات مع المناطق الأخرى كمنطقة نصيبين وامد وشرناخ، ربما كانت هذه العلاقات ضعيفة بعض الشيء إلا أن الدور الأساسي لعبته في منطقة جزيرة، ومن خلال العلاقات التي عقدتها مع القرى والنواحي المجاورة بدأت بخلق تنظيم هناك أيضاً، لهذا السبب أن النضال والكدح الذي قدمته هذه الرفيقة تعتبر مهمة في تطور تلك السرهلدانات، أي أن تطور تلك السرهلدانات بذاك الشكل في تلك المناطق كانت نتيجة نضال تلك الرفيقة، حيث أنه وكما هو معلوم أنها استشهدت في منطقة جزيرة، تبنى اهالي تلك المنطقة بالكامل استشهاد هذه الرفيقة وأبدوا الولاء لها، كما أن عملية استشهادها زادت من وحدة وتماسك الشعب في تلك المنطقة، وأثرت على المناطق المجاورة لها أيضاً، ففي تلك الفترة قام القائد آبو بإجراء الكثير من التحليلات والتعليمات بهذا الخصوص وكان قد أرسالها إلى الكثير من المناطق أيضاً، كان يخاطب الشعب فيها، « أنتم اصحاب هذه الحركة ولكم كل المسؤولية والمبادرة لا تنظروا الكوادر» لأن القائد كان يسعى إلى تطوير مفهوم جديد لدى الشعب، لأنه كان يقوم بالنضال بشكل مع الشعب في غرب كردستان، ويطور الشعب من كل النواحي، كان يسعى إلى أن يتوسع وينتشر هذا المفهوم ليصل إلى الشمال

أيضاً، كي يحث الشعب على التحرك على هذا الأساس، ليتمكنوا من خلق تنظيم وعمليات الشعب والسرهلدانات، طور القائد آبو تحليلاته بخصوص السرهلدانات في تلك الفترة، حيث قام بتحليل السرهلدانات التي تطورت في تاريخ الشعب الكردي واسبابه وماهية النتائج التي اسفرت عنها تلك السرهلدانات واسباب فشل او عدم نجاح تلك السرهلدانات وماهية الاسس التي ينبغي الاستناد إليها بالنسبة إلى السرهلدانات التي ستطور، وكان يعمل على ايصال تلك التحليلات إلى الشعب والكوادر، فتطور تلك السرهلدانات كانت نتيجة ذلك ولم تتطور من تلقاء ذاتها، بالإضافة إلى هذا قام القائد بإرسال بعض الكوادر إلى بعض المناطق لتطوير النضال فيها وهي الأخرى ساهمت في تطور تلك السرهلدانات أيضاً.

من المعلوم تطورت السرهلدانات وتوسعت لتشمل شمال كردستان كلها، أي أنها تطورت في كل المناطق، لهذا السبب قام العدو بالهجوم وارتكاب الكثير من المجازر وتم إبداء الكثير من المقاومات العظيمة أيضاً، وقامت زكية آلكان باضطرام النار بجسدها في نوروز، وكذلك قامت الرفيقة رهشان باضرام النار بجسدها في ازمير فكل هذه العمليات كانت تكسب الشعب الكردي روحاً وكانت تعظم الشعب الكردي وتجعله حيوياً وتغيره من الناحية الذهنية وأسلوب حياته، ينبغي فهم هذا بالشكل الجيد، فهذا يعتبر تاريخاً هذا هو التاريخ بحد ذاته، لهذا السبب بدأت السرهلدانات في أواخر ١٩٨٩ وصلت إلى ذروتها وتوسعها وشمولها في أعوام ١٩٩١-١٩٩٢، ففي تلك الفترة ارتكبت مجازر وحشية أيضاً، كي يتم الحد من تطور هذه السرهلدانات، ويقطع علاقة وترابط السرهلدانات مع الكريلا، ويتم تحطيم التنظيم المتطور بين الشعب وشل تأثيره وتصفيته، فالدولة التركية أولت أهمية كبيرة لذلك، وخطت الكثير من الخطوات ضمن هذا الإطار.

يمثل عام ١٩٩١-١٩٩٢ مرحلة هامة في تاريخ كردستان، حيث يمثل عام ١٩٩٢ مرحلة الذروة للسرهلدانات والكريلا، وتعبر عن مرحلة احياء تطورات هامة في كردستان، وخلقت بالنسبة للشعب الكردي حيوية وحياة جديدة وفي نفس الوقت تعبر عن معايشة خطر كبير ينبغي الحد منه، لأن القائد بالاستناد إلى تلك التطورات سعى إلى تشكيل حكومة الحرب أيضاً، أجرى تحليلات بهذا الخصوص وطرح التوجيهات بهذا الخصوص أيضاً

في تلك المرحلة، حيث أشار إلى ضرورة تشكيل برلمان وحكومة للحرب لأن التطورات التي كانت تعاش في تلك المرحلة كانت قد وصلت إلى تلك السوية، لهذا السبب قام القائد آبو في تلك المرحلة بمناقشة تشكيل حكومة للحرب، أي ماهية الأسس التي ينبغي أن تستند لها هذه الحكومة، لم يكتفي القائد بالنقاش حولها إنما طور وطرح التحليلات والتوجيهات المتعلقة بها أيضاً، والعدو لاحظ هذا أيضاً،، لأن نهج هذه الحركة ستفرض نفسها على كردستان بكاملها، وستتحول كردستان إلى أرضية لثورة شعوب المنطقة، وهذا بدوره يشكل تهديدا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وبالنسبة للاستعماريين والخونة المتواطئين الكرد أيضاً، لهذا السبب من أجل الحد من هذه التطورات تم استهداف فعالياتنا في الجنوب بشكل قوي، أي اعتداءات كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني التي كانت تساندها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والدولة التركية.

تشكل في تلك الفترة برلمانا في جنوب كردستان، اتخذ هذا البرلمان قرارا وحيداً لا غير ألا وهو الحرب ضد حزب العمال الكردستاني، وكان لجلال الطالباني دوراً رئيسياً في اتخاذ البرلمان لهذا القرار، كانت للأطراف الأخرى أيضاً جهود تنصب في هذا المحور إلا أن الذي سعى وعمل على أن يقوم هذا البرلمان باتخاذ هذا القرار كان جلال الطالباني، هناك وثائق تدل وتكشف عن هذا العمل، فمن أجل أن تقبل الدولة التركية هذا البرلمان المتشكل التقى جلال الطالباني مع حكمت جتين عندما كان الأخير وزيراً للخارجية التركية في استراليا، عقدوا اجتماعا هناك وعلى اثر هذا الاجتماع صرح جلال الطالباني بأن حزب العمال الكردستاني حزب إرهابي، فجلال الطالباني كان أول من اتهم حزب العمال الكردستاني بالإرهاب، لأنهم كان قد اتفقوا بان تقبل الدولة التركية البرلمان

المتشكل في هولير وأن يقف هو الآخر ضد حزب العمال الكردستاني، لهذا السبب اتخذ هذا البرلمان هذا القرار، فهذا البرلمان لم يتخذ أي قرار سوا هذا القرار وطبقه على أرض الواقع ومن ثم تشتت هذا البرلمان أي انه كان القرار الوحيد الذي اتخذه هذا البرلمان، قبل أن تندلع الحرب بقرابة شهر عقدنا مع حكومة الإقليم وبرلمانه اجتماعا وتوصلنا إلى قرار ألا وهو أن لا نقوم بمداخلة أعمال الجنوب وبالمقابل أن لا يتدخلوا هم أيضاً بأعمالنا، وان لا نسمح للمستعمرين بخلق الفتن بين الحركات الكردية، وأن نقوم بحماية بعضنا البعض، وان نقدم المساعدة والدعم لبعضنا البعض، عقد الاتفاق على هذا الأساس، وكنا نعتقد بأنهم سوف يتحركون ضمن إطار هذا الاتفاق، ولم يخطر ببالنا أن يشنوا الحرب علينا، لهذا السبب لم نقم بأي تحضيرات من أجل الحرب، وفي الخامس من شهر اكتوبر شن كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني والدولة التركية حملة في كل من منطقة خاكوركى وزاب وخفتانين، اتضح لنا بانهم عقدوا هذا الاتفاق لخداعنا، ليشنوا الحرب علينا ونحن في غفلة في أمرنا وفي الحقيقة حصل هذا، عند رؤيتنا قيامهم بالتمركز في الكثير من المواقع وقاموا بمحاصرتنا من كل النواحي حينها أدركنا هذا، كنا محاصرين من الجنوب من قبل الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني والى جانبه الدولة التركية وفي الشمال أيضاً كانت الدولة التركية تقوم بسد الحدود أمامنا، كان وضعا خطراً، لم نتوقع هذا ولم نتخذ أية تدابير بهذا الخصوص، حيث لم نجهز قواتنا من أجل هكذا وضع من الناحية العسكرية وحتى من الناحية اللوجستية.

كنت في هذه الفترة في منطقة متينا، أي عندما أتى الرفيق جمال إلى منطقة حفتانين انتقلت إلى متينا بتوجيه من القائد، كي نقوم بأعمال انشاء المعسكر الأساسي في منطقة متينا وليس حفتانين وبالإضافة إلى هذا التحضير لأنشاء حكومة الحرب، لهذا السبب توجهت إلى منطقة متينا، عندما بدأت الحرب كنت في متينا، ففي تلك المنطقة كنا قد بدأنا ببعض الأعمال من جديد، كنا نسعى إلى تحضير مكان الحكومة أيضاً حيث كنا بدأنا بتجهيز كهف من أجل هذا الغرض، فالقوات التي كانت هناك كانت قرابة ١٢٠ شخص فكانوا جميعا مقاتلين جدد سوى مجموعة صغيرة مؤلفة من خمسين شخص كانت لها القدرة على المحاربة، كنت قد اصطحبتهم معي من حفتانين لمتابعة الفعاليات التدريبية هناك، تجمعت فوة كبيرة قرابة ١٢٠٠ رفيقاً في منطقة حفتانين كان معظمهم مقاتلين جدد، قسم منهم كانوا قد انهوا تدريباتهم، وقسم منهم كانوا يتلقون التدريب وقسم منهم لم يتلقوا التدريب، كانت عمليات الانضمام كثيرة في تلك الفترة وكانت على شكل مجموعات، لهذا السبب اصطحبت معي قرابة خمسين رفيقاً كي نقوم معا بتلك التحضيرات ومن ناحية أخرى كي يقوموا بالفعاليات التدريبية، فقوتنا النوعية الأساسية كانت في جوقورجا والأخرى في خاكوركى، فكانت القوات القديمة كلها في الجنوب ولم يكونوا في الشمال، لهذا السبب كانت هناك قوات قديمة ذات خبرة ومقاتلين جدد أيضاً، خاكوركى كانت تقوم باستقبال القوات من منطقة سرحد حيث كانت تبقي قسم منها في خاكوركى وتقوم بإرسال الأخرى إلى جقورجا ونحن أيضاً كنا نقوم بإرسال بعض المقاتلين الجدد إلى منطقة جقورجا ليتلقوا التدريب هناك أيضاً، في تلك الفترة كنا قد نظمنا أنفسنا على شكل معسكرين او مقرين رئيسين، في البداية كان هناك معسكر رئيسي واحد ولكن بعد عمليات الانضمام وتلك التطورات، وسعنا شكل التنظيم على شكل معسكرين رئيسين، إحداهما في خاكوركى والأخر في حفتانين، ففي الأساس كان المعسكر الموجود في حفتانين هو الرئيسي والموجود في خاكوركى كان مسؤولا عن مناطق زاغروس وسرحد بالكامل، ربما كان معسكراً تابعاً للمعسكر الرئيسي ولكنها كانت بمثابة المعسكر الرئيسي أيضاً، لهذا السبب كان هناك وجود للقوات القديمة لعدم تمركزها في الشمال اما بالنسبة إلى حفتانين فالقوات النوعية كلها كانت في الشمال، عندما بدأت حرب ١٩٩٢ كان وضعنا بهذا الشكل، كانت هناك قوة كبيرة في خاكوركى وأخرى في جقورجا وأخرى في حفتانين، وفي تلك المرحلة كانت ثلث قواتنا في الجنوب تقريباً، فالقوات الأخرى كانت في الشمال موزعة على الايالات، عند قيامهم بالحملة ضدنا لم يقوموا بعد بمهاجمة متينا بالشكل الكامل ولكن كانوا قد قاموا بمحاصرة والدخول في كل من منطقة حفتانين وخاكوركى، وبعض المناطق في جقورجا، عقدنا اتصالاً مع تلك المناطق لأنه كان هناك تحركات في متينا أيضاً حيث كانوا قد جمعوا القوات في منطقة كانيا ماسي تحضيراً للهجوم على متينا، لأنهم كانوا على علم بأننا نسعى إلى إنشاء معسكر رئيسي هناك أيضاً، لهذا السبب أن الهجوم على تلك المنطقة كان شديداً، لم تكن كالمناطق الأخرى، إلا أن قوتنا في تلك المنطقة لم تكن كبيرة كانت بحدود ١٢٠ رفيقا فقط، قمنا بإخراج الرفاق القادرين على القتال من بين الرفاق

ووكلت فرهاد بان يشرف على هذه المجموعة، وأشرت أن بإمكانهم التوجه إلى جقورجا في تعرضوا لصعوبات، ففي قلعة كومرية كانت لنا وحدة هناك أيضاً، اصطحبت الرفاق الباقيين معي إلى تلك المنطقة لإعلامهم على أن يستعدوا ويتخذوا التدابير اللازمة، ومن هناك توجهت إلى حفتانين، لأن الرفيق جمال هو الآخر كان قد أتى إلى تلك المنطقة منذ فترة وجيزة لا تتجاوز الثلاثة أشهر، لأنه عند عقدي الاتصال مع الرفيق جمال هو الأخر أشار إلى حضوري إلى تلك المنطقة أن لم يكن هناك اية مشكلة في تلك المنطقة، لهذا السبب اتخذت هذا التدبير، توجهت إلى حفتانين، لم تنضم جقورجا إلى هذه الحرب أبداً، اما بالنسبة إلى منطقة خاكوركى دخلت الحرب لفترة ومن ثم توقفت عنها من دون علمنا، حيث قام فرهاد باللقاء مع الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني باسم حزب العمال الكردستاني، وأبرم اتفاقا معهم، هذا الاتفاق كان اتفاق الاستسلام، لم يكن لنا علم بهذا أيضاً، أي انهم بعد قيامهم بهذا قاموا بإعلام القائد والقائد هو الذي أخبرنا بهذا، حينها علمنا بان الحرب توقفت في منطقة خاكوركى وتم توقيع اتفاق، على أن نقوم بإفراغ الحدود كلها والتوجه إلى منطقة زلى.

منطقة حفاتنين هي المنطقة التي خاضت حرب ١٩٩٢ حتى النهاية، وبالفعل خاضت حرباً عظيمة، بالرغم من أن قواتها كانت تتألف من المقاتلين الجدد يفتقدون إلى الخبرة والتجربة إلا أنهم تأقلموا بشكل جيد مع طبيعة الحرب، وبالفعل كان الرفاق يحاربون بشجاع ، كانت الدولة التركية تستخدم كل الأسلحة من طائرات هليكوبتر مدافع ودبابات وكذلك الأمر بالنسبة إلى الاتحاد الوطني الكردستاني والديمقراطي الكردستاني كانا يستخدمان كل طاقاتهم، إلا أنهم لم يستطيعوا دخول منطقة حفتانين، فجغرافية الجبال كلها كانت تحت سيطرتنا، أردنا أن ننظم أنفسنا ضمن هذه الحرب، من حيث توزيع المواد الغذائية وتنظيم الرفاق المتواجدين هناك على هذا الأساس، بالطبع تم معايشة مصاعب جمة في البداية ولكن بعد مضي فترة تم فرض الحاكمية بعض الشيء، لم يستطيعوا الدخول، تم ابداء مقاومة عظيمة، كنا نسعى لإيجاد طريقة لنقل الحرب إلى منطقة جيا سبي وزاخوا لتوسيع دائر الحرب، وكنا على ثقة تامة بقدرتنا على فعل هذا، حتى أننا كنا نقوم بتحضير بعض المجموعات الصغيرة للتسلل من خلفهم لتطبيق حرب الكريلا، لنلحق بهم بعض الضربات من الخلف أيضاً لكسر وفك هذا الحصار، لإخراج بعض القوات إلى منطقة زاخو وجياي سبي، وان أمكن الوصول إلى كارى، لتوسيع دائرة الحرب، ففي تلك الفترة بالتحديد عقد القائد اتصالاً معنا وشرح لنا الوضع أي أنه من الواجب ايقاف الحرب والتحرك وفق ذاك الاتفاق الذي أبرمه فرهاد، حتى تلك الفترة لم نكن نعلم بهذا الخبر، سعينا لإيجاد طريقة لأقناع القاعدة يهذا القرار، حيث كانت تشكل هذه المشكلة الأساسية بالنسبة لنا، لأننا كنا قد اشرنا إلى الرفاق إلى انه سوف نحارب وسوف نستمر بالحرب حتى النهاية وسوف نوسع دائرة الحرب اكثر، ففي الفترة التي كنت تدعوا فيها إلى هذا كيف بإمكانك فجأة بان تطلب منهم ايقاف الحرب، بالإضافة إلى هذا قدمنا بعض الشهداء أيضاً والجرحى، وهذه زادت من حقد ونقمة الرفاق تجاه الحزب الديمقراطي، فمن الصعب أن تقوم بإقناعهم على القبول بهذا الوضع، حتى تلك الفترة لم نعاني من اية مشكلة جدية، ربما عانينا بعض الصعوبات من ناحية معالجة الجرحى لنفاذ الادوية، لم نكن نستطيع تأمينها في ذلك الوسط، هذا كان يساهم في زيادة حقد ونفور الرفاق أكثر أيضاً، فهذا كان السبب الهام في خوضهم الحرب بجسارة كبيرة وقوة، لم يكونوا يهابون أي شيء،

عند اتخاذنا هذا القرار عقدنا اجتماعاً لبحث طريقة اقناع الرفاق بهذا القرار، كي لا يؤثر عليهم بشكل سلبي، والنقطة الثانية كانت في أخذ التدابير كي لا تتعرض لضربات اخرى اقوى، صحيح تم ابرام اتفاق ولكن أن كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني والدولة التركية لا

تعيران أي اهتمام بهذا الاتفاق، على العكس كانت تزيد من حدة هجماتها أكثر، أي أنهم بالقوة التي اكتسبوها من هذا الوضع أي بقاء منطقة جقورجا خارج دائرة الحرب وقيام خاكوركى بإبرام اتفاق الاستسلام، زادوا من حدة هجماتهم على منطقة حفتانين، فبالرغم لتعرضهم لضربات كبيرة إلا أنهم كانوا يعاندون في الدخول ضمن مناطقنا، لم يكونوا يأبهون بالخسائر التي تلحق بهم، لأنهم اكتسبوا الجرأة من اتفاق الاستسلام الذي ابرمه فرهاد معهم،

عقدنا الاجتماع كي ننقل هذا القرار إلى الرفاق بطريقة ما، كنا نعلم وبكل تأكيد انه سوف يؤثر بشكل سلبي على معنويات الرفاق، وسوف نتعرض لضربات أيضاً، لهذا السبب كنا نبحث عن سبل نتفادى فيها التعرض لضربات او تقليص هذه الضربات، والنقطة الثانية كانت البحث عن طريقة لإخراج الرفاق الجرحى من تلك المنطقة لعلاجهم، فبعض الجرحى كان لهم القدرة على المشي والبعض الآخر لا، كان يجب نقلهم عن طريق الأسدية، درسنا الوضع وسعينا إلى تطوير مخطط حينها قلت في ذاك الاجتماع حتى وان تم ابرام اتفاق لا يمكن الوثوق بهؤلاء، حيث أن الوضع واضح فهم لا يتراجعون عن أي هجمة على العكس تماما زادوا من حدتها أكثر، وان هؤلاء لا يعترفون ويقبلون بأي اتفاق، انهم يريدون الاستفادة من هذا لإلحاق ضربات بنا، لهذا السبب علينا أن لا نسلم أي رفيق اليهم حتى وان كان جريحاً، قلت هذا كي يستخدم الرفاق كل امكانياتهم من أجل اخراج الرفاق الجرحى من تلك النقطة بسلام.

بالطبع وضعنا مخططاً على أن يقوم الرفيق جمعة برليكي بأخذ مجموعة معه متوجهاً إلى جودي حيث كانت المجموعة تضم أكثر من ٢٥٠ رفيقاً، ويصطحب الرفيق جمال مجموعة معه بالإضافة إلى الرفاق الجرحى نحو جياي سبي لإخراج هؤلاء الرفاق الجرحى إلى سوريا، وأنا اتوجه إلى الشمال برفقة مجموعة إلى منطقة تنين، وعلى مجموعة أن تتمركز على جميع تلال كاشيشى حتى خروج تلك المجموعات من تلك المنطقة لحماية الرفاق اثناء خروجهم من المنطقة، فبعد أن يتاكدوا من خروج كل المجموعات بإمكانهم الخروج من بعض التلال والتمركز ضمن المنطقة، طورنا المخطط على هذا الاساس، بالإضافة إلى هذا أن المخطط الثاني الذي اتخذناه أساسا لنا هو أن لا نترك او نخلي هذه المنطقة بالكامل، مهما يكن شكل الاتفاق لن نقوم بإخلاء هذه المنطقة بالشكل الكامل، لهذا السبب وفي تلك الظروف قررنا تشكيل بعض الوحدات وحدات نوعية التي لها القدرة على المحاربة والتحرك في كل الظروف والشروط والبقاء في تلك المنطقة مهما كانت الشروط والظروف، اي أن تتكون هذه الوحدات من رفاق نوعيين، لأنه سوف يتم معايشة وملاقاة مصاعب جمة، لأن اخلاء المنطقة والتوجه إلى زلى تشكل خطراً كبيراً بالنسبة لنا، لهذا السبب لم نقبل هذا الاتفاق، كان الرفيق جمعة برلكي مع مجموعته توجه إلى منطقة جودي، ونحن توجهنا إلى كشان لنعبر من خلالها إلى منطقة تنين حيث كانت المجموعة التي سأوصلها إلى تلك المنطقة الأكبر، كنت قد قمت بإيصال تلك المجموعة إلى تلك المنطقة وتمركزنا هناك، إلا أن الرفيق جمال حاول العبور بين منطقتين باطوفا وكيري إلا أنه لم يستطيع العبور، حيث كانت مجموعتهم ثقيلة الحركة لوجود الرفاق الجرحى معهم، دخلوا الاشتباك إلا أنهم لم يستطيعوا كسر الحصار والعبور، لهذا السبب عادوا ولأنهم لم يستطيعوا العودة إلى مكانهم السابق هم أيضاً توجهوا إلى منطقة كشانى، عانوا مصاعب جمة في الطريق لهذا السبب تركوا بعض الرفاق الجرحى ذوي الجراح البالغة في مكان آمن على الطريق، فيما بعد قمنا بإرسال بعض المجموعات من أجل إحضار هؤلاء الرفاق، قمنا بإعادة توزيع الرفاق في تلك المنطقة، ولا سيما كنا قد اعلمنا تلك المجموعة التي كانت تتمركز في منطقة ديرا شيشى بان يتركوا تمركزهم بعد خروج المجموعة من المنطقة في حال تعرضهم لضربات قوية كي لا نتعرض للخسائر، هم أيضاً قاموا بترك بعض الخنادق والمناطق، بالإضافة إلى تحطم معنويات الرفاق أن هذا التوتر ساهمت في تعقيد المسالة أكثر، ففي تلك الفترة عايشنا مخاطر كبيرة والخسائر الأساسية تم تقديمها في تلك المرحلة حيث أنه في تلك الفترة تعرضنا لأشد الهجمات بالطائرات والمدافع والدبابات بالإضافة إلى البيشمركة أيضاً.

عقدنا اتصالاً مع القائد مرة أخرى وأشرنا إلى عدم التزامهم بالاتفاق وانهم يقومون بالمناورة، واننا سوف نستمر، على اثرها كان قد قام القائد بالمداخلة عن طريق فرهاد لأنه هو الذي أبرم الاتفاق مع الحزب الديمقراطي الكردستاني كي يلتزموا بالاتفاق، بعد هذه المداخلة قام الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني

الكردستاني بفتح ممر في كشانى كان ممراً ضيقا كي تمر قواتنا من هناك إلى زلى حيث أن الاتحاد الوطني الكردستاني اشار إلى انهم يتكفلون المسؤولية ولن يسمحوا للحزب الديمقراطي الكردستاني والدولة التركية بعمل أي شيء، أي انهم اشاروا إلى انهم قاموا باتخاذ كل التدابير الواجبة من أجل استلام الرفاق ونقلهم إلى زلى بشكل سليم، حينها اتخذنا قرارا بان يتم ارسال الرفاق المرضى والجرحى والمقاتلين الجدد إلى منطقة زلى، ففي تلك الفترة قمنا بإرسال قسم من الرفاق، قمنا بترك خمس وحدات في مكان تمركزها والقوة الأخرى خرجنا إلى الشمال، حيث خرج الرفيق جمعة برلكي عن طريق جبل جودي وأنا من منطقة تنين، بالطبع عند خروجنا إلى تنين تعرضنا لعاصفة مطرية كان في اواخر الخريف في الشهر الحادي عشر، ومن ثم تعرضنا لعاصفة ثلجية أيضاً، فهذه الأخرى أثرت على معنويات الرفاق بشكل كبير، لاقينا صعوبات جمة حتى وصولنا إلى كلا ممى، بالطبع أن كل من الجوع والبرد والافتقاد إلى المعنويات أثرت على الرفاق بشكل كبير، فالافتقاد إلى المعنويات كانت المشكلة الاساسية لأنه يمكن للمرء تحمل التعب والجوع والبرد، إلا أنهم لم يكن بمقدورهم قبول هذا الوضع، حتى كانوا يسألون لما لم تستمروا بالحرب، ولا سيما كانت المبادرة بأيدينا وكنا نبدي مقاومة عظيمة ولم ندعهم يدخلوا مناطقنا أبداً، كان من المفروض أن نوسع دائرة الحرب لتشمل المناطق التي تقع خارج حفتانين أيضاً.

بالطبع قبل أن نتوجه إلى تلك المنطقة كنت عقدت اتصالاً مع بوطان وأعلمته بحضورنا إليهم برفقة مجموعة كبيرة كي يتخذوا التدابير الواجبة اتخاذها من أجل سلامة الطريق، وأن يقوموا بتأمين المواد الغذائية أيضاً، فالرفاق كانوا قد قاموا بتحضير بعض الأمور، بتلك التحضيرات وصلنا إلى منطقة بستا، ولم نقدم اية خسائر في الطريق في تلك الفترة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرفيق جمعة برليكي أيضاً، أي خرجت كل المجموعات التي كان من المقرر خروجها من تلك المنطقة وبقيت الوحدات التي تم الاتفاق على أن تبقى في المنطقة أي لم يتم ترك المنطقة، كما أخبرنا كل من منطقتي جقورجا وخاكوركى بأن لا يتركوا المنطقة، ففي تلك المناطق أيضا قام الرفاق بإرسال بعض المجموعات إلى زلى وتمركز قسم منها في المنطقة، أي اننا لم نقم بإفراغ الحدود أبداً، لأننا لو قمنا بذلك كان سوف يشكل لنا تهديدا وخطراً كبيراً.

كان الهدف من تلك الحرب كسر وتحطيم إرادة الحركة كي يتمكنوا من فرض الاستسلام عليها، لم يستطيعوا كسر إرادتنا ولكن خلقوا عوائق كثيرة أمام الحركة بتلك المداخلة، وبهذا الشكل ألحقوا ضربة قوية بالحركة من هذه الناحية، أي لو لم يقوموا بتلك المداخلة لما كنا سنعايش المشاكل التي نحييها الأن، أن كنا نعايش هذه المشاكل في يومنا الراهن فللمداخلة التي تمت في عام ١٩٩٢ لها النصيب الأكبر في ذلك، لهذا السبب أن كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني مذنبين في هذا الموضوع، من الواجب أن لا يتم نسيان هذا ابداً، أي لو يقم كل من الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني بتلك الخيانة في تلك الفترة لما كان بمقدورهم إعاقة والحد من تلك التطورات في تلك المرحلة، وكان سيساهم في أن يتغير مصير الشعب الكردي في يومنا الراهن، كان سيتم إحياء وضع مختلف في كردستان، هذه حقيقة، أن كنا نعاني من هذه المشاكل والآلام في يومنا الراهن هي مرتبطة بالحرب التي اندلعت في عام ١٩٩٢ وبخيانة كل من الديمقراطي الكردستاني الاتحاد الوطني الكردستاني، من الواجب على كوادر هذه الحركة وعلى الشعب الكردي أن لا ينسى هذه الحقيقة أبداً، ربما كان الحزب الديمقراطي الكردستاني والدولة التركية هما اللذان يقوما بالمحاربة، ولكن القوى التي كانت تساندها وتقدم المساعدة لهم كانت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو، فتلك المداخلة كانت مداخلة حلف الناتو والولايات المتحدة الأمريكية، كانت مداخلة دولية وكانت تهدف إلى الحد وإعاقة هذه التطورات، وإلحاق ضربات بهذه الحركة، وكسر إرادتها، وفرض الاستسلام عليها، حققت هذه المداخلة قسماً من أهدافها ولم تحقق قسماً منها، نعم حدت من تطور التطورات الحاصلة، ولكنها لم تنجح في تحطيم وكسر إرادتنا، لم يستطيعوا فرض الاستسلام علينا، ولكن استطاعوا أن يفرضوا الاستسلام على فرهاد، حيث كان قد فقد ثقته بالاشتراكية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، لهذا السبب فقد ثقته بالقائد، في حرب عام ١٩٩٢ فقد ثقته بالكريلا والشعب الكردي وحزب العمال الكردستاني تماماً، لهذا السبب قام من دون علم الحركة والقائد بعقد اتفاق معهم، أي أن فرهاد بدأ يثق بالولايات المتحدة الأمريكية وجلال الطالباني ومسعود

البرزاني، وكان يرى في نهجهم وقيادتهم الحل، وليس في نهج القائد آبو وحزب العمال الكردستاني والكريلا، حيث كان قد كتب بعد الخيانة التي ارتكبها أن مشكلته مع القائد بدأت بعد عام ١٩٩١ هذا صحيح؛ إلا أنه هناك بعض النقاط الناقصة، أن مشكلته بدأت في عام ١٩٨٦ في المؤتمر الثالث، أي في تلك الفترة تولد رد فعله مقابل القائد آبو، ردة الفعل هذه تطورت في عام ١٩٩١ حيث فقد ثقته بالاشتراكية والقائد آبو، وفي عام ١٩٩٢ وصلت إلى ذروتها لهذا السبب قام بهذه الخطوة في حرب عام ١٩٩٢، لهذا السبب عند ذهابه إلى زلى تصدى للقائد آبو، كان يقول أنه على صواب وان القائد آبو هو المخطئ في هذا الموضوع، وقال من الواجب أن اصبح قائد هذه الحركة والحزب، حتى أن كل من جلال ومسعود والاعلام التركي بداوا بمساندة هذا الطرح أي أن الحل لا يكمن في النهج الذي يتبعوه القائد آبو وحزب العمال الكردستاني والكريلا، وبهذه الطريقة دفعوا به لأن يقوم بمواجهة القائد بشكل واضح، لم يكن له تلك القوة حيث كان يسعى إلى هذا عن طريق القوة التي كان يكتسبها من كل جلال الطالباني ومسعود البرزاني، فهم كانوا يمثلون قوة فرهاد حيث أنهم من حثوا فرهاد على أن يقوم بخطو تلك الخطوة، ظناً منه أن هذه الحركة بعد هذ الحرب ليس لها القدرة على لم شملها ومتابعة المسيرة والنضال من جديد، كان يظن أنه استند إلى قوة كل من جلال ومسعود له القدرة وبكل سهولة السيطرة أو إخضاع الحزب لسيطرته، هذه كانت حسابات فرهاد، لهذا السبب تصدى للقائد في تلك الفترة، وكان حساب جلال ومسعود أن يحققوا الأهداف التي لم يحققوها في حرب ١٩٩٢ عن طريق فرهاد، ألا وهي تحريض فرهاد ضد القائد وإخضاع القوة التي تم حشدها في منطقة زلى لسيطرة لفرهاد وتقديم المساعدة لفرهاد من كل النواحي لتمكين دور فرهاد ضمن هذه الحركة وافقاد تأثير القائد آبو على الحركة، ليتمكنوا عن طريق فرهاد نيل الانتقام من القائد آبو، كي يتمكنون من فرض نهجهم وقيادتهم في كردستان، هذا كان هدفهم الأساسي.

بالطبع هم كانوا يعتقدون أن تم سحب كل قواتنا في الجنوب إلى زلى وتعتبر قوة كبيرة ويمكن استخدامها كورقة ضغط على القائد آبو، لأنهم كانوا يعلمون وبشكل جيد أن القائد لن يتخلى عن هذه القوة، فبهذا الشكل ستسفر تهديداتهم عن نتيجة، فهذه كانت حساباتهم، لهذا السبب أن عدم قبولنا بإرسال كل قواتنا إلى هناك وافراغ الحدود بالشكل التام وقيامنا بترك بعض الوحدات في تلك المنطقة ونقل الأخرى إلى الشمال، كان لها الفضل في عدم وقوعنا في هذه اللعبة القذرة وإفشالها، بالطبع في تلك الفترة خاض القائد آبو نضال عظيماً لإفشال هذه اللعبة، حيث بذلك جهوداً في البحث عن كيفية إفشال لعبتهم هذه وإفشال تهديداتهم، وطريقة لإخراج الحركة من هذا الخطر والمأزق.

إن هذا الوضع ساهم في فتح الطريق أمام ظهور وولادة الكثير من المفاهيم وظهور حالة من الفوضى أيضاً، لهذا السبب لكي يستطيع القائد الحد من هذا الوضع طور آلية النقد والنقد الذاتي في كل المناطق والساحات، أي عقد اجتماعات بالاستناد إلى آلية النقد والنقد الذاتي للحد من تطور هذا الوضع، ولخلق الوحدة ضمن الكوادر والحزب، والحد من حالة التشرذم والتشتت، ولكي لا تصل تهديدات جلال ومسعود إلى أية نتيجة، فالمرحلة كانت خطرة من ناحية الحالة التي كان يعيشها الكوادر ومن الناحية الأخرى التهديدات التي كان يوجهها الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني ومن ناحية أخرى الخطوات التي كان يخطوها جلال عن طريق فرهاد، فالقائد آبو لم يسمح لمعايشة تلك المخاطر أي أنه حد من هذا عن طريق تلك الاجتماعات المستندة إلى آلية النقد والنقد الذاتي، وتم إحياء لم شمل الحركة من جديد، عقدت تلك الاجتماعات على مستوى الكونفرانسات، في كل من حفتانين، جفورجا، وخاكوركى وبوطان، فمن خلال تلك الاجتماعات تم الحد من تطور هذا الوضع أكثر والافتقاد إلى المعنويات واليأس والافتقاد للثقة، ومن ثم توقف القائد على وضع فرهاد، وتصدى لتلك التهديدات التي كانوا يوجهونها للحركة، فعندما توقف القائد على وضع فرهاد وضغط عليه فإن فرهاد لم يكن يمتلك القوة لمواجهته لذا فر إلى إيران، وطلب منها اللجوء السياسي بشكل رسمي.

البنية الحقوقية في روج آفا

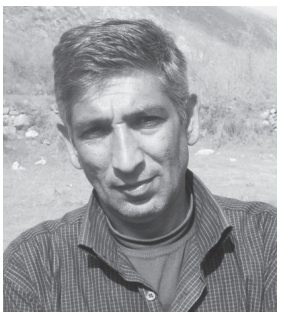

في البداية علينا أن نعطي تعريفاً صحيحاً لمصطلح (الحقوق) حيث يحوم حولها الكثير من الغموض، فعندما يجري الحديث عنها, يتخاطر في أذهان الناس أن الحقوق هي إطار أو صيغة شرعية للكل بما في ذلك المجتمع. مع العلم أن مصطلح (الحقوق) هو خدعة من اختراعات مؤسسة الدولة، والسبب هو محاولة الدولة شرعنة نفسها عن طريق الحقوق. ومن هذا المنطلق يمكن القول بسهولة: إن الحقوق هي أداة لشرعنة مؤسسة الدولة وممارساتها القمعية ضد المجتمع. فعلاقة الحقوق والدولة علاقة تناسب طردي مع بعضهما، كلما تمكنت الدولة من الوصول إلى مستوى من التحكم والسيطرة رتبت صيغاً أو أطراً حقوقية ناضجة متناسبة مع قوتها وتحكمها وهيمنتها. ففي عهد الملك (أورنامو) أبدع السومريون مواداً حقوقية متناسبة مع هيمنتهم وسيطرة مؤسستهم حسب تلك المرحلة من مراحل تطور مؤسسة الدولة. قبل الميلاد بنحو ٢٣٠٠ سنة تمكن السومريون من إبداع المواد الحقوقية المتناسبة مع نضوج هيمنة الدولة وذلك لضمان شرعنة مؤسستها وتمكين هذه المؤسسة من فرض نفسها على المجتمع بسهولة أكثر عن طريق المواد القانونية. ولكن الحملة الكبيرة للإبداع الحقوقي كانت في مرحلة الدولة البابلية، وفي عهد الملك الحقوقي المشهور (حمورابي) حيث تمكن قبل الميلادِ بقرابة ١٧٥٠ سنة من تطوير مواد حقوقية شاملة تقريباً في تلك المرحلة و متناسبة مع نضوج وسيطرة الدولة وتحكمها بكل مقدرات المجتمع. المواد الحقوقية التي أعطت الشرعية لثنائية السيد والعبد- أو لثنائية الملك الإله والعبد المأمور- والمتجانسة في نفس الوقت مع فكرة -الفاعل والمفعول- أو الذات الفاعلة والموضوع (المفعول به) والذي لا حول له ولا قوة ولا يملك الإرادة كانت الجوهر الأساسي والحقيقي لحملة حمورابي الحقوقية. هذه الثنائية أبدعها الرهبان السومريون وزرعوها في ذهنية المجتمع كقانون إلهي مقدس يجب القبول بها، وتحولت هذه الثنائية إلى آيات إلهية مقدسة على يد (أورنامو) ومن ثم على

يد حمو رابي. جميع الثنائيات الآنفة الذكر تعتبر الركن الأساسي للذهنية الحقوقية التي تطورت في المرحلة العبودية من مؤسسة الدولة. بمعنى آخر، تحولت المواد الحقوقية والقانونية إلى آيات إلهية لا يمكن مناقشتها ولا الاجتهاد فيها ولا النقاش عليها بقصد إعطاء الشرعية للنظام العبودي و مؤسسة الدولة المبنية على أساس ثنائية -الحاكم والمحكوم- من الناحية الجنسية ومن الناحية الطبقية ومن النواحي القومية والمذهبية والدينية بعد ذلك.

إذا سألنا السؤال التالي: كيف تمكن الرهبان السومريون الذين اخترعوا مؤسسة الدولة من إفساح المجال أمام هذه المواد الحقوقية والقانونية على يد (أورنامو) وبعد ذلك على يد (حمورابي)؟ للإجابة على هذا السؤال يجب التطرق لمسألة أساسية وهي الأخلاق الاجتماعية. دون تصفية الأخلاقيات الاجتماعية العريقة لا يمكن تطوير الحقوق التي تعطي الشرعية لمؤسسة الدولة وبنفس الوقت للسيطرة والهيمنة والقمع والتحكم والاستغلال والمجازر الجماعية. لماذا؟ لأن مؤسسة الدولة تطورت على أساس تحويل المجتمع إلى قطيع، أي مفعول به, وتحويل الراعي أو الملك الإله أو السيد إلى صاحب لهذا القطيع، بمعنى إلى الفاعل و الذات الفاعلة. وحتى تستطيع هذه المؤسسة الوصول الى مبتغاها، لابد لها من تصفية الأخلاق الاجتماعية من الصداقة والجيرة والتعاون والتضامن والتسامح والتجانس والوئام بين أفراد المجتمع، أو تفتيت المجتمع.

تعتبر الأخلاق الإسمنت المسلح للمجتمع، وحتى تتمكن الدولة من تفتيت المجتمع وتحويله إلى قطيع مجرد من هذه الأخلاقيات يجب كسر الإسمنت المسلح الذي يربط بين أفراد المجتمع وشرائحه المتعددة حتى تستطيع تفريقه وتفتيته وبالتالي تحويله إلى قطيع لا حول له ولا قوة, فلا بد من القضاء على أخلاقية المجتمع. نقطة الانطلاق والخطوة الأساسية على طريق إبداع الحقوق هي القضاء على الأخلاق الاجتماعية العريقة. الأخلاق الاجتماعية هي القانون أو الحقوق غير المدونة للمجتمع وهي في نفس الوقت الذاكرة السياسية للمجتمع والمرتبطة بالإدارة الاجتماعية. كان المجتمع يمتلك إدارة وإرادة عن طريق ذاكرته السياسية بمعنى عن طريق أخلاقياته، ولتصفية

هذه الذاكرة السياسية لا بد من اغتصاب الإدارة الاجتماعية وتصفية الإرادة الاجتماعية الحرة للوصول إلى نقطة مفادها تصفية الوعي الاجتماعي برمته، وبالتالي تحويل المجتمع إلى جموع من العبيد يتلقون الأوامر وينفذونها إما بالقمع أو عبر تشريع السيطرة والهيمنة في أذهانهم.

هناك تناسب طردي بين تطوير المواد الحقوقية وتصفية الأخلاق الاجتماعية، فكلما تمكنت الدولة من تصفية الأخلاق الاجتماعية كلما تمكنت من تشريع نفسها عبر المواد الحقوقية, وكلما تمكنت الدولة من تطوير المواد الحقوقية كلما استطاعت الوصول إلى نتيجة مفادها تصفية الأخلاق الاجتماعية العريقة، فالمجتمع ومن خلال قوانينه الطبيعية غير المدونة والمتمثلة بالأخلاق الاجتماعية, استطاع وعبر تاريخ طويل يتجاوز عشرات الآلاف من السنين إدارة نفسه بنفسه، ولكي تستطيع مؤسسة الدولة تكوين نفسها لابد لها من القضاء على الإرادة الاجتماعية الحرة والسبيل إلى ذلك هو القضاء على الإدارة الاجتماعية وبالتالي تصفية الإرادة الاجتماعية والقضاء على الذاكرة السياسية للمجتمع والمتمثلة في الأخلاق.

لا شك، أن المواد الحقوقية المطورة من قبل الدولة لتشريع نفسها وصلت لدرجة عالية من النضج في مرحلة الامبراطورية الرومانية، فاللوحات الاثنتي عشرة المشهورة في روما كانت نقطة انعطاف في مرحلة تطور الحقوق نحو الصفة الكونية، فقد تحولت الحقوق في روما إلى صفة كونية كون الامبراطورية الرومانية كانت امبراطورية كونية حسب مواصفات تلك المرحلة. وحتى الآن عندما يتم البحث في الحقوق يتم الحديث

عن مرحلة تطور الحقوق في روما واللوحات الاثنتي عشرة بعد (أورنامو) و(حمورابي).

علينا الحديث عن ثنائية مسألة الحقوق, فهناك حقوق ديمقراطية إلى جانب المواد الحقوقية الهادفة إلى تشريع القمع والاستغلال والاستبداد والمجازر، ولكن الحقوق الديمقراطية تطورت عبر مقاومات الشعوب والثورات الاجتماعية والحملات الفكرية الهادفة إلى الحرية على مر خمسة آلاف سنة من نضال المجتمع البشري ضد مؤسسة الدولة.

الثورة الفكرية والوجدانية والأخلاقية التي قام بها سيدنا ابراهيم، كانت في نفس الوقت، ثورة ضد المواد الحقوقية التي أعطت الشرعية للعبودية، فعندما قال سيدنا ابراهيم : «إننا بشر وعلينا أن لا نعبد أحداً آخر مثلنا، وبما أن نمرود إنسان مثلنا فليس هناك شرعية لكي نعبده، لأن الإنسان حر بطبيعته وعليه أن لا يعبد أحداً من بني جنسه» وهكذا كانت هذه الثورة الفكرية والوجدانية والمعنوية والأخلاقية لسيدنا ابراهيم ثورة ضد المواد الحقوقية التي كانت تعطي الشرعية لعبودية الإنسان للقوى الاجتماعية أو الرموز الاجتماعية المستبدة كفرغون ونمرود. وليس من باب الصدفة أن يكون هناك تطابق في الزمان فيما بين حملة حمو رابي الحقوقية وحملة سيدنا ابراهيم الفكرية، فسيدنا ابراهيم أيضاً ظهر في ميدان النضال الاجتماعي والفكري في نفس القرن الذي تمكن فيه حمورابي من القيام بحملته الحقوقية وفي نفس المنطقة ونفس الجغرافية - جغرافية الإمبراطورية البابلية- أو الدولة البابلية أو ميزوبوتاميا أو كردستان.

الثورات الاجتماعية والانتفاضات الاجتماعية وحركات الشعوب المضطهدة والمقاومات التي ظهرت ضد مؤسسة الملك الإله من قبل شعوب الشرق الأوسط جميعها تنصب في مجرى تطوير الأرضية الخصبة لظهور الحقوق الديمقراطية. عندما نتحدث عن الحقوق الديمقراطية نتذكر (ماغنا كارتا) أي الوثيقة الكبرى الدستورية الإنكليزية والتي نظمت العلاقة فيما بين الملك والأرستقراطيين في القرن الثالث عشر في انكلترا، ونتذكر أيضاً الوثيقة الإنكليزية للحريات العامة إبان الحركات والانتفاضات التي حصلت في إطار الثورة الإنكليزية الشعبية في القرن السابع عشر. كما نتذكر الصيغ الحقوقية والقانونية للثورة الفرنسية وبعدها نضالات الطبقة العاملة والشعبية الكادحة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين خصوصاً الثورة البلشفية وصولاً إلى مواثيق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان وموازين (كوبنهاغن) المتعلقة بالحريات العامة وحقوق الإنسان ضمن الاتفاقيات التي اندرجت أو تندرج في إطار الاتحاد الأوروبي. ولكن هناك تناقض في تقييم مسألة الحقوق الديمقراطية هذه! كثير من الباحثين وعلماء الاجتماع يتذكرون الحملات الحقوقية التي تدخل في إطار الحقوق الديمقراطية على مر تاريخ القارة الأوروبية، ولكنهم لا يتذكرون نضالات الأنبياء والرسل والعبيد ومقاومات الفلاسفة والطرق المذهبية النصف دينية والنصف فلسفية في الشرق الأوسط والتي هيأت الأرضية الخصبة والمناسبة لتطوير الأطر الحقوقية الديمقراطية. فكما ذكرنا آنفاً إن مقاومة سيدنا ابراهيم كانت ثورة وجدانية ومعنوية وأخلاقية ضد القوانين التي أعطت الشرعية لثنائية ،السيد والعبد, كما أن مقاومة الفيلسوف والنبي (زرادشت) كانت مقاومة فلسفية وفكرية واجتماعية وأخلاقية ضد العبودية. قال زرادشت :»إن الإنسان يجب أن يكون حراً في اختياره فهو يملك الإرادة الحرة ويستطيع من خلالها أن يختار ما بين الجيد و السيئ» . كما أن سيدنا عيسى قاوم المواد الحقوقية للإمبراطورية الرومانية من خلال ثورته الوجدانية والمعنوية عندما أشار إلى فكرة التسامح والأخوة والمساواة فيما بين جميع الأجناس والقوميات. كما أن محاولات (ماني) كفيلسوف وكرسول القيام بالإصلاح في النظام السياسي للإمبراطورية الساسانية كانت محاولة لتغيير المواد القانونية والحقوقية التي تعطي الشرعية للسيطرة والهيمنة والاستغلال ولفتح الطريق أمام القوانين الديمقراطية. انطلاقاً من هذا كله، فإن الحقوق الديمقراطية تعني تلك المواد الحقوقية التي تقبل بالتعدد والتنوع وتحاول فرض المساواة فيما بين الشرائح والفئات الاجتماعية وتقبل بطبيعة المجتمع ولا تتناقض مع الأخلاق الاجتماعية. الحقوق الديمقراطية منسجمة

المواد الحقوقية الديمقراطية هي الأطر القانونية التي ستعتمد عليها الأمة الديمقراطية. ولكن إلى جانب الأخلاق الاجتماعية

مع الأخلاق الاجتماعية العريقة مثل الجيرة والتعاون والتسامح والصداقة والصميمية وقبول الآخر والعيش المشترك ولا تتناقض معها. فالإنسجام فيما بينها أمر ملفت للنظر وطبيعي جداً، لأن الصيغ الحقوقية الديمقراطية أو المواد الحقوقية الديمقراطية تطورت عبر النضالات التي حاولت إرجاع المجتمع إلى طبيعته وسابق عهده وتحريره من العبودية للقوى الاجتماعية المهيمنة والمتحكمة بمقدراته. من هذا المنطلق فإن الأمة الديمقراطية تعتمد على الأخلاق الاجتماعية والحقوق الديمقراطية معاً.

الأمة الديمقراطية بطبيعتها تقبل التنوع والتعدد في الأديان والأفكار والمذاهب والقوميات والثقافات واللغات والرموز. وبما أن الأخلاق الاجتماعية نابعة من طبيعة المجتمع والإرادة الاجتماعية والإدارة الاجتماعية الطبيعية فهي منسجمة مع مشروع الأمة الديمقراطية الذي يهدف إلى بناء مجتمع أخلاقي وسياسي وديمقراطي وبالتالي بناء مجتمع طبيعي. عندما نقول كلمة بناء ليس القصد أن يقوم أحد ما أو مجموعة ما بدور المهندس في بناء المجتمع, لا، بل نعني ببناء المجتمع: إرجاع المجتمع إلى طبيعته كإرجاع النهر إلى مجراه الحقيقي ليسير بشكل طبيعي دون تناثر أو فقدان الطاقة.

المواد الحقوقية الديمقراطية هي الأطر القانونية التي ستعتمد عليها الأمة الديمقراطية، ولكن إلى جانب الأخلاق الاجتماعية. الأمة الديمقراطية كمشروع سوف يعتمد على الأخلاق الاجتماعية أكثر من الحقوق الديمقراطية. والسبب في ذلك هو عدم وجود ضرورة أو حاجة ملحة إلى اعتماد هذا النموذج من الأمة على المواد الحقوقية لأن المجتمع سوف يصل إلى مستوى من الوعي والإرادة والإدارة يستطيع به مناقشة مشاكله وحلها بقوته الذاتية وطاقته الطبيعية دون الحاجة للمواد القانونية أو الحقوقية. الأمة الديمقراطية كروح وكجوهر للمجتمع الطبيعي تعتمد على آلية عملية نسميها بالإدارة الذاتية الديمقراطية. وباختصار إن الإدارة الذاتية الديمقراطية تعني إدارة المجتمع نفسه بنفسه وبقوته الذاتية وبطاقته الخلاقة وبالاعتماد على إمكاناته الذاتية وتنظيم المجتمع لنفسه عبر المجالس والمؤسسات الاجتماعية المدنية وإدارة نفسه عبر هذه المؤسسات والتي تتضمن المجالس الشعبية والأكاديميات السياسية والتعاونيات الاجتماعية.

كل هذه المؤسسات سوف تعتمد على حل مشاكلها بنفسها، وسوف تقبل بالتنوع والتعدد على قاعدة الإدارة المحلية للبلدات والقرى والأحياء والمدن وصولاً إلى المقاطعات أو (الكانتونات) ويمكن أن يكون هناك تمايز من ناحية الأخلاق الاجتماعية بين مقاطعة وأخرى وهذا يعطي الحق للمجموعات السكانية بأن يحلوا مشاكلهم عبر هذا التمايز دون الدخول في الفوضى.

لا يمكن الحديث عن الاستقرار بدون القوانين المبنية على قاعدة الأخلاق الاجتماعية أو الحقوق الديمقراطية. وبالرغم من وجود هذه القوانين والمواد الحقوقية الديمقراطية أو الأخلاق الاجتماعية فإن مسألة التمايز فيما بين المجموعات السكانية هي حقيقة موجودة وطبيعية وهذا يخلق معه التمايز في التعامل مع القضايا العالقة وسبل حلها. طالما هناك تمايز في المجتمع وفي الجغرافية سيكون هناك تمايز في الأخلاق الاجتماعية والمواد القانونية الديمقراطية. والتمايز لا يعني الصراع أو التنافر، على العكس تماماً فهو يعني الانسجام والوئام الموجودين في طبيعة الكون وطبيعة المجتمع وفي طبيعة المناطق من الناحية الجغرافية والسكانية والاجتماعية والتاريخية.

هناك من يتهم الإدارة الذاتية الديمقراطية بأنها ستخلق الفوضى إذا لم يكن هناك مواد حقوقية صارمة مثل المواد الحقوقية لمؤسسة الدولة. ولكن هذا الاتهام باطل وفي غير محله لأن النسبية سوف تكون موجودة إلى جانب الثوابت. بمعنى آخر بما أنه هناك قاعدة فهناك استثناءات أيضاً لتلك القاعدة. طالما هناك قوانين ثابتة أو أخلاق اجتماعية ثابتة فإذاً هناك قوانين حقوقية وأخلاق اجتماعية لها تمايز أو استثناءات حسب الوحدات السكانية

وحسب الجغرافية وحسب المقاطعات. فحتى الدول التي تدعي بأنها دول ديمقراطية متطورة توجد عندها مسألة التمايز والفروقات في المواد الحقوقية والقانونية. على سبيل المثال؛ في الولايات المتحدة الأمريكية تختلف هذه الحقوق بين ولاية وأخرى، ففي ولاية تكساس توجد أحكام بالإعدام أما في واشنطن فهي غير موجودة، ويبرر الأمريكيون ذلك بالأوضاع الاجتماعية الموجودة أو بسبب التمايز في الأوضاع الاجتماعية فيما بين ولايتي واشنطن وتكساس، فتبرير هذا الوضع هو تبرير التمايز فيما بين المقاطعات والأخلاق الاجتماعية لكل مقاطعة.

الخلاصة: إن الأمة الديمقراطية سوف تعتمد على ثنائية قانونية منسجمة فيما بينها؛ الأخلاق الاجتماعية والتي تعتبر بمثابة مواد قانونية غير مدونة ولكنها موجودة في ذاكرة المجتمع إلى جانب المواد القانونية الديمقراطية والتي تتبناها المواثيق الحقوقية الديمقراطية على الصعيد العالمي والتي تم تطويرها عبر نضالات وثورات اجتماعية بدءاً من انتفاضة سيدنا ابراهيم وصولاً للثورة البلشفية ومروراً بكومونة باريس.

إن مشروع الأمة الديمقراطية يتم تطبيقه عملياً عبر آلية الإدارة الذاتية الديمقراطية ويعتمد على القوانين الديمقراطية ويتخذ من الأخلاق الاجتماعية أساساً له

هناك مثال ونموذج نعيشه يومياً في غرب كردستان، كلجان الصلح في البلدات والأحياء و القرى .هذه اللجان ليست حقوقية بل اجتماعية مرتبطة بالعادات والتقاليد الإيجابية والعريقة للمجتمع، وقامت بحل الكثير من القضايا الاجتماعية التي عجزت محاكم الدولة القمعية والاستغلالية عن حلها، وذلك عبر الطاقة الاجتماعية والإرادة والإدارة الاجتماعية، حتى أن بعض المشاكل التي يتجاوز عمرها الخمسين عاماً تم حلها على يد هذه اللجان والتي نسميها بلجان الصلح والموجودة في بنية المجالس الشعبية في غرب كردستان وهذا دليل على قوة الأخلاق الاجتماعية في مشروع الأمة الديمقراطية.

يمكن الوصول إلى النتيجة التالية؛ إن مشروع الأمة الديمقراطية يتم تطبيقه عملياً عبر آلية الإدارة الذاتية الديمقراطية ويعتمد على القوانين الديمقراطية ويتخذ من الأخلاق الاجتماعية أساساً له. هناك انتقاد من بعض المحامين أو هناك تقرب سطحي غير متواضع من قبل بعضهم ضمن المؤسسات الحقوقية لمسألة لجان الصلح أو المؤسسات الحقوقية للإدارة الذاتية الديمقراطية حيث يقولون إن العاملين في لجانٍ الصلح غير مختصين وغير مؤهلين علمياً وحقوقياً وليس لديهم شهادات حقوقية. هذا الأمر يعبر عن عدم استيعاب هؤلاء لطبيعة المجتمع. فهل كان هناك محامون أو حقوقيون أو أناس يملكون شهادات عليا في الحقوق ضمن إطار المجتمع الطبيعي؟ لا، لم يكن هذا موجوداً ولكن في نفس الوقت كان هناك لجان صلح يحلون مشاكلهم عن طريقها. فليس بالضرورة أن يكون من يعمل في لجان الصلح مختصاً بالحقوق بل المهم في الأمر أن تكون لديه تجربة اجتماعية وخبرة وعقلية اجتماعية وأخلاقيات وثوابت اجتماعية يتعامل من خلالها مع القضية المطروحة, ويستطيع حلها عبر طاقته الاجتماعية. ولكن في المرحلة التي نعيشها لابد من وجود الحقوقيين والمحامين في مثل هذه اللجان أو في المحاكم المرتبطة بالإدارة الذاتية لكي يستطيعوا التفريق فيما بين المواد الحقوقية الديمقراطية وغير الديمقراطية. ليس من المعيب عدم وجود المحامين في لجان الصلح ولكن يمكن القول بأنه نقص. هناك الكثير من المحامين لديهم شهادات وخبرة حقوقية ولكنهم يستخدمونها لتعقيد المشاكل والقضايا وليس لحلها بقصد كسب المال والمصلحة الشخصية، فالمشكلة ليست مرتبطة بالشهادة وإنما بالذهنية. والأمة الديمقراطية ومشروعها الإدارة الذاتية الديمقراطية تعتمد على الذهنية الديمقراطية، والذي يريد أن يحتل مكانه ضمن البنية الحقوقية لهذه الإدارة عليه أن يتحلى بالذهنية الديمقراطية قبل كل شيء، قبل أن يكون حقوقياً أو محامياً عليه أن يتحلى بالذهنية الديمقراطية، فإذا امتلك تلك الذهنية فسوف تعطيه خبرته الحقوقية تمايزا وطاقة يستطيع من خلالها خدمة هذا المشروع وخدمة المجتمع. فالخبرة الحقوقية وحدها لا تكفي.

المرأة والحضارة الديمقراطية

« بسي شمال

الشرق الأوسط من بكر الأرض التي خطت نحو حياة إنسانية اجتماعية، وتحول إلى منبع لجميع مبادئها كالمساواة، الحرية، الديمقراطية، الأخلاق، السياسة، الفن والاقتصاد. ويجدر بنا الذكر بأن للمرأة دوراً طليعياً وبناءً في خلق هذه المبادئ لأنها مؤسس النظام الديمقراطي المتوافق مع هذه البنية الاجتماعية على مبدأ التعاون، الإبداع، الحب والاحترام، كما أنها جاءت بالأخلاق لتكون قانون الحياة الاجتماعية والسياسية، والنهج الإداري لهذا القانون الذي يعتبر مبدأً أساسياً للوجود الاجتماعي في قلب هذه الجغرافيا. للنسيج الأخلاقي والسياسي دور هام في وصول القيم الديمقراطية الكومينالية الإنسانية إلى يومنا الراهن. جوبهت حضارة الدولة المستندة على النظام الذكوري الممتد لـ ٤٠٠٠ عام قبل الميلاد والمناهضة للمرأة والمجتمع بالمقاومة العظيمة للمجتمع الأخلاقي السياسي، حيث استمرت هذه المقاومة منذ ألفي عام بقيادة فعّالة للمرأة إلى يومنا الراهن- حتى وإن كانت بشكل ضعيف- بعدما تحولت إلى ثقافة وتقاليد تاريخية. الحضارة الديمقراطية هي اسم ثقافة المقاومة التي امتدت من ٤٠٠٠ عام قبل الميلاد إلى مرحلة العبودية، أي التي بدأت قبل الميلاد بـ ٥٥٠٠ إلى راهننا. تحولت هذه المقاومة إلى استراتيجية كفاح بعد اغتصاب الرجل الماكر واحتلاله كافة القيم الأيديولوجية والمادية للمرأة، حيث استمرت هذه الاستراتيجية إلى ما يقارب ٣٠٠٠ عام وترسخت باستمرارية مقاومة الأثنيات والانطلاقات الأخلاقية المنسوجة بالدين والفلسفة وعصيانات العبيد والقرويين والعمال في مرحلة الاشتراكية المشيدة التي انتشرت في كافة أصقاع العالم وتحول التيارات الفامينية و الأنارشية إلى نظام فكري. مع ظهور حضارة الدولة الطبقية يمكن تصنيف التاريخ الإنساني إلى مسارين، الأول: هو نهج حضارة الدولة الطبقية، والثاني: نهج الحضارة الديمقراطية. ظلت حضارة

النظام الطبقي (الدولة) هي الحاكمة في نتيجة الصراع العنيف القائم بين الاثنين، أما نهج الحضارة الديمقراطية فقد حافظ على استمرارية مقاومته حتى و بشكله المتشتت والهزيل، وإن عدم نجاحه في التحول إلى نظام حاكم من المواضيع الهامة التي تستدعي التحري والبحث. قد يكون له أسبابه الكثيرة أما الرئيسة منها، بدون شك، فينبغي البحث عن السبب المؤدي إلى وقوع نهج الحضارة الديمقراطية الذي مثل ٩٠٪ من المجتمع والمعتمد على الحقيقة الاجتماعية الإنسانية في يد حفنة استعمارية مثل ١٠٪ من المجتمع عبر سنين طوال، وإيجاد سبب تعرضه لكل أشكال الاحتكار والتخريب والنهب. تكمن إجابة هذا السؤال بالتحري في التاريخ القريب دون الرجوع إلى الأزمان الغابرة. يعود تحكم الحداثة الرأسمالية الممثلة الأخيرة للحضارة الدولتية الطبقية بالعالم حالياً لسببين اثنين، الأول هو الطابع الاستعماري المستبد للحداثة الرأسمالية، والثاني هو نوعية الوسائل والسبل الأيديولوجية والبنية الذهنية وبراديغما النضال للحركات المعادية لأنها لم تحلل حقيقة النظام والحداثة بشكل عميق وصائب فلم تستطع تجاوزها ولم تبنِ وتنظم عناصر الحضارة الديمقراطية ذاتها كنظام بديل، لذا بقيت عبارة عن قوى معارضة لا غير، فحتى محاولاتها لتصبح رديفة للنظام في بعض البقاع لم تتخلص من كونها شبيهة له. استخدمت القوى المعادية المتربصة بالسلطة تحت اسم الاشتراكية نفس الوسائل والسبل التي استخدمها النظام الرأسمالي الدولتي لتحقيق أهدافها، فعندما كان هدفها المساواة والحرية كانت سبلها السلطة والدولة القومية. الدولة القومية من نتاج الرأسمالية وألفتها كنموذج اجتماعي تحت خدمة مصالحها الاحتكارية السلطوية، كما تعتبر من أهم وسائلها الفعالة وذلك من خلال تحطيم كافة الديناميكيات المقاومة للمجتمع وتسخيرها دون أي اعتراض. إنها الإله الجديد للأيديولوجية البرجوازية وأب للفاشية واعتمدت ظهور القومية والفاشية على براديغما الدولة القومية. تمثل الاحتكارات السلطوية مصالح الدولة القومية وتحافظ على أمنها وشوهت وعي المجتمع بوضع المفهوم الدولتي كنظام أيديولوجي في خدمة القومية، وبها استطاعت أن تتحكم بالمجتمع وتشرعن كافة أنواع ممارسات منظمة حماية مصالح السلطويين «الدولة» من ظلم وضغط واستعمارية ونهب وكذب وعنف واغتصاب. تقديس الدولة القومية من أكبر مآزق الشرق الأوسط. عجباً، هل القومية تخدم مصالح القوميات أم مصالح مغايرة أخرى؟ هناك أمثلة حية أمامنا؛ هل يعبر ما تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية من ظلم وإرهاب في الشرق الأوسط عن مصالحها أم هي للحصول على أكبر رأس مال لصالح البرجوازية في البيت الأبيض؟ هل تصب الدماء الجارية في شوارع العراق في خدمة القومية العراقية أم تمثل مصالح عائلة سلطوية محلية؟ هل الدماء المتدفقة في شوارع فلسطين تخدم مصالح القومية الإسرائيلية أم أنها تخدم مصالح بنية سلطوية فاشية؟ هل ما تتبعه كل من الولايات المتحدة الأمريكية، إسرائيل، إيران والكثير من الدول العربية من سياسة على حساب إراقة الدماء في سوريا، يمثل مصالح الشعب السوري والعربي، أم أنهم المستفيدون الوحيدون من نزف كل نقطة دم؟ الخلاصة، كيف يمكن لحفنة من البرجوازية المتغنية بمال ملطخ بالدماء والهارعة وراء الحياة أن تحيا الرفاهية، في حين يكون الموت والتعذيب والاغتصاب والآلام والدموع نصيب الملايين من الناس؟! ما ذكرناه يهم كردستان أيضاً. هل حققت الدماء الجارية في بلدان وقرى وجبال وسهول كردستان منذ سنين باسم الدولة التركية القومية حرية وسلام وأمن ورفاهية وسعادة تركي واحد؟ يتحدثون عن حرب باسم المصالح الوطنية، عن أية مصالح وطنية يتحدثون عجباً؟! في حين يعاني الوطن من الآلام والأذى ويموت الملايين من الناس جوعاً وتتفشى السرقة والمخدرات

والدعارة في كل مكان؟ أية مصالح وطنية يقصدون وهناك قتال أخوي وسياسة إنكارية وإمحائية ضد الشعب تحت ظل نظام فاشي؟ هناك العشرات بل المئات من هذه الأمثلة في التاريخ. من يدعي بأن الاشتراكية المشيدة ستحرر النساء والشعوب والمجتمعات عندما يكون هذا هو الوجه الحقيقي للدولة القومية؟ لا يمكن لأحد القول بأنك لست بشبيه عدوك عندما تستخدم نفس وسائله الأيديولوجية في حربك ضده. أثبتت التجارب التاريخية بأن استخدام نفس الوسائل سيؤدي إلى نفس النتائج، والسير على نفس الطريق سيؤدي إلى نفس المكان. معرفة ودراية ما لحق بالاشتراكية المشيدة التي حكمت ثلث العالم في القرن العشرين من انهيار وتراجيديا- حتى وإن كانت نتائجها مؤلمة للغاية- أكبر معلم في التاريخ. إذاً، من الواضح بأن السلطة والدولة وطفلهما العجيب الدولة القومية هي التي تخلق المشاكل بكل تأكيد. استندت مصادر كافة القضايا الاجتماعية في التاريخ على حقيقة الدولة والسلطة، لأنهما ينتجان العبودية، الاستعمار، القمع، العنف، الضغط، الحرب، القوموية، المجتمع الجنسوي، ثقافة الاغتصاب والمشاكل الأيكولوجية. هذا يعني أن عدم وجودها هو عدم وجود كافة هذه المشاكل ولن يكون هناك مكان للعبودية ومعاناة الألم والموت. إن السبب الرئيسي في فشل كافة الحركات المعادية للنظام الرأسمالي وفي مقدمتها الحركات الاشتراكية المشيدة وعدم بناء نظام الحضارة الديمقراطية هو عدم تحليل ظاهرة السلطة والدولة وما تلده من أشكال جديدة في التاريخ بشكل شمولي وعميق، وعدم رؤية الطابع السرطاني للسلطة وتكوين براديغما استراتيجية نضالية خارج براديغما الدولة والسلطة. فإن قيّمنا أية حركة من الحركات المعادية للنظام سنرى بأن ذهنيتها ووسائل نضالها مشابهة لذهنية ووسائل النظام مع وجود بعض الفروقات البسيطة. أما PKK كحركة نضالية تحررية ديمقراطية بينت وجه اختلافها الحقيقي في هذه النقطة بالذات. عاشت تحت تأثير الاشتراكية المشيدة إلى عام ١٩٩٣ ببعد هام، ولكن بعد هذه المرحلة درست وبحثت عن حقيقة الاشتراكية المشيدة بشكل جدي. لقد أثبت قائد الشعب الكردي في عام ١٩٩٣ بأن براديغما الاشتراكية المشيدة لم تضع خياراً آخر خارج التشبه بالنظام الرأسمالي من خلال التجارب الحياتية، وبه أوجد بحثه عن براديغما بديلة. إن وقف إطلاق النار في عام ١٩٩٣ و١ أيلول عام ١٩٩٥ كان من نتاج هذا البحث، وتعمق أكثر من مرور الزمن. مع انعقاد المؤتمر الخامس لـ PKK عام ١٩٩٥ وُضِع هذا البحث حيز التنفيذ لأول مرة بإعطاء المؤتمر دور التغيير الاستراتيجي. تم النقاش عليه نوعاً ما ولكن بسبب عدم دراية جوهر هذا التغيير بشكل كافٍ ظل شكلياً. قرأ قائد الشعب الكردي « عبدالله أوجلان» في مرحلة المؤامرة الدولية وتحت ظروف العزلة في السجن آلاف الكتب وتحرى وبحث فيها بكل عمق. مع وصوله إلى مستوى عالٍ وراقٍ من الفكر والتحليل عاش مرحلة صفاء فكري وأيديولوجي، وعلى إثره حقق التغير البرادغمائي. انعقد المؤتمر السابع لـ PKK بتوجيهات القيادة في عام ٢٠٠٠ ووصل إلى قرار التغيير الاستراتيجي، وفي الأعوام اللاحقة وضع براديغما الديمقراطية الأيكولوجية الجنسوية الحرة وناضل لأجل تحقيقها على أرض الواقع. أخرجت PKK الدولة القومية من برنامجها ووضعت النظام الكونفدرالي الديمقراطي أساساً لها، وتبنت نهج الحضارة الديمقراطية، وهي صاحبة قرار وإصرار وإرادة عظيمة في تطبيقه، وبهذا نحيي مقاومات كافة مجموعات الحضارة الديمقراطية في التاريخ باحترام. كما نقدت وبحثت في أسباب فشلها من خلال وقفة نضالية حرة وتبنت دور قيادة إنشاء نظام الحضارة الديمقراطية. بدون شك لم يكن التغير البرادغمائي سهلاً بالنسبة لـ PKK ، حيث عانت الكثير من المخاضات والآلام، وبقيت وجهاً لوجه أمام صراع عنيف ضد التصفية الداخلية المتأثرة بالحداثة الرأسمالية، ولكنها نجحت في بناء البرادغما الجديدة قبل إصابتها بالانهيار أو التشتت. لعبت حركة المرأة الكردستانية الحرة وتقرُّب PKK من المرأة والمستوى الذي وصلت إليه المرأة الكردية ضمن الحركة التحررية الكردية دوراً هاماً في إبدائها هذه القوة. حتى وإن كان للاشتراكية المشيدة تأثير ،نوعاً ما، في البداية على بنية PKK ولكن تقربها من قضية المرأة كان مختلفاً دائماً ، حيث آمنت دوماً بأن حرية المرأة هي الأساس في حرية ودمقرطة المجتمع، واستند دياليكتيك نضالها على حرية المرأة. لقائد الشعب الكردي « عبدالله أوجلان» تحليلات وتوجيهات هامة وصائبة في هذا الخصوص. تصاعد مستوى تحرير المرأة من خلال تجييشها وتحزبها تحت توجيهات القيادة. إن قضية المرأة من أهم القضايا التي

الجانب الآخر من سياسة الصهر والابادة الممارس بحق المرأة هو تنظيم الفتيات ضمن مؤسسات النظام

دفعته إلى البحث في السلطة والدولة. فما عانته المرأة والمجتمع من عبودية كالحة تحت ظل النظام الذكوري الحاكم، أدى إلى تحليله لظاهرة السلطة والدولة بشكل صائب. كما أنه أسند بداية ظهور السلطة والدولة والاستعمارية إلى اغتصاب الرجل قيم المرأة، وإن تجاوز السلطة والدولة والقضاء على العبودية والاستعمارية وتحرير المجتمع مرتبط بتحرير المرأة، لأن استيلاء الرجل الماكر المتآمر على فائض الإنتاج والقيم التي خلقتها المرأة والمجتمع وحبسها في المنزل الذي حوله إلى مركز حربه أصبح بداية لظهور كافة القضايا والمشاكل الاجتماعية. إن ظهور كافة القضايا الطبقية والمذهبية والقومية والطبيعية وما إلى ذلك نابع من نظام السلطة والدولة الذي يحكم فيه الرجل على المرأة. بعدما عاشت الإنسانية آلاف الأعوام على شكل «كلان» واستمرت الثورة الزراعية ما يناهز ستة آلاف عام بالاعتماد على شكل القبيلة والأثنية، واجهت ولأول مرة المضطهَدين والمضطهِدين، المستعمَرين والمستعمِرين، السيد والعبيد، الذات والجوهر والإنسان الذئب والإنسان في المرحلة التي تطورت بوسائل السلطة الدموية. إن حركة المرأة الحرة في PKK صاحبة دور ريادي في إنشاء الحضارة الديمقراطية. مثلما خلق الكرد مدخرات وقيم الحضارة الديمقراطية بالثورة الزراعية وثورة القرية وكشف عن هويته الأثنية قبل ٦٠٠٠ عام من الميلاد وتطورت بقيادة المرأة الكردية، فاليوم أيضاً هي صاحبة دور تاريخي مشابه لذلك وأكثر إصراراً وعزيمة في تبني هذه المسؤولية. حيث تحيي ميراث آلاف الأعوام بتقاليدها ومقاومتها وجاءت به إلى يومنا الراهن، وتوجته بالنضال الحر في الأعوام الثلاثين الأخيرة بكل جلاء. إن الشهداء الذين ضحوا بدمائهم في المسيرة النضالية التي تمتد إلى ثلاثين عاماً هم شهداء نهج الحضارة الديمقراطية. خاصة حددت البعض من النساء بعض المراحل ووجهن سيرها بشخصياتهن البطولية كما قامت به الآلهة «عشتار» و»تيامات». سطرت كل من الرفيقتين زيلان وسما أسمى آيات البطولة والفداء ضد إله الحضارة الدولتية المتمثل اليوم في إله الحداثة الرأسمالية الظالم، كما حدث في تلك الحرب التي خاضتها الآلهة «عشتار» ضد إله الحضارة الدولتية الطبقية الظالم «أنكي» لحماية قيم الحضارة الديمقراطية. تحولت الرفيقة زيلان ممثلة قيم الحضارة الديمقراطية في الثلاثين من حزيران إلى قنبلة نارية ضمن صفوف الجيش التركي. جاءت عمليتها الفدائية هذه ضد أكبر هجمات الحضارة الدولتية شراسة على قيادة PKK في ٦ أيار عام ١٩٩٦ والحركة والكردي الحر. هزت هذه العملية العالم وراجعت من حدة هجمات الذهنية الدولتية السلطوية الفاشية، وأفشلت المؤامرة الدولية باكتشاف المخاطر التي كانت تنتظر الشعب الكردي وشعوب المنطقة والنساء. ضحت زيلان بروحها لحماية قيم الحضارة الديمقراطية والحرية والمساواة. اعتقلت الرفيقة سما على يد الدولة التركية إثر نضالها الديمقراطي الحر، وتعرضت إلى أكثر أنواع التعذيب والتنكيل شدة خلال أعوام الأسر، لكنها دافعت بكل ما تملك عن قيم الحضارة الديمقراطية وبمقاومة لا مثيل لها في العالم. عندما سعى العدو إلى تنفيذ جزء من المؤامرة الدولية عملياً وبشكل فعلي عام ١٩٩٨ في السجون من خلال الشخصيات الهزيلة والمستسلمة الإرادة لتصفية PKK فيها، أشعلت الرفيقة سما النيران بجسدها الطاهر احتجاجاً على كافة أنواع الاستسلام والتصفية وأبعاد المؤامرة الدولية داخلياً وخارجياً واستنكرتها بوقفة حرة وإصرار لا يلين، وبها وصلت الى أعلى مراتب الشهادة. إن حقيقة حركة المرأة الحرة المتجسدة في شخصية هاتين الرفيقتين، تثبت مرة أخرى مدى ارتباط المرأة الكردية بالقيم الديمقراطية والحرية والمساواة. إنها ممثلة ثقافة الآلهة الأم ومقاومتها، وحماية قيم الحضارة الديمقراطية والإصرار فيها. إن ما عبرت عنه هاتان الشخصيتان هو طابع وحقيقة حركة المرأة الكردستانية الحرة في نفس الوقت. تحمل حركة المرأة الحرة ميلاد المرأة الكردية والالتقاء مع جوهرها من جديد. باتت المرأة الكردية صاحبة وعي وإدراك وإرادة حرة ومنظمة ضد كافة الممارسات الدولتية العبودية وتحولت إلى قوة نضالية عظيمة من خلال نضال تحرير المرأة وحولتها إلى عنصر أساسي لإنشاء نظام الحضارة الديمقراطية من جديد. المرأة الكردية والشرق أوسطية هن اللواتي أنشأن الحياة الاجتماعية والحرية والمساواة والنظام الديمقراطي وهن من بناة تاريخ الإنسانية، لكنهن مهددات اليوم بالتعرض إلى أكبر هجمات النظام الذكوري الثقافية والسياسية والأيديولوجية والاجتماعية والاقتصادية المتمثلة في الحداثة الرأسمالية، ويعانين من أشد أنواع الآلام والمآسي. يمكن للمرأة الكردية أن تلتقي مع جوهرها من خلال تجاوز هذا الوضع الأليم والمنحط وبناء نظام كونفدرالي، وبهذا وحده يمكنها أن تصل بنساء الشرق الأوسط والمجتمع إلى الحرية والديمقراطية، حينها سيصل المجتمع ونساء الشرق الأوسط إلى المكانة التي تليق بهن بكل أمان واطمئنان وإلى حياة آمنة سعيدة ويبنين جنتهن.

من هو المرتد؟ وما حكمه؟

« مجيد أبو رقية

«أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»
صدق الله العظيم

«أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون» صدق الله العظيم

انطلاقاً من هدي القرآن وفي ضوء هذه الآية نرغب في تقديم المفارقات الهائلة بين أحكام البشر، وحكم الله عز وجل من خلال ما ورد في كتابه العزيز.

إن الله قد ضمن حرية المشيئة والاختيار في الاعتقاد ولكل الناس وفي كل الأزمنة وفي كل مكان يعيش فيه الإنسان في العالم.

قال سبحانه وتعالى:» وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (سورة الكهف)

والضمان من الله الذي هو «رب الناس» «إله الناس» « ملك الناس»

« قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، وما أنا عليكم بوكيل» (سورة يونس)

« كذب به قومك وهو الحق، قل لست عليكم بوكيل» (سورة الأنعام)

« فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر» (سورة الغاشية)

« وما أنت عليهم بجبار، فذكر بالقرآن من يخاف الوعيد» (سورة ق)

« ولو شاء ربك ما أشركوا، وما جعلناك عليهم حفيظاً، وما أنت عليهم بوكيل» «(سورة الأنعام)

« قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه، ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ» (سورة الأنعام)

« ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم، وإن يشأ يعذبكم، وما أرسلناك عليهم وكيلاً» (سورة الإسراء)

« والذين اتخذوا من دونه أولياء، الله حفيظ عليهم، وما أنت عليهم بوكيل» (سورة الشورى)

« أرأيت من اتخذ إلهه هواه، أفأنت تكون عليه وكيلاً» (سورة الفرقان)

تأمل هذه الآيات الكريمة في مخاطبة الله تعالى لرسوله الكريم في ضمان حرية الاختيار.. فمن اهتدى اهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، ولست عليهم بمسيطر ولا وكيلا ولا حفيظاً وإنه هو العلي القدير صاحب الشأن الإلهي لو شاء لجعلهم مؤمنين وما أشركوا به، وإنه هو العالم بخلقه إن شاء عذبهم وإن شاء برأهم من العذاب.

وفي حكمه سبحانه وتعالى لا يجوز قتال الناس لعدم إيمانهم، بل كان قتل المسلمين لأعدائهم فقط في حالة الدفاع عن النفس عملاً بالأمر الإلهي الذي بينه القرآن الكريم:

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» (سورة البقرة)

« طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى، الرحمن على العرش استوى» (سورة طه)

هنا نستطيع القول: إن القرآن كما صرح الله سبحانه وتعالى تذكرة لمن يخشى الله ويقبل الإيمان والاعتقاد، ولم يحض أبداً على حمل السيف وقطع رقاب الناس عنوة حتى يؤمنوا.

« ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» (سورة يونس)

انظر إلى سعة رحمة الله بعباده ومحبته لخلقه أجمعين، وتحذيره لرسوله أن الخلق محكومون بمشيئة الله، وإياك أن تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين بل فرض عليه محبة الناس بغض النظر عن إيمانهم أو ضلالهم.

«قل الله أعبد مخلصاً له ديني، فاعبدوا ما شئتم من دونه» (سورة الزمر)

«لكم دينكم، ولي ديني» (سورة الكافرون)

إلا أن جهل الناس من جهة وتفوق عنصر المصلحة والحقد من جهة أخرى و تنامي ظاهرة التطرف والتشدد بعمل مقصود من بعض فرقاء رجال الدين وتقربهم من البلاطات وخدمة الملوك الأفاقين والخمريين والسكيرين والمسافحين... جعلوهم يفترون ويدعون ويتناولون أهم العلماء وأشرفهم وأكثرهم إيماناً عبر التاريخ بالارتداد والهرطقة أحياناً والتجديف والغرابة والكفر أحياناً أخرى والأمثلة هنا كثيرة جداً.

إذا تناولنا الموضوع من بداياته الأولى منذ آدم عليه السلام و ولديه قابيل وهابيل وحتى هذه اللحظة التي نعايشها من اتهامات التكفيريين والداعشيين وألوية الحق والإخوان المسلمين، أحفاد الرسول وأنصار الدين... سيتوضح الهول الذي عاشته البشرية عبر تواريخ الدين.

ألم يخالف آدم أمر ربه؟... فأكل من الشجرة المحظورة.. لماذا لم يتناوله الله قتلاً وسحقاً؟.. بل طرده من الجنة فقط إلى شقاء الدنيا، هكذا تقول القصة القرآنية.

ألم يخالف إبليس أمر ربه عندما أبى واستكبر ولم يسجد لآدم؟ لماذا لم يقتله الله عز وجل وكان بمقدوره ويسيراً عليه أن يغوي الخلق ويحملهم على مخالفة خالقهم، ولكن الله اكتفى بلعنه وطرده من الجنة. وكلنا يعلم بمحاكمة عقلية بسيطة أن الله سابق العلم بكل ما جرى وما سيجري، وكان يعلم ماذا سيحصل، وأن آدم سيأكل من الشجرة وأن إبليس سيرفض السجود ولكن هكذا كانت مشيئته، صحيح أن هؤلاء خالفوا أمره ولكنهم استجابوا لمشيئته، والمشيئة أقوى من الأمر. ونعلم كذلك أن قابيل وهابيل اعتدى أحدهما على أخيه لأنه وجد فيه ما يعارض تفكيره أو قناعاته أو حتى إيمانه أو طريقة عيشه بين المزارع و الرعي أو اختياره في الزواج....

االسيف الوحيد الذي أشهره محمد كان سيف الرحمة والتعاطف و الصداقة و العفو، السيف الذي كسب محبة الأعداء و طهر قلوبهم

«فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من النادمين» صدق الله العظيم

كذلك قوم نوح وجدوا بينهم رجلاً مجرماً يخالف دينهم وآلهتهم فهو مرتد بنظرهم.

«لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المجرمين» صدق الله العظيم

وقول أصحاب القرية للمرسلين بعد تكذيبهم، قالوا:» لئن لم تنتهوا لنرجمنكم و ليمسنكم منا عذاب أليم»

وقول آزر والد ابراهيم الخليل عليه السلام «لئن لم تنته لأرجمنك»

وقول قوم شعيب» لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا» وكان جواب النبي شعيب لقومه الذين اضطهدوه « أولو كنا كارهين»

أي أننا لم نغصب أحدا ولم نقاتل شخصاً ليتبعنا، بل ندعوا إلى سبيل ربنا بالنصح فقط.

فرعون وهامان وقارون زعماء الدين في عهد موسى قالوا:

«اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نسائهم»

أصحاب الأخدود» والسماء ذات البروج، واليوم الموعود، وشاهد ومشهود، قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، الذي له ملك السموات والأرض، والله على كل شيء شهيد»

أما في العصر الإسلامي وما أدراك ما العصر الإسلامي؟.. ففي القرن الأول الهجري:

قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال لقتلته: لو قتلتموني اليوم فتذكروا أن المؤمنين لن يتحدوا بعدها في صلاتهم ولا في جهادهم ضد أعدائهم حتى آخر الأيام.

ألم يكن قتله بسبب ادعاء قتلته بمخالفته العهود والمواثيق والخروج عن مألوف الحكم بالإسلام.

قتل علي بن أبي طالب وابنه الحسين باسم الردة، لأن الخوارج ادعوا أن الحكم لله ولا يحق لعلي القبول بالتحكيم فهو مرتد، أما الحسين فلأنه خرج على الحاكم» أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم» والخروج ارتداد حتى ولو كان حقاً.

لو قتلتموني اليوم فتذكروا أن المؤمنين لن يتحدوا بعدها في صلاتهم ولا في جهادهم ضد أعدائهم حتى آخر الأيام

في القرن الثاني الهجري : باسم الدين والردة والكفر قتل الجنيد- ومحمد الفقيه- الإمام مالك بن أنس- الإمام الشافعي- وأبو حنيفة بن النعمان سجن وسمم في السجن وحرقت جثته.

في القرن الثالث الهجري : رمي الإمام البخاري بالكفر وشهد على كفره(٣٠٠٠) من العلماء ونفي إلى خارتانج فدعا على نفسه بالموت العاجل.

الإمام أحمد بن حنبل سُجن وقيد بالسلاسل وأُجبر على السير مشياً من طرسوس إلى بغداد تحت لفحة الشمس وضُرب بالسياط وهو صائم في رمضان لأنه أبى القول بأن القرآن مخلوق كسائر المخلوقات.

ذي النون- سهل التستري- أحمد بن يحيى- أبو سعيد الخزار- الإمام النسائي- ابن الحنان- أبو العباس بن العطا- أبو محسن النوري- عُذّبوا وسُجنوا ونُصح الملك بإعدامهم حتى لا يشيعوا الكفر بين الناس، ولما أوقفوهم أمام السياف لقطع رؤوسهم بادر النوري قائلاً: أنا أؤمن بالتضحية بالنفس، وخدمة بني الإنسان لذلك فإنني ألتمس من الملك أن يضرب عنقي أولاً كي ينال رفاقي لحظات أطول من هذه الدنيا لا تعيدها ألف سنة من الآخرة. عندئذ أوقف الملك تنفيذ الحكم وأمر القاضي أن يعيد النظر في قضاياهم، ويرفع الأمر إليه فقال القاضي: هؤلاء الأجلاء هم أصدق إيماناً بتوحيد الله من أي واحد عرفته، فأطلق الملك سراحهم.

في القرن الخامس الهجري: حجة الإسلام الإمام الغزالي، اتُّهم بالكفر و الإلحاد و الارتداد، و أن كتبه مخالفة للسلف، و أحرقت جميعها و أُمر بقطع أعناق مريديه.

الإمام ابن حزم الأندلسي اتُّهم بالكفر عندما كشف بالأدلة القرآنية أخطاء علماء زمانه فنفي إلى أحراش لابالا في أسبانيا و مات هناك.

في القرن السادس الهجري: الشيخ عبد القادر الجيلاني صار سلطان الصوفية و امتد تأثيره الروحي و لا يزال، اتُّهم بالارتداد و الخروج عن الدين.

- الشيخ العالم أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، سانده مائتان من المؤيدين لإيذاء عبد القادر الجيلاني العارف الجليل.
- الشيخ محي الدين العربي الأندلسي العظيم، كان يدعو الله «اللهم أدخلني في محيط أحديتك اللانهائي»، أعلن رجال دين عصره أنه كافر فاسق و أطلقوا عليه اسم المرتد الأعظم.
- شيخ الأشراف شهاب الدين السهروري، اتُّهم بالكفر و الارتداد و سُجن ثم خُنق حتى الموت.
- فريد الدين العطاء، و شهيب حسن المغربي اضطهدا على أيدي علماء زمانهم في القرن السادس عشر.

في القرن السابع الهجري: الشيخ أبو الحسن الشاذلي – و عز الدين بن عبد السلام أقطاب صوفية معروفة رماهما علماء زمانهم بالتجديف.

نظام الدين سلطان الأولياء المشهورين في الهند، رُمي و شجب لسماعه الموسيقى و قدم لهم الدليل على أن النبي صلى الله عليه و سلم قد استمع إلى الموسيقى،

و لكن ذلك لم يكن كافياً لدى المفتي الحنفي المذهب الذي أصّر على دليل يثبت أن الإمام أبا حنيفة استمع إلى الموسيقى.

الإمام ابن تيمية، لاقى الكثير من الاضطهاد و سُجن في مصر و عُذب حتى مات في السجن، وسامح الوزير و السلطان و الناس لأنهم لم يعرفوا الحقيقة في تقديره.

التبريزي، كان ولياً كريماً في عصره، سلخوا جلده حياً لأنه قال: الغناء ليس حراماً.

جلال الدين الرومي، صاحب الطريقة المولوية صاحب « المثنوي» وهو فن شعري في الأدب الفارسي، نال حظاً كافياً من التكفير.

في القرن الثامن الهجري: الإمام ابن القيم، سُجن و عُذب و حُرق و اتُّهم بالهرطقة لأنه لم يسوِّ بين زيارة قبر النبي ابراهيم و زيارة الكعبة و المسجد النبوي.

تاج الدين السبكي، هوجم و اضطهد من رجال عصره.

في القرن التاسع الهجري: الشيخ عبد الرحمن جامي الولي المعروف – و محمد الجونبوري مؤسس الصوفية المهدوية، رُميا بالكفر و الإلحاد.

الشيخ علائي، شيخ الحركة المهدوية في البنغال، قرر العلماء ضرب عنقه.

في القرن العاشر الهجري: قُتل الشيخ أحمد البيهاري في دلهي، بتهمة كتاباته التجديفية (مرتد)، قُذف أبو يزيد البسطامي بالخروج و الفسق.

في القرن الحادي عشر الهجري: اتُّهم الحكيم علي الثاني من علماء الهند بالهرطقة أمام المحكمة الإمبراطورية و نجا من عقوبة القتل و سُجن لأنه أراد أن يقوّم الاعوجاج الصوفي الأرمني سرمد الذي دخل الإسلام و ذهب إلى الهند و حُكم عليه بضرب عنقه أمام المسجد الجامع في دلهي، و قرأ هذه السطور عندما تقدم الجلاد شاهراً سيفه « أيقظتنا ضجة من سبات العدم، ففتحنا العيون، و إذا بليل المحن لم ينجلِ بعد، فعدنا إلى النوم».

في القرن الثاني عشر الهجري: اتُّهم الشيخ معصوم علي شاه مير من دكا جنوب الهند بالخروج و الفسق واغتيل و قُطعت آذان و أنوف مريديه و حُلقت لحاهم.

تعرض الشيخ شاه ولي الله الدهلوي ،الذي ترجم القرآن إلى الفارسية، للاغتيال و نجاه الله تعالى بعد صلاة العصر.

في القرن الثالث عشر الهجري: نُفي الشيخ عبد الله الغزنوي الأفغاني من بلده و حين عودته في زمن الأمير الثاني أذلوه و سجنوه حتى مات.

الشيخ محمد قاسم النانوتي، كان قائداً إسلامياً محبوباً، ومؤسس معهد ديوباند في الهند للدراسات الإسلامية و مناظراً شديد الحجة أمام هجمات الديانات الأخرى، اتُّهم بالكفر والردة من اثني عشر عالماً من مكة و اثنين و ثلاثين من المدينة لقوله بأن بعث نبي جديد تابع لمحمد صلى الله عليه و سلم دون شرع جديد لا يبطل مقام النبي الأكرم بوصفه خاتم الأنبياء و المرسلين، و دليله في ذلك المسيح الموعود الذي ذكره محمد صلى الله عليه و سلم.

في القرن الرابع عشر الهجري: منصور الحلاج في نشوة تأملاته يجد نفسه أحياناً مستغرقاً في الله فيصبح أنا الحق، جعله علماء عصره في وقته غريباً متحجراً و انقضوا عليه و اعتقلوه و سجنوه و جلدوه و قطعوا أطرافه ثم صلبوه، و قبل صلبه وقف يصلي و قال: هؤلاء عبيدك الذين اجتمعوا متعطشين لقتلي من أجل دينك، و ابتغاء لمرضاتك، فاغفر لهم يا رب و ارحمهم، لأنك لو كشفت لهم ما كشفت لي ما فعلوا ما هم فاعلون، و لو أنك سترت عني ما سترت عنهم، ما قاسيت هذا البلاء، تباركت فيما تفعل، و تباركت فيما تشاء.

بهذا الدعاء المؤمن الصادق الصادر من قلب رجل رأى الله فآمن به و تصدع بما رأى و آمن، بأي حق

يتصرف هؤلاء الذين كانوا ينصبون أنفسهم وكلاء عن الآلهة لمعاقبة الناس و المؤمنين؟ من فوضهم ليصلبوا العلماء و يقطعوا أطرافهم؟ فهل كانت الرسالة تخصهم فقط؟ أم أن محمداً كان رسول الناس أجمعين .

قال سبحانه و تعالى « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» و من قال إن محمداً صلى الله عليه و سلم كان يُكره الناس على الإيمان قطعاً لا، لأن الله لا يأمره أصلاً بذلك، و استجابة لرسالة ربه لم يجازف بما كان يفعله الناس و المسلمون من بعده.

قال تعالى» لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها».

« إنّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا» (سورة الإنسان)

« و قل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر» (سورة الكهف)

و لسوء ما جازف به العلماء في مسألة العقيدة و ما وصفوا به الرسول حسب تقديرهم السيء لخدمة أمراء المؤمنين و تبرير أفعالهم و فسقهم، ألحقوا إساءات كبيرة بسمعة الإسلام كدين و رسالة سامية حتى أوصلوه إلى مرحلة المرادف الآخر للإرهاب.

تأمل هذا النقد من الناقد الديني جياناويف شارما شاشتري، الذي ألقى خطبة عام ١٩٢٨ حيث قال : إن هؤلاء النقاد عُمي لا يبصرون، إنهم عاجزون عن إدراك حقيقة أن السيف الوحيد الذي أشهره محمد كان سيف الرحمة والتعاطف و الصداقة و العفو، السيف الذي كسب محبة الأعداء و طهر قلوبهم، لقد كان سيف محمد أقطع حدا من السيوف الفولاذية.... و هذا الناقد غير مسلم، لنقارن قوله بقول الشيخ أبو علي المودودي» عندما فشلت كل وسيلة للإقناع، و لمدة تزيد على ثلاث عشرة سنة من التبشير، لجأ رسول الله إلى السيف، ذلك السيف الذي أزال الشر و الأذى كما أزال نجاسات القلب و قذارات الروح، السيف الذي فعل المزيد، فلقد أزال العمى عن العيون فجعل الناس يبصرون نور الحقيقة، كذلك شفاهم من تكبرهم و غطرستهم التي تمنعهم من قبول الحق، الرقاب المتصلبة، و الرؤوس المرفوعة بالتكبر انحنت للسيف بإذلال.

قال المستشرق المسيحي ستاندبول في كتابه « مختارات من القرآن و الحديث»، إن يوم أعظم نصر لمحمد على أعدائه كان أيضاً أعظم نصر له على ذاته، فلقد عفا بطواعية نفس عن قريش، و غفر لعتاتها جميع سنين الألم و القسوة والاحتقار التي أنزلوها عليه و أعطى الأمان لجميع سكان مكة.

قال تعالى» لا تثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين» (يوم فتح مكة).

و قال الرسول: ماذا تروني فاعلاً بكم؟ قالوا: أخ كريم، و ابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

المودودي أظهر محمداً بأنه نبي السيف و أن دينه دين السيف، و لكن التاريخ يشهد بأنه كان نبي الرحمة ورسول السلام مصداقاً لقوله تعالى» و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

فيما تقدم لم نر من الآيات في الكتاب الكريم أي تلميح لقتل المرتد أو حتى تصريح إلهي أو بيان قرآني، و في حين وروده كان مكتسباً درجة الحدود القرآنية كالزنى و السرقة.....الخ.

قال تعالى: و من يرتد منكم عن دينه، فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا و الآخرة و أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. (سورة البقرة).

« إن الذين آمنوا ثم كفروا، ثم آمنوا ثم كفروا، ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم و لا يهديهم سبيلا» (سورة النساء).

«إن الذين ارتدوا عن أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، الشيطان سول لهم و أملى لهم».

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، و لا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله واسع عليم». (سورة النمل).

« و من كفر بالله بعد إيمانه، إلا من أكره و قلبه مطمئن، و لكن من شرع بالكفر صدراً فعليهم غضب الله و لهم عذاب عظيم». (سورة النمل).

« و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه، فلن يضر الله شيئاً، و سيجزي الله الشاكرين». (سورة آل عمران).

« و قالت طائفة من أهل الكتاب، آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار و اكفروا آخره، لعلهم يرجعون». (سورة آل عمران).

لو تمعنَا في أحكام ما ورد في القرآن صراحة مثل الجزاء في الحكم بقطع يد السارق أو السارقة مثلاً قوله

تعالى:» و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما جزاء مما كسبا نكالاً من الله» (سورة المائدة).

حكم الزاني أو الزانية، قال تعالى:» و الزانية و الزاني فاجلدوا كل واحداً منهما مئة جلدة» (سورة النور).

بيانات إلهية تقر حدود الله في أحكامه قطعاً لا التباس فيها، و تأكيداً و تعزيزاً لما سبق إليكم خطبة الرسول عندما تشفع زيد للمرأة المخزومية عندما سرقت و قد شاط غضباً شديداً على زيد و قال أتشفع في حدٍ من حدود الله....!

و صعد المنبر و قال: يا أيها الناس إنما ضلَ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، و إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». رواه البخاري.

أما في حكم المرتد، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا يقتل المرتد إلا إذا كان محارباً.... أو قاتلاً..... أو مفسداً في الأرض.

و قال: إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه. (أبو داوود و الترمذي و ابن ماجد).

متى يكون المسلم مرتداً؟....

١- إنكار ما عَلم من الدين بالضرورة، مثل إنكار وحدانية الله، و خلقه للعالم، و إنكار وجود الملائكة، و إنكار نبوة محمد، و إنكار أن القرآن وحي الله، و إنكار البعث و الجزاء و إنكار فريضة الصلاة و الزكاة والصيام و الحج.

٢- استباحة محرم أجمع المسلمون على تحريمه، كاستباحة الخمر و الزنى و الربا و أكل الخنزير و استحلال دماء المعصومين و أموالهم.

٣- سب النبي و الاستهزاء به، و كذا سب أي نبي من أنبياء الله تعالى.

٤- تحريم ما أجمع المسلمون على حله، كتحريم الطيبات.

٥- سب الدين و الطعن بالكتاب و السنة، و ترك الحكم بهما و تفضيل القوانين الوضعية عليها.

٦- ادعاء فرد من الأفراد بأن الوحي ينزل عليه.

٧- إلقاء المصحف في القاذورات، و كذا كتب الحديث الشريف استهانة بها و استخفافاً بما جاء فيها.

٨- الاستخفاف باسم من أسماء الله الحسنى أو أمر من أوامره أو نهي من نواهيه أو وعد من وعوده إلا أن يكون حديث العهد بالإسلام و لا يعرف أحكامه و لا يعلم حدوده.

و الآن و بعد بيان ما ورد في القرآن و ما قاله رسول الله صلى الله عليه و سلم ، أستشهد بقوله تعالى:» كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم و شهدوا أن الرسول حق و جاءهم البينات، و الله لا يهدي القوم الظالمين، أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين» (سورة آل عمران)

تلك آيات الله نتلوها عليه بالحق فبأي حديث بعد الله و آياته يؤمنون

و لم يقل سبحانه و تعالى قتلهم أو رجمهم أو قطع أيديهم أو صلبهم و لكنه اكتفى بهم إلى يوم يبعثون و أنه لا يهدي القوم الظالمين.

« تلك آيات الله نتلوها عليه بالحق فبأي حديث بعد الله و آياته يؤمنون» صدق الله العظيم، و في حديث الرسول صلى الله عليه و سلم:» يوشك أن يأتي زمان على الناس و لا يبقى من الإسلام و من القرآن إلا رسمه ومساجدهم عامرة و هي خراب من الهدى، علماؤهم شر تحت أديم السماء، منهم تخرج الفتنة و فيهم تعود». (مشكاة المصابيح كتاب العلم).

صدق الرسول الأعظم محمد و كأنه يقول لا يبقى من الإسلام إلا داعشه و من القرآن إلا من يقرؤونه ويدعون به و مساجد عامرة محولة إلى أوكار تجتمع فيها فصائل الإرهاب و السلاح الموبوء، و رجالهم أشباه العلماء و هم أشرار يعتدون على أحكام الله و القرآن و يقودون الفتنة و الشر و القتل و الخراب و لا يتعظون بحديث الله و آياته و لا يؤمنون.

الظاهرة الكردية
الكرد يبحثون عن العدالة

« شيار كوجكري

الكرد يبحثون عن العدالة. هناك صلة قريبة بين المكانة التي يتحلى بها الكرد في راهننا، ومفهوم العدالة الذي واجهوه على مر التاريخ. فمرحلة التحقيق والإدانة والعقاب التي واجهها الشعب الكردي توضح موجز الحقوق المتبعة بحقه. إننا نتحدث عن مجتمع تم فيه قلبُ وعي الحقوق رأساً على عقب. إن شعور الخوف من التعرض للظلم واللاحقوقية هو شعور منتشرٌ لدى الكرد، وواضحٌ بأن السبب في ذلك هو كونهم لا يدخلون ضمن نطاق الحقوق حتى بأقل المستويات. تتوقف كل الحقوق عن الإجراء عندما يكون الشعب الكردي موضوع الحديث. والمعنى الآخر لذلك هو ترك وإجبار الشعب الكردي على العيش بلا حقوقٍ ومكانةٍ سياسية.

المجتمعات التي تفقد جوهرها الأخلاقي تخرج من كونها مجتمعاً، لذلك فإن الحقوق التي لا صلة لها بالأخلاق ليس لها شرعية. يمكن أن تحمل الحقوق الشرعية الاجتماعية فقط عندما تكون على تواؤم وتناغم مع الأخلاق الاجتماعية.

الأخلاق هي القوة التي تؤمن العدالة في المجتمع، لأن الأخلاق هي الوجدان الجماعي للمجتمع. المجتمعُ موجودٌ بالأخلاق. في الوقت الذي يمثل فيه الارتباط بالمجتمع الأخلاق الحميدة، فإن الابتعاد والانقطاع عن المجتمع يخالف قيم المجتمع و يعبر عن الأخلاق السيئة.

تتلقى الأخلاق المجتمعية أول ضربةٍ كبيرة مع تنظيم الرجل الماكر والظالم لذاته على شكل دولة، حيث أن الانقسام الطبقي الحاصل على شكل ثنائية العبد- الحاكم يقوم في الوقت ذاته بتقسيم وتجزئة الأخلاق التي تشكل أساس المجتمع أيضاً.

وعليه فإن الحقوق تظهر نتيجة هذا الانقسام، وتسعى لتبني مكانة الأخلاق في المجتمع. الحقوق الوضعية كقانون ومؤسسة وقوة سياسية دائمة هي الدولة الجامدة والمكتسبة للاستقرار مهمتها الأساسية حماية وضعها الحالي، وتأمين إيصالها إلى وضع أو سوية تصبح فيه مقبولة من قبل الجميع وجعلها محصنة. وبذلك تكون

قد أمنت المشروعية للهيمنة والاستبداد والظلم ونظامه الموجود في الوقت ذاته.

تحولت الحقوق الوضعية التي تحمل مُهر القوة الحاكمة إلى قوة سلطوية على أساس التفسخ والانحلال الأخلاقي. فإذا لم يتم التَّقويم وإنشاء بنية حقوق تكون فيها الأخلاق أساساً، ستبقى الحقوق تحت خدمة السلطة. وستلعب دوراً هادماً للعدالة لا بانياً لها.

فحتى إن كانت الحقوق منظمة من قبل الفلسفة الدولتية، إلا أنها غير منقطعة عن الأخلاق تماماً، ولا يمكنها الانقطاع. لأنها من دون ذلك لن يكون لها أية قوة تأثير. لقد عرفت الأخلاق من خلال نضال ومقاومة الحضارة الديمقراطية أن تأخذ مكانها ضمن الحقوق وتجعلها موالية للعدالة الاجتماعية. هكذا ظهر المبدأ الاجتماعي وعملياته التي تدعى « الحقوق الكونية». تحتوي الحقوق الكونية الحقوق المقدسة التي تم اكتسابها باسم المجتمع. بدأ نظام الحقوق في العالم بإظهار التطور ضمن هذا السياق بشكل أكثر مع مرور الزمن.

ولكن علاقة الكرد مع الحقوق اتخذت منحىً مخالفاً تماماً. لم يتمكن الكرد من الاستفادة حتى من الحقوق الدولتية. لأن الدول الاستعمارية لم تتوان حسبما تقتضي الحاجة حتى عن وضع حقوقهم تحت أقدامهم. إذ لم تطبق الحقوق ،ولو بأكثر حالاتها رجعية، عندما كان الكرد يصبحون موضوع الحديث. وما كان يطبق وبلا حدود بدلاً عن ذلك هو اضطهاد واستبداد الدول القومية المستعمرة.

تطور نضال الشعب الكردي ضد هذا الظلم والاضطهاد البعيد كل البعد عن الأخلاق والوجدان الإنساني. الحقوق التي تم رؤيتها مناسبة ومشروعة للكرد هي حقوق صدام، حقوق ١٢ أيلول، حقوق البعث وحقوق الشيعة القومية. الميزة المشتركة لهذه الحقوق هي إنكارها للكرد واستهدافهم لتصفيتهم وإبادتهم. فهي مبنية أساساً على تشريع الإبادات والمجازر العرقية الممارسة بحق الكرد.

لم يرَ الكرد أية إمكانية لتنظيم ذاتهم والتعبير عنها ضمن هذه الحقوق، لذلك فقد أدركوا مبكراً بأن البحث عن الحق ضمن سياق حقوق الاستعمار العرقية والفاشية والكيفية هو أمر بلا معنى.

ضمن هذا الإطار يجب فهم متابعة واستمرار الشعب الكردي في نضاله في البحث عن العدالة على أساس الدفاع المشروع بشكل جيد. يتوجب على الذين يدعون الكرد للنضال ضمن الحدود الحقوقية أن يأخذوا بعين الاعتبار مدى ملاءمة الحقوق التي يتحدثون عنها ومبادئ الحقوق الكونية. النظام الحقوقي الذي يغلق الميادين والساحات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية في وجه الشعب الكردي، والذي لا يقبل بأي حق له في الحياة- ما عدا قبوله للهوية الرسمية المبينة له من قبل الدولة- القومية الاستعمارية-هو نظام للموت والظلم بالنسبة للكرد. لهذا السبب فقد تابع الكرد نضالهم في البحث عن حقوقهم ضمن المبادئ والقيم الإنسانية الأكثر مشروعيةً، وليس ضمن الحقوق الرسمية. هذه ضرورة من ضرورات ارتباطهم بتاريخهم ووطنهم وثقافتهم وهويتهم. وسيستمر ذلك من الآن فصاعداً أيضاً. كما سيقوم الكرد بخوض نضالٍ مريرٍ لأجل تكوين نظام ومسودات حقوق تقبل هويتهم ووطنهم ولا تحد من

الأخـلاق هي القوة التي تؤمن العدالة في المجتمع، لأن الأخلاق هي الوجدان الجماعي للمجتمع

حقوقهم المشروعة. سينادي الشعب الكردي في كل مكان لأجل العدالة والمساواة، ولن يقف أويتراجع ولو للحظة عن تطوير تنظيمه وعملياته بهذا الشأن البتة؛ لأن الإصرار على البحث عن الحقيقة يعني حماية الحرية وطلب العدالة.

مفتاح الحل الذهبي

الشعب الكردي هو واقع الشرق الأوسط. هو شعبٌ من شعوب الشرق الأوسط الكبيرة التي عاش معها في وئام وإخاء. الشعب الكردي موجود وله حقوقه على الرغم من إنكار وجوده لسنين طوال. إنكار الشعب الكردي وغض النظر عنه ومحاولة تحريف حقيقته يعتبر عيباً كبيراً بالنسبة للإنسانية؛ لأن الشعب الكردي هو أقدم شعبٍ على هذه الأراضي القديمة التي تعد مهد الإنسانية. إنكار تاريخ هذا الشعب يعني إنكار تاريخ الإنسانية وتطوره.

قبل كل شيء يرفض الشعب الكردي ولا يعترف بمشروعية الدساتير الاستعمارية التي لا تضمن حقه ولا تعترف بوجوده. ولتحقيق مطابقة وعقدٍ اجتماعي، فإن الدستور الديمقراطي الذي يضمن حقوق الكرد الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية يعتبر خطوة هامة في حل القضية الكردية لأن وجود شعب ما مرتبط بوجود حقوقه. وتحقيق ذلك ممكنٌ فقط بإنشاء دستورٍ ديمقراطي مدني تعددي جديد يتخذ من حقوق الكردٍ القومية، والحقوق الجماعية أساساً.

لقد انهار مفهوم الوطن الذي يجعل الأراضي التي نعيش عليها منذ آلاف السنين ملكاً للقوم الحاكم وينكر الشعوب و المجموعات الأثنية الأخرى. لذلك يتوجب بدلاً عنه ترسيخ مفهوم « الوطن الديمقراطي» الشامل وهو وطن مشترك لجميع الشعوب والمجموعات الأثنية التي تتبناه وتحميه بدورها. هذا المفهوم هو الذي سيحمي مصالح شعوبنا ويضمن مستقبلها.

إلى جانب ذلك يتوجب بنفس الشكل أن يتم تغيير مفهوم الأمة المعروف بأثنياته الترك، العرب، الفرس الذي يأخذ العرق أساساً، وتبني مفهوم « الأمة الديمقراطية « الذي يأخذ الوطن أساساً بدلاً عنه. أي بدلاً من الأمة المنظمة باسم القوميات الحاكمة « الأمة العربية، أمة الترك، الأمة الفارسية» التي يراد صهر الكرد في بوتقاتها، فإن الأمة المعرّفة على الشكل التالي: « الأمة السورية، الأمة الإيرانية، الأمة التركية» هو تعريفٌ أكثر واقعية وأقرب إلى الحقيقة التاريخية والاجتماعية.

حركة التحرر الكردية بعيدة كل البعد عن الموقف أو التقرب القائم على أساس هدم الدولة، أو تغيير حدودها، أو بناء دولة أخرى بدلاً عنها، إلا أن النضال من أجل دمقرطة بنى الدولة- القومية الفاشية والاستبدادية يأتي في مقدمة نضالاتنا. مع العلم بأن ذلك بمثابة المفتاح الذهبي لحل القضية الكردية.

باتت بنى الدولة المتصلبة والأحادية تترك في عصرنا. وعليه فإن موديل الإدارة الذاتية الديمقراطية عبر دمقرطته سواء لبنية الدولة السورية الأحادية، أو بنية الدولة الإيرانية الأحادية، أو بنية الدولة التركية الأحادية سيكون هو الموديل الأمثل الحامي والمرسخ للديمقراطية الاجتماعية.

تحولت الحقوق الوضعية التي تحمل مُهر القوة الحاكمة إلى قوة سلطوية على أســـاس التفسخ والانحلال الأخلاقي

يطبقُ موديل الإدارة الذاتية الديمقراطية من حيث الجوهر بنجاح في ١٧ منطقة في أسبانيا بما فيها الباسك والكتالان، وفي ٢٠ منطقة سياسية في إيطاليا، وفي شمال ايرلندا بإنكلترا، وفي مناطق كلار و إسكوجيا، وفي جزيرة كوريسكا في فرنسا والعديد من المناطق الأخرى.

تعريف المواطنة الموجود في الدستور هو الموضوع الآخر الذي يشكل قضيةً بالنسبة للشعب الكردي. بحسب هذا التعريف فإن جميع المواطنين الذين يعيشون ضمن حدود هذه الدول الثلاث إما أنهم عرب أو فرس أو ترك، ولا مكان للهويات الأخرى في هذا التعريف. إنكار هوية الذات هو البدل الذي يتم دفعه للعيش ضمن حدود هذه الدول. هذه الذهنية مخالفة لمعايير القرن ٢١ الديمقراطية ومخالفة لتاريخ منطقتنا وبنيتها السياسية والسوسيولوجية أيضاً. التقرب أو الموقف المناسب هو رد كافة أنواع المركزية الأثنية، الثقافية والدينية، والعمل على صياغة تعريف جديد للمواطنة يضمن الإمكانية لعيش كافة الثقافات والأثنيات واللغات مع

بعضها في سلام ووئام. على سبيل المثال؛ لا يحوي تعريف المواطنة في دستور فرنسا على أية جذور عرقية. اقترح القائد آبو تعريفاً للمواطنة يستند على الطواعية، و لا يأخذ التمييز العرقي، الأثني أو القومي أساساً، ومضموناً دستورياً.

تلبية متطلبات هذا الاقتراح سيكون بمثابة خطوة كبيرة في إطار الحل الديمقراطي للقضية الكردية في منطقتنا. وإلا، فلا الإنكار، ولا العصيان، ولا الدولة المختلفة ليسوا بحلول للقضية. الحل هو الاستفادة المشتركة من كافة الحقوق على أساس الوحدة الأخوية، الحل كامن في المواطنة الحرة للجمهورية الديمقراطية. حل العديد من القضايا لن يكون صعباً بعد قبول الشعب الكردي وحقوقه بهذا الشكل.

يعطي القائد آبو الجواب التالي على السؤال: ماذا يريد الكرد؟ « حماية وجود الشعب الكردي ضمن الجمهورية الديمقراطية، حماية وجود الثقافة الكردية، التعرف على حرية الشعب الكردي، رفع كافة العوائق الدستورية والقانونية الموجودة أمام الحريات، إيصال الكرد إلى حالة قوة شعبية سليمة للجمهورية، وتحقيق ذلك على أساس الجمهورية الديمقراطية».

وضعت هذه المطالب عوامل الحل الأساسية للوسط، بحيث تطورت هذه المرحلة على هذا الأساس. خلق قائد الشعب الكردي وحركته التحررية أرضيةً قوية للحل. فالحل الديمقراطي الذي سيجلب معه التقدم الديمقراطي على جميع الأصعدة هو مكسبٌ من أجل الجميع. أسلم أسلوب للتطور والتغيير اكتشفته الإنسانية حتى يومنا الراهن هو أسلوب التغيير والتطور السلمي. هذا الأسلوب هو أهم ضمانة للحرية الاجتماعية والحرية الفردية على السواء. بهذا الشكل فقط يمكن لعلاقات الكرد- العرب، الكرد- الترك، الكرد- الفرس أن تأخذ شكلاً سليماً.

بهذا الشكل فقط يمكن لشعوبنا أن تغذي وتنمي قوة بعضها البعض بدلاً من صهر واستهلاك قوة بعضها البعض. بهذا الشكل فقط يمكن أن تكون قوة الأولى قوة للثانية، وقوة الثانية قوة للأولى.

الكرد هم جوهرة وبخت الشرق الأوسط

يبدأ الوعي الديمقراطي والثقافة الديمقراطية لدى القبول والإدراك بأن المجتمع عضوٌ حي يتكون من الفوارق. لا يوجد أي وجود أو وحدة أحادية نمطية لا تحوي بداخلها أية فوارق، إذ أثبت بأن الكون الكبير والصغير قد نشأ وتعدد وتعاظم عبر الفوارق. فمن دون وجود ديالكتيك المادة- الطاقة، الجزء- الكل، المحلي- الكوني، لا يمكن الحديث عن الحياة أو الحركة بأي شكل من الأشكال.

يأخذ هذا المبدأ الكوني مكاناً هاماً وحساساً في الطبيعة الاجتماعية. الأحادية أو الوحدة المتكاملة التي لا تتجزأ أمرٌ مخصوص بالإله، فالإله بصفاته التسعة والتسعين واحدٌ متكامل أبديٌ. هو الخالق والحاكم المطلق للحياة والوجود بأكمله. أرادت الدولة القومية تأليه ذاتها من خلال اغتصابها لكافة الصفات العائدة للإله. يمكن الإيجاز بأن هذه هي حكاية المئتي عام الأخيرة، القوموية هي دين المئتي عام الأخيرة.

الموقف المناسب هو رد كافة أنواع المركزية الأثنية، الثقافية والدينية، والعمل على صياغة تعريف جديد للمواطنة يضمن الإمكانية لعيش كافة الثقافات والأثنيات واللغات مع بعضها في سلام ووئام

إن ما تم تطويره ضمن المجتمع عبر الهندسة المجتمعية المطبقة هو النمطية وإبادة كافة الفوارق. هذا من جانب ومن الجانب الآخر تم تجزئة وتقسيم الطبيعة المجتمعية وتخريب النسيج الاجتماعي من العمق عبر الليبرالية والفردية الأنانية. لدى قيام المفهوم الأحادي بوضع كل شيء ضمن كفة واحدة وسعيه لحل وتذويب الفوارق وصهرها، فإن اللامساواة والثغرة الناشئة بين الإنسان والطبيعة، الرجل والمرأة، الفقير والغني قد تعاظمت إلى حد لا يمكن تصوره. بهذا الشكل أوصل طبيعتنا ومجتمعيتنا إلى حالة تكون فيها مفتوحة للاستثمار والنهب.

أثارت الحداثة الرأسمالية الدولتية القومية والقوموية و الفاشية في القرن العشرين، فأصبح ذلك سبباً لقيام الحربين العالميتين الأولى والثانية، صراعات إقليمية لا تحصى والتناقضات التي لا يعرف إلى الآن كيف ستحل. عاشت مرحلة انهيار كبيرة قُتل فيها الملايين من الناس. الإبادة العرقية اليهودية وحدها كافية لإثبات أن الحداثة الرأسمالية هي نظام إبادة واغتصاب ونهب وسلب، وذلك بسبب كون جوهر الحداثة الرأسمالية كان قد ظهر للعيان في ألمانيا.

حضنت الحداثة الرأسمالية التي ظهر وجهها الشنيع للعيان القومية والدول القومية الاستعمارية والعميلة في الشرق الأوسط بكل كياناتها في أواسط القرن العشرين. إذ أن تحويلها لمنطقتنا إلى قبرٍ للشعوب والثقافات قائم على أساس القومية والدولة القومية. الصراع العربي-الإسرائيلي، الحرب القائمة في العراق، القضايا القائمة في باكستان وأفغانستان، الأزمة المتفاقمة في سوريا، إصرار إيران على الدولتية والاستعمار الكلاسيكي، القضية الكردية في تركيا والقضايا الأثنية والثقافية والدينية المعاشة في منطقتنا كلها نتائجُ هذه الظاهرة التعسفية.

لا يمكن تقييم القضية الكردية ونضالها بشكل صائب إن لم يتم فهم هذه الظواهر. تناول حقيقتها الراهنة بشكل منقطع عن الزمان والمكان هو طراز جعل الشعب الكردي بلا ذاكرة وبلا تاريخ وعمل على تأمين طاعته. إنكار تاريخ ووطن الشعب الكردي وعده على أنه غير موجود يعني غض النظر عن المقاومة التي يبديها لحماية وجوده الاجتماعي. والهدف هو جعل القضية الكردية غير مدركة. لم يقبل الكرد اعتباراً من بداية القرن وإلى الآن سياسات الإنكار والإبادة المفروضة والممارسة ضده. وناضل في كل فرصة وفي كافة الساحات.

يبدأ الوعي الديمقراطي والثقافة الديمقراطية لدى القبول والإدراك بأن المجتمع عضوٌ حي يتكون من الفوارق

الكرد هم حظ الشرق الأوسط

اجتياز البراديغما الدولتية يعبر عن مرحلة جديدة في نضال الكرد من أجل الوجود. وعلى أساسه فإن اجتياز دوامة عقم العصيان والضغط والاضطهاد يعتبر ثورة ذهنية كبيرة. وتوجه الشعب الكردي نحو فعاليات الإنشاء على أساس مأسسة مجتمعيته هو نتيجة من نتائج هذه الثورة الذهنية.

السياسة الديمقراطية هي ساحة النشاط الأساسية في حل كافة القضايا الاجتماعية، والثقافية، والقومية. نضال ونشاط إنشاء المجتمع الديمقراطي يمثل أساس كافة الفعاليات. منبع وإطار هذا التطور الديالكتيكي هو سوسيولوجية الحرية. لن تساهم هذه الظاهرة في حل القضية الكردية فقط، بل ستقدم في الوقت ذاته مساهمةً وإمكانيةً كبيرة في تطوير العصرنة الديمقراطية في الشرق الأوسط أيضاً.

تأخذ سياستنا الديمقراطية طليعة وحرية المرأة أساساً. وتنظر إليها كقوة أساسية لمرحلة الإنشاء الديمقراطية. فهي تؤمن بأنه إن لم تتحقق حرية المرأة لا يمكن تحقيق حرية المجتمع والرجل أبداً. يمكن القول بأن الإدراك والوعي الفلسفي في قضية المرأة قد وصل في راهننا إلى إرادة ذات قوة تنظيمية وعملية عالية. طور نضالنا نضال حرية المرأة كقوة دفاع ديمقراطية مؤثرة ضد المفاهيم السلطوية والدولتية والقومية والجنسوية المتعسفة. ولهذا السبب فإن نهج نضال المرأة الكردية التحرري والديمقراطي وتنظيمها يمثل موديلاً قوياً ليس فقط بالنسبة لنضال الشعب الكردي الديمقراطي بل هو موديل قوي بالنسبة لنضال شعوب المنطقة والعالم الديمقراطي عموماً. نضال المرأة ونهجها هذا هو ما يوجه ويضفي الروح على نشاطاتنا ونضالنا لأجل المجتمع الديمقراطي والسياسة الديمقراطية. نشاط إنشاء الأمة الديمقراطية، وتنظيم ووعي المواطن الحر والمتساوي هو موضوع نضالنا الأولي؛ إذ أن تكوين وبناء الشعب الكردي لموديله الديمقراطي هو حظٌ وبختٌ كبير لأجل ديمقراطية المنطقة عموماً.

إعاقة سياسة الشعب الكردي الديمقراطية وتنظيمه هي أكبر سيئة تجري ليس فقط بحق الشعب الكردي بل بحق عموم شعوب المنطقة العربية، والتركية، والفارسية؛ لأن القضية الكردية هي قضية هذه الشعوب أيضاً. بقدر ما يتطور الحل الديمقراطي السياسي للقضية الكردية فإن التحول الديمقراطي سيتحقق بالقدر نفسه في هذه البلاد أيضاً، كما وستصل إلى الاستقرار السياسي وستتحرر من كافة القيود أيضاً. توجهت هذه البلاد بعد تأسيسها بفترة إلى إنكار الكرد وذلك بحكم منطق الدولة القومية. فكما أن مفهومهم ذاك جعلهم استبداديين وسلطويين فإن توجههم نحو حل القضية الكردية بالسبل الديمقراطية والسلمية سيجعلهم ديمقراطيين أيضاً.

اللغة والثقافة كحقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها

« هركول كوجر

قبل الحديث عن تاريخ اللغة الكردية بشكل مختصر ومفيد؛ أود الإشارة إلى موضوع الوعي التاريخي بصدد هذه اللغة والثقافة. فعندما يرتبط الإنسان إلى درجة العشق بشيء ما، خصوصاً إذا كان هذا الشيء معنوياً وميراثاً تاريخياً، فإنه لا بد أن يملك وعياً وإحساساً عميقاً بذلك الشيء. أي عليه أن يملك آلية ذهنية - فكرية منظمة بصدد ذلك الموضوع. انطلاقاً من هذه النقطة نستطيع القول بأن الغالبية العظمى من أبناء الشعب الكردستاني ،وحتى المثقفين منهم، يجهلون تاريخ لغتهم أو يعرفون فقط بعض النقاط العامة والسطحية عنها. لذلك فهم لا يرتبطون بهذه اللغة والثقافة إلى درجة الوعي والإحساس العميق بها، بل على العكس من ذلك، هناك عقدة نفسية عند الكثيرين كي يتعلموا اللغات الأخرى (التركية، العربية، الفارسية، الإنكليزية) ويهربوا من لغتهم! لأنهم ينظرون إلى لغتهم وثقافتهم نظرة دونية وسلبية في أغلب الأحيان. لهذا السبب يتوجب التركيز على تاريخ اللغة والثقافة الكردية والكشف عن خصوصياتها بشكل سليم، من أجل الوصول إلى آلية ذهنية - فكرية بصددها.

كل المصادر التاريخية تشير وبشكل لا يعطي مجالاً للشك بأن اللغة والثقافة الكردية تنتميان إلى مجموعة اللغة والثقافة الآرية (الهورية – الحورية)، التي نمت وترعرعت في مرحلة الثورة الاجتماعية الزراعية – القروية (النيوليتية). الانفجار الاجتماعي الحاصل في هذه المرحلة الزمنية الممتدة إلى ١٢ ألف عام قبل الميلاد، كان في نفس الوقت انفجاراً لغوياً وثقافياً ثورياً. أغلب القيم المعنوية والمادية الأساسية للإنسانية تم تسميتها في هذه المرحلة بمصطلحات آرية

(هورية – حورية). لغة هذه القيم كانت مؤنثة على الأكثر، لأن المرأة الأم كانت تقود هذه الثورة الاجتماعية والثقافية واللغوية الكبرى في تاريخ الإنسانية. تطورت هذه القفزة النوعية اللغوية والثقافية على حواف سلسلة جبال طوروس – زاغروس (أي ميزوبوتاميا العليا). يمكن أن نلمس الظرافة والرومانسية (سيطرة العاطفة والذكاء العاطفي) والجمال الطبيعي والألوهية الأنثوية للمرأة في اللغة الكردية وثقافتها. لقد اكتسبت هذه اللغة الغنى في المفردات المتعلقة بالحياة (الاجتماعية منها والاقتصادية) من حيث قدرتها على الإبداع في القيم المعنوية والمادية. الرشاقة والمرونة من صفات هذه اللغة، مثلاً عملية الإمالة (Tewang) في الكلمات، وظهور مفردات كثيرة لها معانٍ متنوعة مع كل إمالة من خصوصيات هذه اللغة.

مع انتشار اللغة والثقافة الآرية (النيوليتية) في كل أنحاء العالم تقريباً، تحولت الكثير من الكلمات أو المفردات إلى أساس لمصطلحات عالمية مستخدمة حتى يومنا هذا في أكثر اللغات انتشاراً. مثلاً كلمة «ره» أي الجذر في اللغة الكردية هي الأصل في المصطلحات التالية

Ra-Dikal - الجذرية Ra-aksyon رد الفعل

كما أن كلمة «كوم» أي مجموعة، في اللغة الكردية هي الأصل في المصطلحات التالية: (Komone, Komonizm, Komûta, Komite, Komûtan, Komple)

والكثير من المفردات التي تلعب دور الأصل والمصدر في كثير من المفردات العالمية (الإنكليزية والفرنسية وما شابه). طبعاً هذا الأمر يحتاج إلى دراسة خاصة، ولكننا ننوه فقط إلى بعض الأمثلة.

إلى جانب قوة المفردات وغناها ورشاقتها وظرافتها ومرونتها، هناك سيل عارم من الملاحم والقصص والفنون الأدبية الشفوية لهذه اللغة قبل ظهور الكتابة. مع ظهور الحضارة السومرية الدولتية المدينية لأول مرة في ٣٥٠٠ ق.م. تقريباً، أي قبل كتابة ملحمة كلكامش، كانت هناك ملاحم وقصص شفوية هيأت الأرضية للملاحم الكتابية في الأساطير السومرية المكتوبة.

كيف يمكن أن نثبت أو نبرهن على هذه الحقيقة؟ البرهان والدليل الساطع على هذه الحقيقة هو كثرة المفردات الكردية القديمة (الهورية) في الكتابات السومرية. هذه المفردات موجودة فيما بين سطور كل الملاحم والأساطير التي دونها السومريون. كما أن بعض هذه المفردات انتقل إلى اللغات الساميّة (الأكادية... مثلاً) فيما بعد، مثلاً كلمة «ستار Star» الهورية تحولت إلى «عشتار Îştar» عند الأكاديين، كما أن كلمة «نينهورساغ Nînhorak» (إلهة الأراضي المرتفعة – إلهة البلاد الجبلية) تحولت إلى «إينانا Înana» في السومرية، وبعدها في الأكادية. أما كلمة Erd الهورية، فتحولت إلى الأرض في الساميّة. حتى اسم كلكامش مشتق أو مأخوذ

من المصطلح الكردي القديم (الهوري) والذي يعني «Gir-Gamêş» أي الجاموس الكبير، لأن كلمة Gir تعني الكبير في الكردية القديمة والحالية، وكما أنGa تعني الثور. وسمي الشعب الكوتي Gotî نسبة إلى هذه الكلمة أي الذين يحرثون الأرض بالثور وكلمة Mêş في الكردية تعني الذبابة أيضاً.

استمرت اللغة الكردية في تطورها بين المجموعات الهورية (الغوتيين، الكاشيين، الميتانيين، النائيريين، السوباريين، الأورارتيين، ووصولاً إلى الميديين). مع ظهور دولة ميديا في منطقة شرقي كردستان أولاً، وتطورها كنظام كونفدرالي مرن في جميع أنحاء كردستان، فقد تطورت معها اللغة الكردية الشفوية والكتابية بواسطة فلسفة زرادشت ودينه المستند إلى كتابه المعروف بـ»زندافستا Zendavesta»، أي قوانين الحياة. فكلمة Zendî أو Zindî أو Zend تعني الحياة في الكردية، كما تعني الحيوية والحركة، وقد يرجع أصلها إلى كلمة Jin أو Jîn أو Jen...

اللهجة الآفستاوية ونمط كتابتها تمثل لغة دين وفلسفة النبي زرادشت، وما زال تأثيرها باقياً حتى يومنا هذا. رغم التأثير السلبي الذي لعبه الدين الإسلامي، إلا أن اللغة والثقافة الكردية حافظتا على أصالتهما وغناهما الأدبي والفلكلوري – التراثي من الناحية الشفوية والكتابية فيما بين القرن العاشر والقرن السابع عشر. في هذه المرحلة تطورت المدارس الدينية ذات الصبغة القومية والتصوفية، وانتشر الشعر الملحمي والقصصي في هذه المدارس. أبرز الأمثلة على هذه المرحلة هي دواوين الملا جزري وفقي طيران وأحمدي خاني وبابا طاهر الهمداني وعلي حريري. لقد تمكن هؤلاء من تحويل الميراث الملحمي الكردي الكلاسيكي الشفوي إلى ملاحم كتابية مثل ممو زين لأحمدي خاني، وزمبيل فروش لملا حسين باتيي، وشيخ سناني لفقي طيران.. كل هذه الآثار تحمل صبغة قومية وفلسفة تصوفية وشاعرية رصينة. لا شك بأن الأدب الشفوي الكردي كان له الدور البارز في المحافظة على اللغة الكردية عبر انتشارها في المجالس القروية الليلية على الأغلب. لقد لعب هؤلاء الشعراء الشعبيون دور الحكواتي والقاصّ والعارف بين الشعب، وكانوا ملقبين بـDengbêj بين الفئات الشعبية العريضة. ومن تلك الأسماء عفدالي زنكي الذي تحول إلى هوميروس الكرد في زمانه.

استعمل الكرد ألف باء زندافستا في المرحلة الميدية، كما استعملوا ألف باء العربية في العصور الوسطى إبان مرحلة انتشار الإسلام. ولكن علينا الاعتراف بأن الثورة الكبرى الحديثة في هذا المجال حصلت في سنة ١٩٢٨ عندما قام جلادت بدرخان بك بتنظيم ألف باء الكردية اللاتينية في اللغة الكردية الحديثة. لقد تحول هذا الأمر إلى نقطة انطلاق لانتشار الأحرف اللاتينية في شمالي كردستان، و تطورت الحركة الأدبية والثقافية التي قام بها جلادت عبر مجلتي روناهي وهاوار، واستمرت في ساحة غربي كردستان وسوريا ولبنان مع الشعراء والأدباء من أمثال جكر خوين وعثمان صبري.Tîrêj وتيريج

إذا تكلمنا عن أهم مشكلة تواجهها اللغة والثقافة الكردية، فعلينا أن نعترف بأنها تتجسد في عدم مقاومة سياسة الصهر القومي التي تمارسها الدول الاستعمارية، مثل تركيا وإيران وسوريا، من أجل تصفية هذا الميراث الذي يمثل الهوية الكردية الوطنية والقومية. عندما نقول عدم المقاومة، فإننا نقصد عدم الاهتمام باللغة والثقافة الكردية بالدرجة المطلوبة في هذا العصر الذي تسود فيه ثقافة عولمية تخريبية هادفة إلى تصفية كل اللغات والثقافات الأصيلة والتاريخية. لذا، يتطلب منا جميعاً أن نهتم بلغتنا وثقافتنا، وأن نرى هذا الأمر كمسؤولية وطنية تقع على عاتق كل فرد وكل جماعة وكل تنظيم كردستاني.

الثائر لأجل الحرية

الاسم والكنية: هيبت يوسف
الاسم الحركي : يلماز أحمد
تاريخ الالتحاق
١٩٩٢تربسبيه
تاريخ الاستشهاد:
١٦ حزيران ١٩٩٩
ماردين ـ باكوك

شيخ يوسف؛ تلك القرية السهلية الساكنة في حضن التلة والشاهدة على الكثير من المجازر التي ارتكبت بحق الأرمن وغيرهم، أصبحت فيما بعد موطناً للبوطيين بعد اضطرارهم لترك موطنهم إثر إخفاق انتفاضة البدرخانيين. في تلك القرية عاش البوطيون مع مجموعات من الأرمن. الجميع كان متضررا من سياسة السلطات الحاكمة ـ من إبادة وإنكار- والتي أرغمتهم على ترك موطنهم الأصلي. مرت الأجيال وكبرت القرية، وعادت إليها الحياة بعد فقدانها، حيث لم يبق فيها أي شاهد على التاريخ الماضي، باستثناء تلتها الشامخة التي ما تزال تحوي أسرار الحياة السابقة، الحاضنة للكثير من الآثار في أعماقها. بَرآف التابعة لسيلوان والمرتبطة بأيالة آمد، كانت مسرحاً للتناقضات والاختلافات المذهبية (السنية ،العلوية والأرمنية) عاشوا سوية؛ فالكل يحمل نفس الجروح والآلام، واجتروا مرارة الفشل وأرغموا على الهجرة.

الخصائص المشتركة من جهة والمتناقضة من جهة أخرى كانت تضفي على القرية الصغيرة طابعا يجعلها منفتحة للتأثيرات الخارجية وقبولها.

في أحضان هذه القرية، ولد هيبت الطفل الثالث للعائلة في عام ١٩٦٥،

إلا أن الحرب التي نشبت بين العشائر، جعلته يفقد والده بعد ثلاث سنوات من ميلاده. كبر على صوت أمه وهي تبكي على الماضي الضائع والأب المفقود، على الخوف من المستقبل المجهول. عندما كبر هيبت لم ينس تنهدات أمه وهي تحاول زرع الطمأنينة في نفسه، تحتضنه وتضمه إلى صدرها. كبر الطفل لكنه لم يستطيع السير على ساقيه حتى بلغ الخامسة من عمره، وقتها كانت عائلته قد اضطرت لشد رحالها مرة أخرى إلا أن دربها كان أطول هذه المرة، كانت الهجرة الثانية من الوطن إلى الوطن؛ من الشمال إلى الجنوب؛ من آمد إلى القامشلي وتربسبي.

هذه الهجرات التراجيدية المعاشة، حددت الخطوط الأساسية في تشكيل شخصية هيبت (يلماز)، الذي كبر منذ نعومة أظافره بين الصراعات العشائرية، الوطنية والخلافات التي أدت لزيادة المآسي بين العوائل والعشائر في كردستان.

العنف والإجبار خلق في شخصيته روح العصيان، فمنذ صغره فقد والده وأجبر على ترك قريته، لذلك كانت ردود أفعاله عنيفة تجاه الضغوط والعنف الذي يواجهه. وعندما كبر أدرك بأن إرادته يجب أن تكون مستقلة متحررة من كل هذه القيود.

الصراع الذي عاشه هيبت منذ صغره جعلت شخصيته متميزة ومتمردة، ردود أفعاله كانت تَظْهَر في كل تصرفاته، حتى في تقربه لأخوته الستة، لأنه كان يقترب بعنف من أخوته الكبار ويعطف على الصغار. كان للحرمان الذي يعيشه تأثيراً على كل تصرفاته، إلا أن الأسباب الأساسية لهذا الحرمان لم تكن معروفة لديه للدرجة الكافية، فعندما يجد بأن أخوته الكبار ووالدته هم المسؤولون المباشرون عنه والذين يرغبون في فرض كلمتهم عليه كان يعاند ويرفض، ويحاول أن تكون نظرته ورأيه هما المسيرتان.

كبر هيبت مع الحرمان والكدح، لأن العائلة الفقيرة التي اضطرت لمغادرة موطنها عاشت الفقر والتشرد إلى أن كبر أولادها وأصبحوا يعملون في سبيل تأمين لقمة العيش الكريم، فتحسنت أوضاعهم المعيشية، لكن الأزمة في شخصيته لم تنحل، لأن الظروف الاقتصادية والمعيشية وحدها لا تعني كل شيء، بل هناك أمور أكبر من هذه الأمور؛ إنها الهوية التي تحدد مساحة حرية الإنسان في وطنه، بينما المهاجر الذي نفي من موطنه فقد هويته مثلما فقد قريته الصغيرة ووالده.

بقي هيبت مكتوم القيد في سورية، حرمانه من الهوية أوقعه في الإحراج؛ فمع كل خطوة كان يخطوها وفي كل سفر حتى القصير منه كان في مواجهته كابوس التوقيف. لسوء الحظ فإن كل شرطي أو دورية تفتيش تظهر في طريقه كان في الغالب يقع في كمينهم. حاول كثيرا تدارك هذه المواقف لكن دون جدوى. توالت وكثرت الأيام التي قضاها في الحجز. أصبح يحلم بأن يسافر من دون أن توقفه دوريات التفتيش، من دون أن يُنَزلوه من العربة لأنه محروم من الهوية. راودته الكثير من الخيالات التي تعرض لها، لذلك كان يبدي ردود فعله مقابل العائلة؛ فهو شخص له إبائه وعزة نفسه، يرغب في السير بحرية، التوقف بحرية، أن لا يكون من الممنوعات، ممن يتهربون من السلطات لا لذنب اقترفه بل لقدر تحكم في مصيره عندما قُتل والده واضطرت العائلة للهجرة والاغتراب.

إن لم تهاجر العائلة أكان من الممكن أن يكون مصيرها أفضل.. إنه مصير الكرد المحتوم في ظروف الإنكار والإبادة أينما كان سواء في الشمال أم في الجنوب لا فرق. أدرك هيبت أن الوطن والهوية بالنسبة للإنسان هما اللذان يتيحان له حق الحياة. فمن لا وطن له، لا هوية له، ولن يستطيع العيش بسلام، بل سيبقى مجهولا دون قوة وإرادة. هذا ما أيقظ فيه الشعور القومي منذ صغره لدرجة غدا متعصبا لقومه الذين يعيشون نفس مأساته. كيف لا وهو يرى الكرد يُسحقون ويُعاملون معاملة بعيدة عن المقاييس الإنسانية.

أن تكون نكرة بين الناس ولا تستطيع التعلم والدراسة بلغتك الأم، ولا تملك هوية، وما إلى ذلك كل هذه الممنوعات كانت تزيد من ثورة التناقضات التي عاشها هذا الشاب الطموح والتي قادته إلى دوامة الصراعات والتوترات والحالات النفسية العصيبة. هذه المواقف والأحداث التي شهدها الرفيق في كل أيامه جعلته يبتعد عن العائلة ويبدأ بالبحث، هذا ما دفعه للبقاء في الخارج علّه يجد ضالته ويعرف حقيقة بحثه وطموحه.

تابع هيبت عمله ليعيل عائلته، فقد كان شخصاً كادحاً مرتبطاً بالكدح، لا يقبل الظلم أو الإحراج الذي يسيء إلى إنسانيته أو إرادته الحرة وطموحاته التي لا تقبل بالحدود المفروضة عليه، وحقه في التحصيل العلمي أو العيش كمواطن ذي كرامة.

تعرف الرفيق على الحزب كان عن طريق العائلة التي تأثرت بالنشاط الذي كانت تقوم به الحركة الآبوجية خلال الثمانينات في الجنوب الصغير. كانت هذه الفعاليات لا تزال في أطوارها الأولى إلا أن نشاط الرفاق وانضمام بعض أبناء المنطقة المميزين وتردد الرفاق خبات، مصطفى كلو ولقمان وعلاقاتهم الحميمة مع الرفيق كان له التأثير الحاسم في قبوله لفكر الحزب. شخصية هؤلاء الرفاق وحماسهم أثر على الرفيق فأصبح يتقرب منهم ساعيا لاكتساب المعرفة فربما يجد الحل لكل ما يحس به ويعيشه من تمزق وضياع، وهكذا أصبح من المقربين لرفاق الفعاليات بعد أن اقتنع بأن الثورة هي الطريق الوحيد للخلاص من هذا الوضع

المعاش.

شارك الرفيق في هذه الفعاليات بعد منتصف الثمانينات، حتى فترة التحاقه بأكاديمية معصوم قورقماز، هناك وجد ضالته في التدريبات الأيديولوجية التي حثته على الارتباط بنهج الحزب والتمسك به، حيث وجد فيه سبيلا للوصول إلى أهدافه في الحرية، ونيل هوية مستقلة والوصول إلى طريق المعرفة، عبر حرب التحرير.

اقتنع بذلك وأصر على الالتحاق بجبهة القتال في أسرع وقت ممكن، نظراً لشخصيته القوية ولثقته بإمكاناته؛ ففيه من الميزات ما يخوله لأن يكون من البارزين في هذا الميدان. حبه للحرية وإصراره لأن يكون كادحاً ذا إرادة مستقلة، وأن يعطف على الأصغر منه زاد من طلبه في الالتحاق بساحة الحرب. كان الذهاب إلى ساحة الحرب في ماردين من أمنياته لأن قاطني القامشلي وتربسبية المتاخمتين لماردين يتطلعون دائماً إلى ماردين بشوق اللقاء مع أخوتهم هناك. وللأسف فإن العدو سعى لوضع الحدود والعوائق بين أفراد الأسرة الواحدة من خلال الخط الحديدي، الأسلاك الشائكة، الألغام، كلاب الجنود والأضواء الساطعة.

محاولة الرفيق هيبت كانت تهدف في البداية إلى إزالة هذا الكابوس الذي يمزق قلب الكرد الذين يرون ويسمعون أصوات أخوتهم في الشمال، دون أن يتمكنوا من اللقاء بهم، بل يبقى الأثير يحمل رسائل الشوق وآهات الحنين.

عندما كان خبات يغني أغنية (هوي ماردیني) كان الرفيق هيبت يطرب لها ويرددها، فماردين معشوقته المعلقة هناك في حضن الجبل والتي سيحارب لأجلها، فهي بوابته إلى الوطن الكبير، إلى أرض الأم، أرض السلام والتي سوف يستطيع الشعب الكردستاني العيش فيها بعد أن يطهرها من المتحكمين بمصيرها. بعد عبوره إلى ساحة الوطن، وأثناء فترة وجوده في جودي كُسرت ساقه على إثر اشتباك مع العدو، لذلك اضطر للابتعاد عن ساحة الحرب، ريثما يستطيع تلقي العلاج اللازم. أثناء فترة النقاهة التحق وللمرة الثانية بدورة تدريبية عام ١٩٩٠. بعد انتهاء فترة العلاج دخل ساحة الحرب مجددا حيث شارك بفعالية ضمن أنشطة الحزب والجيش في مناطق إيالة بوطان المتعددة. مثل جودي، كابار، بستا وحفتانين كذلك كارا ومتينا، لكن بقيت ماردين من أولى طلباته وأمنياته.

عندما اكتسب التجارب في الحرب والخبرة في معرفة جغرافية الوطن عمل لفترة كمراسل ومرشد في الطريق بين جودي وحفتانين. أثناء قيامه بنقل مجموعة من جودي إلى حفتانين صدف أن كان ضمن المجموعة أخوه الصغير الرفيق ريبر الذي انضم للحزب بعده، وأثناء مرور المجموعة من نقطة ألغام كان يحاول تنبيه الرفاق وتحذيرهم، فالأخان يسيران في طريقهما ربما تكون الصدفة، ويستشهد أحدهم في هذه اللحظة. لكنه لم يستغرب قالها بصراحة نحن في ساحة حرب ساخنة لكن علينا أن لا نخاف من الشهادة ولا أن نستشهد بشكل رخيص.

عندما حدث هذا اللقاء بين الأخوين في بداية ١٩٩٥ تحدثا عن العائلة وطبيعة علاقاتهم وقتئذ كانت نظرته قد تغيرت من حيث حبه للعائلة وبين ما كان يعيش فيه من تناقض سابقاً. فقد أصبح أكثر وعيا وبين حبه وارتباطه بالعائلة. مع وصول الأخوين إلى حفتانين صدف أن قصفت الطائرات موقعهم عندها كان ما يزال يقترب بعطف من الأخ الأصغر محاولاً حمايته من الأذى، تاركاً حماية نفسه وقد حاول إعطاء تجاربه لأخيه ريبر. بعد ذلك افترقا كرفيقين بعد أن تواعدا على اللقاء ثانية في كردستان حرة.

بعد فترة أسر القائد اجتاحت الوطن غيمة أيقظت الأحاسيس مجددا وفيها تقدمت قوات الكريلا بطلباتها للقيام بعمليات انتقام فدائية بشكل طوعي. هذه الحركة التي عرفت النور وتطورت وأصبحت الأمل الوحيد للشعب الكردستاني العاشق للحرية رأت أملها في شخصية القائد آبو. الكريلا في كل المواقف الصعبة والأكثر إحراجا كانت تستذكر المواقف والإرشادات التي كان يقدمها القائد لها، فتزداد حماساً وعنفواناً وتقترب من الأعمال، المواقف والمهام وفق ما كان صائبا حسب أيديولوجية الحزب ومفهوم القائد.

تقدم الرفيق يلماز أيضا بطلبه للحزب للقيام بعملية فدائية، حيث بيّن طبيعة العملية التي يرغب في تنفيذها موضحا مخططها كونه خبيراً في الألغام، إضافة إلى تميزه في استخدام سلاح الـRBC ، إلا أنه لم تتم الموافقة والتصديق على طلبه نظرا لمواهبه وخبرته في الأمور التقنية؛ حيث كان بمقدوره تقديم المساعدة لبقية الرفاق والرفيقات أثناء قيامهم بمثل هذه العمليات التي كان مرشحوها يعدون بآلاف الفدائيين. في تلك الفترة التحق الرفيق يلماز بسرية فدائية مؤلفة من٢٠ فدائياً، منهم خمس رفيقات يشرف عليها الرفيق أزاد، أما مهمة السرية فهي تنفيذ العمليات الفدائية في إيالة ماردين.

التحقت السرية الفدائية بسرية المنطقة والتي يقودها الرفيق جكدار وهكذا توحدت قوة السريتين للقيام بالعمليات التي سيتم التخطيط لها.

أثناء تلك الفترة كانت الرفيقة شهرستان تستعد للقيام بعمليتها الفدائية، وقتها كان الرفيق يلماز هو المسؤول عن إعداد المتفجرات. لذا قام بتحضير المواد المتفجرة بدقة ومسؤولية عالية مختاراً الأنواع المناسبة لهذا النوع من العمليات التي تحتاج إلى جسارة وصبر كبير.

التكتيك المتبع في تلك المرحلة هو(أسلوب الحركة، استخدام الإمكانيات الذاتية، التكتيك) وللتمكن من شل تأثير العدو، كان يتطلب توحيد الثلاثة سوية.

عندما قدمت سريتهم إلى الإيالة، كانت سرية الرفيق جكدار تقوم بتنفيذ عملياتها في منطقة جبل باكوك. اجتمعت السريتان للقيام بالعمل المشترك لتنفيذ عمليات مخططة في كل الإيالة.

في الفترة التي سبقت مجيئهم كان ٢٧ رفيقاً قد استشهدوا في الإيالة، عندها كان العدو يدعي بأنه قد أنهى الكريلا في ماردين. لكن بعد أن قام الرفاق بتنفيذ بعض العمليات المحكمة والتي هزت كيان العدو، حينها دفع إلى حشد أعداد كبيرة من الكوماندو وحماة القرى إلى المنطقة ومدها بأحدث الأجهزة التكنيكية، بذلك تمكن من فرض الحصار الشامل على المنطقة. وبدأ بتضييق الحصار على الرفاق.

في ١٥ حزيران وصلت سرية الرفيق أزاد إلى المنطقة، وفي اليوم التالي ذهبت سرية الرفيق جكدار في مهمة لجلب الاحتياجات اللوجستية، عندها انضم الرفيق يلماز بشكل طوعي لمرافقة سرية الرفيق جكدار لجلب الأرزاق (التموين)، رغم أنه لم يكن قد ارتاح من السير الطويل بعد.

وهكذا استمر التمشيط، كانت السريتان تقومان بضرب العدو في نقاط معينة وبذلك استمرت العمليات واستمر العدو في تمشيطه وفي تضييق الحصار على الرفاق.

وفي ١٨ حزيران كثف العدو من حشد قواته. أما قوات الرفاق عامة فقد كانت حوالي ٤٥ رفيقاً ورفيقة. من بين هذه القوات جميعها كان ثلاثة رفاق فقط يعرفون جغرافية المنطقة.

سرية الرفيق أزاد كانت سرية فدائية متحركة وصلت إلى المنطقة مجدداً، وسرية الرفيق جكدار التي كانت تتمركز في المنطقة، كانت على الأغلب من الرفاق المنضمين إلى الحزب مجدداً. مع تضييق الحصار على القوات تم فرز القوة الموجودة إلى قسمين؛ كل سرية على حدة. كانت رغبة الرفاق هي كسر طوق الحصار والالتفاف لضرب قوات العدو.

كانت مجموعة الرفيق يلماز تسير في المقدمة، تقدموا إلى أسفل قرية (باديي) التابعة لباكوك. وفي أسفل القرية وقعوا في الكمين الذي كان العدو قد نصبه لهم على الطريق. خطة الرفاق كانت تستهدف التمركز في المرصد المقابل عندها سيكون موقع الرفاق مناسباً من الناحية الاستراتيجية ومسيطراً على المنطقة. لكن بعد وقوعهم في الكمين وضربهم للعدو اضطروا للانسحاب، بعدها توجه الرفاق نحو باديي من الناحية الثانية (نقطة جيلكي) حيث استطاع الرفاق التمركز في المرصد. عندها كانت السرية الثانية (سرية الرفيق جكدار) قد وقعت في الكمين عند باديي.

سرية الرفيق أزاد كان معها رفيقان فقط يعرفان الطريق والاثنان كانا غائبين عن السرية في تلك الأثناء. بذلك بقيت السرية الفدائية دون دليلٍ عارف بجغرافية المنطقة. باكوك بطبيعتها مناسبة لحرب الكريلا، لكن الجغرافية مفيدة لمن يعرفها، ولعدم وجود رفاق يعرفون تلك المنطقة جيداً، كان تمركز الرفاق قد حدث في مكان غير استراتيجي حسب هذه الرقعة من الأرض. في الساعة السادسة والنصف صباحاً كان الرفيق جمشيد، من سرية الرفيق جكدار قد استشهد. بعد ذلك بدأ الهجوم المعادي من ثلاث جهات ـ جناح من ناحية القرية يعني من الشمال ـ والجناح الآخر من الجنوب الشرقي ـ والآخر من ناحية باديي، استمر الاشتباك لكن دون أن يتمكن العدو من الوصول إلى مرامه، لذلك انسحبت قواته، بعدها وصلت إمدادات من مروحيات سوبر كوبرا، في هذه الأثناء كان الرفاق قد تمركزوا في مرصد كرمكي، الموقع كان مناسبا وهو يقع مباشرة تحت مرصد جيلكي، في النقطة المتواجدة بين كرمكي ومرصد جيلكي يتواجد وادي يشرف مباشرة على الجنوب الصغير وبشكل مباشر على المنطقة الواقعة بين القامشلي وتربسبي وبينها وبين القامشلي ٦ـ٧ ساعات فقط. في تلك النقطة بالذات يظهر السهل الذي يمتد فيه الخط الحدودي بأضوائه ـ وأسلاكه الشائكة ـ المنطقة الواقعة في الجنوب من الحدود تظهر فيها الخضرة والقرى ذات الأضواء التي تشع بالحياة. أما في الشمال فالأرض جرداء مزروعة بالألغام والموت، لقد تم إفراغ المنطقة من القرويين ولا تظهر فيها إلا الخرائب من القرى المهجورة باستثناء بعض القرى القليلة والتي ما تزال تصمد في وجه التهجير. كانت تظهر في دشتا باكوك ـ كري ميرا ـ كري بيا ـ مزرى يزيدية.

في هذه البقعة عندما كانت الطائرات تقصف قذائف الموت بلهيبها وأصوات ضرباتها كان الرفيق يلماز يحاول حماية الرفاق الجدد المتواجدين معه. فهما رفيقان كانا قد انضما منذ يومين وهما راعيان من دشتا باكوك لم يرتديا الألبسة العسكرية بعد، وكلاهما صغير في العمر. في هذه الأثناء ربما استطاع الرفيق يلماز أن يختلس نظرة وداع يودع بها قريته تربسبي التي شهدت أيام شبابه، يودع بها الشعب الذي أحبه لوطنيته، يودع عائلته التي أحبها وعرف قيمتها بعد أن أصبح ثوريا ، يودع بها أخاه الذي مازال محاربا في الجبال. إنها نظرات الوداع الأخيرة. وقتها كانت القذيفة قد أصابته. آخر صورة بقيت منطبعة على شبكية عينيه كانت

نظرته إلى قريته وإلى رفاقه في السلاح، بذلك التحق الرفيق يلماز مع رفيقيه الجديدين بقافلة شهداء الثورة.

بعد مدة قصيرة استطاعت نفس السرية تجميع قواتها مجددا ونفذت عمليات انتقام لذكرى هؤلاء الرفاق. وقتها لم يستطع العدو أن يقترب من المنطقة أو أن يستعمل السيارات في تحركاته، بل انحصرت تحركاته ولمدة طويلة على المروحيات فقط.

الشهيدة روجين

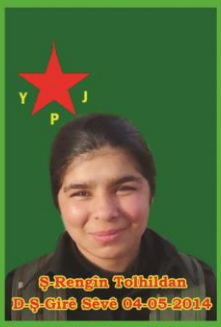

الشهيدة رنكين

الشهيدة زلال

الشهيدة هيلين كوباني

الشهيد أبو بكر

الشهيد بروسك

الشهيد خابور

الشهيد دوزفان

الشهيد دنيز

الشهيد بافي كاوا

الشهيد باران

الشهيد بوتان

الشهيد برفين

الشهيد دلبرين

الشهيدة آرمانج

الشهيد بدرو

على غيرِ عادةٍ مني، خطرَت لي هذه الأبيات الشعرية استذكاراً لملحمةِ درويش عبدي:

عبدالله أوجلان

آهٍ لو كنتُ ودرويش عبدي
على ذرى سنجارِ!
أَعدو به سهلَ الموصلِ
على صهوةِ حصانٍ أبيضِ
متسلقاً جبالَ كردستان
ودرويش الجريحُ على ظهري
وأقولُ
"انظرْ، هاكَ الآلافُ من عدولة
والاثنا عشرِ
نَمْ قريرَ العين على قممِ الجبالِ التي
على عرشِها الإلهاتُ تعتلي
لا تغتمَّ،
فأهلاً بالموتِ أين وكيفما جاء
ما دامت الكردايتيةُ والحياةُ الحرةُ
حَلَّتا، وغدَتا حقيقةً أبدية".